تاريخ المكتبات

في الأندلس

دكتور رضا سعيد مقبل



مقبل، رضا سعيد.

تاريخ المكتبات فى الأندلس/ رضا سعيد مقبل.ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩

١٨٨ ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك ٤ ٨٠٣ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ المكتبات ـ تاريخ ـ الأندلس .

أ ـ العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٠٨٨/ ٢٠٠٩

I.S.B.N- 978 - 977 - 420 - 803 - 4

ديوى٩٥٣٠٧١, ٠٢٠

تاريخ المكتبات في الأندلس

دكتور رضا سعيد مقبل

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٩

الإخراج الفنى والغلاف

مرڤت النحاس

قائمة المحتويات

المقدمة

تُعد المكتبات فى الإسلام من وجوه الإبداع الحضارى التى هى أحق ما يكون بالدراسة والبحث؛ لأن المكتبات تعتبر جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الإسلام وحضارته؛ حيث كان لها دورها المتميز فى نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين ، فهى تعكس الحضارة الإسلامية بكل شموخها وجلالها ، ولا مغالاة فى القول بأن الحضارة الإسلامية حضارة كتب ومكتبات؛ فلا حضارة بغير علم ، ولا علم بغير كتب ومكتبات. ولكن جُلَّ الدراسات الأكاديمية وجهت اهتمامها صوب المكتبات فى المشرق العربى الإسلامى(1). ولم تدرس المكتبات فى الغرب الإسلامى فى دراسات منفصلة ـ وخاصة بلاد الأندلس ـ على الرغم من أهمية الدور الذى لعبته المكتبات فى الأندلس طيلة ثمانية قرون هى المدة التى قضاها المسلمون هناك؛ ويرجع ذلك إلى صعوبة تلك الدراسة فضلاً عن قلة المصادر للقيام بالدراسة المطلوبة.

وأرى أن ذلك لا يبرر إغفال دراسة النهضة المكتبية فى الأندلس ـ والتى تعدى تأثيرها المسلمين أنفسهم. فانتقلت إلى ديار الغرب ـ اعتماداً على ما توافر من مصادر حتى نستكمل بذلك حلقة مفقودة من تاريخ المكتبات الإسلامية ، ورائدنا فى ذلك أن «ما لا يُدرك كله لا يُترك كله فإن العلم بالبعض خير من الجهل بالكل» وقد يظهر فى مقبل الأيام من المصادر والكتب ما يعين على استكمال البحث بصورة أوفى .

أهمية الدراسة :

الدراسات التاريخية فى حضارة أمتنا الإسلامية ليست هروبًا من الواقع ـ كما يزعم بعض الدارسين ـ ولكنها عودة إلى الماضى بهدف الاستفادة منه فى ترشيد الحاضر ، فالأمة التى تغفل ماضيها تكون عرضة للتفريط فى حاضرها والاستهانة بمستقبلها. ولقد عرفت أمة

الإسلام قدر المكتبات ودورها فى التقدم والرقى ، ومن أجل هذا نالت المكتبات قسطاً وافراً من الاهتمام والعناية فى معظم الأقاليم الإسلامية شرقًا وغربًا وخاصة فى بلاد الأندلس، فقد أولى المسلمون فى الأندلس المكتبات ما تستحقه من رعاية واهتمام وكان ذلك ثمرة من ثمرات الإسلام وحضه على العلم ونشر المعرفة .

وتبارى الأمراء والخلفاء فى إنشاء المكتبات فى قصورهم ، كما وجدت المكتبات الخاصة لدى العلماء والأثرياء والمكتبات العامة ، وغيرها من المكتبات الملحقة بالمعاهد العلمية والمساجد.

كما حرص الأندلسيون على تزويد مكتباتهم بمجموعات قيِّمة ، وتوفير المخصصات المالية لذلك ، وقاموا بتنظيم المقتنيات تنظيماً حسناً بما يساعد على خدمة المستفيدين بكفاءة ويسر.

وتبين الدراسة تلك النهضة المكتبية التى تُعد جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الأندلس الإسلامية ، كما تكشف عن مقدار اهتمام الأندلسيين بالمكتبات وما بذلوه دولة وشعباً فى اقتناء الكتب وتكوين المكتبات والعناية بها .

وتتلخص دوافع الدراسة فى الآتى :

أولاً: لفت انتباه الباحث كثرة الدراسات حول المكتبات فى المشرق الإسلامى ، فى حين تكاد تخلو المكتبة العربية من دراسات شافية عن المكتبات فى الأندلس (٢). مع أن التجربة الأندلسية أخطر من التجربة الشرقية وذلك لأنها تمثل دوراً تاريخياً مر بالأندلس منذ فتحها وحتى سقوطها .

ثانيًا: أن التاريخ السياسى للأندلس قد دُوِّن ، بينما التاريخ الحضارى ما زال يحتاج إلى كثير من الدراسات للكشف عن أهم دقائقه وتفاصيله ، وتعتبر المكتبات من أهم الجوانب الحضارية فى الأندلس التى لم تدرس دراسة شافية .

ثالثًا : ما للأندلس من مكانة خاصة فى نفوس العرب والمسلمين مما يجعل الدراسات المتعلقة بها من الواجبات الإسلامية ، علاوة على أنها أحد المواضع التى تلاقت فيها الحضارة الإسلامية بأوربا ، فهذه الحضارة الأندلسية ـ بما فيها المكتبات ـ تستحق الدراسة لأنها شاهد على تفوق الحضارة الإسلامية على سائر الحضارات الأوربية .

رابعًا: لاحظ الباحث اهتمام المستشرقين بدراسة الجوانب الحضارية فى الأندلس أمثال: دوزى ، بروفنسال، وريبيرا ـ وغيرهم ، ويحملهم التعصب الدينى على إخفاء محاسن تلك

الحضارة وطمس معالمها، مما يوجب علينا أن نتصدى لدراسة تراثنا الأندلسى من منظور إسلامى عربى بعيداً عن الرؤى الاستشراقية التى يغلفها الزيف فى أغلب الأحوال .

خامسًا: خطورة الدور الذى لعبته المكتبات فى المجتمع الأندلسى ، وكذا تأثيرها فى الغرب المسيحى والنهضة الأوربية الحديثة ، مما يفرض علينا إماطة اللثام عن هذا العطاء الثقافى والحضارى الإسلامى.

الصعوبات التى واجهت الدراسة :

الحق أن مثل هذه الدراسات المتعلقة بالحضارة هى من أشق ما يتعرض له الباحث ، فلقد وجدت صعوبات عديدة، ولكنها لم تثبط عزمى عن مواصلة الجهد والتنقيب والدرس ، حتى اكتملت الدراسة بعون الله، ومن بين هذه الصعوبات :

١- أن المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة قليلة ومشتتة شذر مذر فى بطون المصادر القديمة، ويرجع ذلك إلى ما تعود عليه المؤرخون المسلمون من التركيز فى كتاباتهم على الجانب السياسى والعسكرى ولا سيما ما ارتبط منها بشخصيات الحكام ، وإغفال الجانب الحضارى ، على الرغم من أن تاريخ الأمم هو تاريخ حضارتها .

٢- صعوبة الحصول على المصادر القديمة وعدم توافر بعضها ، وتكلفت فى سبيل الحصول عليها كثيرًا من الجهد والوقت والمال .

٣- ندرة المادة العلمية المتعلقة ببعض جوانب الدراسة وخاصة فيما يتعلق بإدارة المكتبات وتنظيمها مما جعل الباحث يلجأ إلى الاجتهاد حتى لا توجد فجوات فى نقاط البحث. مستنداً فى ذلك إلى عامل (التأثير والتأثر) فيما بين الأقاليم الإسلامية ، وكان واضحاً خاصة فى النواحى الحضارية على اعتبار الأندلس جزءاً من العالم الإسلامى يتفاعل معه ويتأثر به وينفعل بما يحدث فيه .

٤- اتساع موضوع الدراسة ، حيث إنه يرتبط بكل الجوانب الثقافية ويتناول كل ما يتعلق بتراث الأندلس وحضارتها . فضلاً عن أن فترة البحث تجاوزت ثمانية قرون .

أهداف الدراسة :

إن الاتجاه إلى دراسة المكتبات فى الأندلس مطلب مُلح للتعرف على أهم جوانب الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، وتأتى هذه الدراسة لتضيف لبنة فى تاريخ المكتبات الإسلامية

للاستفادة من ذلك فى فهم الحاضر وتفسير ظواهره على ضوء دراسة تاريخ المكتبات، مؤمنًا بأن فى ماضى الأمم سر حوادثها الحاضرة .ويمكن إجمال أهداف الدراسة فى النقاط التالية :

- التعرف على أنواع المكتبات التى وجدت فى الأندلس .
- التعرف على جوانب العمل والإدارة فى المكتبات الأندلسية .
- معرفة نظم وطرق تزويد المكتبات الأندلسية بالكتب ، وكيفية تنظيمها .
- توضيح الخدمات التى تقدمها المكتبات الأندلسية مع إبراز دورها العلمى .
- بيان مصير المكتبات الأندلسية وما بقى من التراث الفكرى الأندلسى .

حدود الدراسة :

تتناول الدراسة المكتبات الإسلامية فى الأندلس خلال الفترة من (٩٢هـ / ٧١١م- ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢م)، أى طيلة وجود المسلمين فى الأندلس منذ الفتح العربى الإسلامى حتى سقوط غرناطة وتصل هذه الفترة إلى ثمانية قرون ونيف . وهى فترة مليئة بالمتغيرات التى انعكست بدورها على المكتبات ، مما يجعل الدرس المستخلص أغنى وأثمن .

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخى؛ الذى يعتمد على النظر فى الماضى ويستقرئه[٢]. لجمع الحقائق والمعلومات المتعلقة بالموضوع من مصادره الأصيلة التى أرخت لفترة الدراسة، لأن استرداد الماضى لا يكون إلا من خلال هذه المصادر والتى تشمل كتب التاريخ والجغرافيا وكتب التراجم والطبقات. هذا بالإضافة إلى الكتابات الحديثة عن جوانب النهضة العلمية والحضارة فى الأندلس. وكان عمل الباحث يعتمد على استخراج الحقائق من بطون المصادر القديمة والمراجع الحديثة متبعاً أسلوب الوصف والتسجيل ، أما المواضع التى تحتاج إلى تحليل وتفسير فقد اتبع الباحث فيها أسلوب التحليل والتأويل قدر الإمكان.

الدراسات السابقة :

على الرغم من وجود الكثير من الكتب التى تناولت المكتبات فى العالم الإسلامى فى العصر الوسيط إلا أنها اقتصرت على الشرق الإسلامى، وعالجت الغرب الإسلامى معالجة

سريعة ولم تشر إلى المكتبات فى الأندلس إلا فى فقرات قصيرة (٤)؛ مما يجيز لنا أن نصف تلك الكتب بأنها تؤرخ للمكتبات فى الشرق الإسلامى فقط ، ويذكر هيسيل "أن المكتبات العربية فى إسبانيا، بالرغم من عظم تأثيرها فى الغرب المسيحى ، إلا أنها لم تلق القدر الكافى من الدراسة"(٥) .

ويُعد البحث الذى ألقاه المستشرق الإسبانى ريبيرا: Ribera فى كلية الطب والعلوم بجامعة سرقسطه أول دراسة عن المكتبات فى الأندلس(٦). إلا أنها اقتصرت على معالجة المكتبات الخاصة فقط ، وكانت المعالجة على أساس جغرافى ، بما لا يسمح بالتعرف على السمات العامة للمكتبات ، ولا يوضح تطور تلك المؤسسات ، فضلاً على أن الدراسة لم تتعرض لجوانب الإدارة والتنظيم المختلفة والخدمات التى تقدمها المكتبات الأندلسية، كما أنه تحامل على الحضارة الإسلامية فى الأندلس من خلال تمجيده لما قام به الكاردينال خمنيس من حرق الكتب العربية .

وظهرت مجموعة من الدراسات الأخرى التى تتناول المكتبات الأندلسية (٧)، إلا أنها تأثرت بمقالة ريبيرا السابقة ولم تأت بجديد. منها دراسة د. حامد الشافعى دياب عن "الكتب والمكتبات فى الأندلس "والتى نُشرت بمجلة الاتجاهات الحديثة فى عدديها الثامن والتاسع. فقد أفاض فى دراسة مكتبة الأمويين بقرطبة كنموذج لباقى المكتبات ، مما جعله يغفل الكثير من جوانب الإدارة والتنظيم فى الأنواع الأخرى من المكتبات، ويرجع ذلك إلى تعويله على المصادر الحديثة .

والخلاصة : أن ما كُتب عن موضوع الدراسة لا يعدو بضع مقالات لا تشفى غليلاً ، وأن من تعرضوا لهذا الموضوع لم يوفوه حقه ولم يتناولوا كل جوانبه ، لاعتماد تلك الدراسات على عدد قليل من المصادر.

وهكذا، فإن هذه الدراسة تعد أول دراسة أكاديمية - على مستوى الماجستير والدكتوراه - فى الموضوع، كما أنها تمتاز بشمول التغطية حيث تتناول جميع جوانب الموضوع ، معتمدة على جملة من المصادر والمراجع التى لم تستخدمها أية دراسة سابقة ، وقد أوضحتها فى عرض المصادر والمراجع، وفى حواشى الدراسة ، وكذلك ضمن قائمة المصادر والمراجع فى نهاية البحث .

فصول الدراسة:

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالى؛ حيث قمت بمعالجة "المكتبات فى الأندلس" معالجة موضوعية ، ولذلك خصصت لكل جانب من جوانب الموضوع فصلاً مستقلاً، فجاء الفصل الأول بعنوان " المكتبات الأندلسية : النشأة والأنواع " تناولت فيه دوافع حب الكتب وإنشاء المكتبات ، وأنواعها المنتشرة فى الأندلس فى طول البلاد وعرضها . وتحدثت فى الفصل الثانى عن "إدارة المكتبات" ومواردها المادية والبشرية من مبنى وتجهيزات وميزانية والعاملين والمجموعات المكتبية . وتناولت فى الفصل الثالث " النظم والإجراءات الفنية التى تتم داخل المكتبات من طرق تزويد وتنظيم وصيانة . واستعرضت فى الفصل الرابع "الخدمات فى المكتبات الأندلسية " مع توضيح الدور العلمى الذى قامت به المكتبات الأندلسية فى المجتمع الأندلسى ، ثم بيان تأثيرها فى الغرب المسيحى . وتناولت فى الفصل الخامس المصير الذى آلت إليه المكتبات الأندلسية موضحاً عوامل زوالها ، كما عرضت لمصير المجموعات المتبقية فى إسبانيا.

وفى النهاية خاتمة ضمنتها أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال الدراسة، ثم أتبعتها بمجموعة من التوصيات التى من شأنها معرفة الجوانب التى تحتاج إلى دراسات منفصلة، وكيفية الحفاظ والعناية بتراثنا الإسلامى.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن تنتفع به الأمة الإسلامية .

والله ولـــــى التوفيق .

المؤلف

هوامش المقدمة

(١) راجع :- متولى محمد متولى . المكتبة ودورها التربوى فى مصر الفاطمية .- شبين الكوم ، ١٩٨٣م.
(رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة المنوفية).

- محمد مجاهد الهلالى . خزائن الكتب العباسية: دراسة فى الموارد والنظم والخدمات.- القاهرة ، ١٩٨٧م .
(أطروحة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة القاهرة) .

- يوسف العش . دور الكتب العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط / ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة ، محمد الصباغ .- دمشق : دار الفكر ، ١٩٩١م .

- السيد السيد النشار . تاريخ المكتبات فى مصر : العصر المملوكى .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٢م.

(٢) انظر : الدراسات السابقة ، ص ٥ ،٦ .

(٣) شعبان عبد العزيز خليفة . المحاورات فى مناهج البحث فى علم المكتبات والمعلومات.- القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م. ص ٧٣ .

(٤) انظر : فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية فى الخافقين.- بيروت : منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، ١٩٤٨م .

- محمد ماهر حماده . المكتبات فى الإسلام : نشأتها وتطورها ومصائرها .- ط٧- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٦م

- عبد الستار الحلوجى . لمحات فى تاريخ الكتب والمكتبات .- القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٨٢ .

- سعيد أحمد حسن . أنواع المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى .- عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٤م .

- شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى : الشرق المسلم ، الشرق الأقصى .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م .

(٥) هيسيل . ألفرد . تاريخ المكتبات / نقله إلى العربية شعبان عبد العزيز خليفة .- القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٣م ، ص٥٣.

(٦) [illegible] (٢)-(٣) [illegible] جمعة [illegible] محمد [illegible]
[illegible] ص ٩٩-١٠١.

(٧) [illegible] مجلة كلية الدراسات الإسلامية - (بغداد)
ع ٦ (١٩٧٩).

[illegible] مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد
[illegible] (١٩٧٧) ص [illegible].

[illegible] الثقافة العربية - بغداد [illegible] (١٩٨٢) ص ٧١
-٩٤.

عرض لأهم مصادر الدراسة

مما يؤسف له أن المؤرخين العرب والمسلمين القدامى لم يفردوا مؤلفات خاصة بتاريخ المكتبات الإسلامية فى العصر الوسيط ـ سواء فى المشرق أو المغرب الإسلامى ـ وذلك على الرغم من خطورة دور تلك المؤسسات ووفرة عددها، وكل ما ذكروه هو عبارة عن إشارات موجزة، ذُكرت عرضاً فى ثنايا كتب التاريخ والتراجم والطبقات .

ولا يوجد مصنف خاص يؤرخ للمكتبات فى الأندلس يمكن الاعتماد عليه فى إعادة كتابة تاريخ تلك المؤسسات، ولذا فقد اعتمدت فى دراستى هذه على المصادر التى تعالج تاريخ الأندلس وكذا كتب الطبقات والتراجم والمعاجم الجغرافية، بالإضافة إلى المراجع الحديثة التى تتناول تاريخ وحضارة الأندلس، علاوة على المؤلفات فى مجال المكتبات من كتب عامة ومقالات، وذلك كله للتعرف على جوانب النهضة المكتبية فى الأندلس، بقدر ما تسمح به المصادر والمراجع المتاحة، وما نتوصل إليه من الاستنتاجات مع مراعاة عدم تحميل النصوص أكثر مما تحتمل .

أولاً : مصادر الدراسة :

(أ) كتب التاريخ :

وهى الكتب التى تعالج تاريخ الأندلس العام وحضارته، وقد زودت الباحث بمعلومات وفيرة عن موضوع الدراسة، ومنها :

كتاب "نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب" للمقرِى التلمسانى (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٢م) والذى يعد أهم وأغنى مصدر لدراسة تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الوجود الإسلامى بها، كما يضم كثيراً من تراجم العلماء الأندلسيين، وقد اعتمد المقرى فيه على المصادر

الأصلية لتاريخ الأندلس مثل كتب الرازى، والبكرى، وابن حيان، وابن الخطيب، والقاضى عياض ... وغيرهم.

وقد أفدت منه كثيراً وخاصة فيما يتعلق بالحركة الفكرية، ومدى شغف الأندلسيين بالكتب وتكوين المكتبات الخاصة والعامة .

ويُعتبر كتاب " أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض " للمقرى أيضًا من الكتب المهمة؛ حيث تناول فيه أحداثاً لم يوردها فى كتاب " نفح الطيب " وخاصة فيما يتعلق بالمدرسة اليوسفية ومصائر المكتبات .

كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر " لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م) فهو يؤرخ فيه للعالم الإسلامى كله فى مشرقه ومغربه، وقد خصص الجزء الرابع لتاريخ الأندلس .

وقد أفدت منه وخاصة فيما يتعلق برعاية الخلفاء والأمراء للفكر والمفكرين، وكذلك فيما يخص المكتبة الأموية وبيان مصيرها .

ومن المصادر التى اعتمدت عليها كثيراً، كتاب " الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنترينى (ت٥٤٢ هـ / ١١٤٧م) وهو من أهم مصادر التاريخ الأندلسى وحضارته على امتداد قرن ونصف من الزمان منذ مطلع القرن الخامس حتى نهاية النصف الأول من القرن السادس الهجرى، وقد أفدت منه فيما يتعلق بمكتبات الوزراء وعلية القوم ومصائرها، ومدى ارتفاع مكانة وقدر أمناء المكتبات فى هذه الفترة .

ويُعد كتاب " المعجب فى تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحد المراكشى (ت٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م)، من المصادر الأصلية فى تاريخ المغرب والأندلس ومنذ فتح الأندلس حتى نهاية عصر الموحدين، وقد جمع فيه أخبار الشعراء، وأعيان الكتاب والعلماء والفلاسفة، وترجع أهميته إلى أن المؤلف قد عاصر الأحداث التى كتب عنها .

وقد أفاد منه الباحث فيما يتعلق بسير الكثيرين مثل: المنصور بن أبى عامر، والفقيه ابن حزم، وغيرهما . وما أورده عن اهتمام الأندلسيين بالوراقة، والمكتبات فى عهد الموحدين .

ويُعد كتاب " المن بالإمامة " لصاحبه عبد الملك بن صاحب الصلاة (ت٥٩٥ هـ / ١١٩٨م)، من أبرز الكتب التى تحدثت عن التاريخ الموحدى حديث معاينة ومشاهدة، وبه معلومات وفيرة عن النشاط الفكرى فى هذا العصر، وقد أفدت منه فيما يتعلق بمكتبات الأمراء الموحدين ومصحف عثمان .

أما كتاب " البيان المُغْرِب فى أخبار الأندلس والمغرب " لابن عذارى المراكشى (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)، فيُعد من المصادر الأساسية لتاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى أواخر القرن السادس الهجرى وترجع أهميته إلى اعتماده على مصادر أندلسية أصيلة، فضلاً عن أن مؤلفه عاصر كثيرًا من تلك الأحداث وخاصة فى عصر الموحدين .

وقد أفدت منه فيما أورده من أخبار الأمراء والخلفاء الذين كان لهم اهتمام بالعلم والمكتبات وجمع الكتب وخاصة المظفر بن الأفطس، والأمير مجاهد العامرى، كما أتى على مصير المكتبة الأموية بقرطبة، وحرق كتب الغزالى .

ويُعتبر ابن سعيد، على بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م) هو متمم كتاب " المغرب فى حلى المغرب " وهو من المصادر القيِّمة، وقد تضافرت على كتابته أسرة أندلسية من المؤرخين وهى أسرة بنى سعيد، وقد أفدت منه فى إيراد من شغف بجمع الكتب والوراقين .

ومن المصادر التى أثرت الدراسة فى عديد من النقاط كتاب " الإحاطة فى أخبار غرناطة " لابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م) وهو موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بمدينة غرناطة، كما يتضمن خلاصة لتاريخ الدولة النصرية وتراجم ملوكها وعلمائها، وترجع أهميته لاعتماده على مصادر أندلسية قيمة .

وقد أفدت منه فى حديثه عن تراجم أصحاب المكتبات والعاملين بمكتبات الخلفاء مثل: أحمد الأنصارى الخزرجى، وابن شقرال اللخمى، ومكتبات المساجد، والوراقة .

أما كتاب " التيسير فى صناعة التسفير " لمؤلفه بكر بن إبراهيم الإشبيلى (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م) فهو من الكتب الأندلسية المهمة فهو يتناول فن تجليد الكتب عند الأندلسيين، وقد أفدت منه فى بيان مدى اهتمام الأندلسيين بتجليد الكتب وصيانتها والمحافظة عليها .

ب - كتب التراجم :

وقد عُنى الأندلسيون عناية بالغة بتصنيف معاجم الأعلام وذاعت بينهم ذيوعاً واسعاً مما يعكس لنا المستوى الثقافى، واتساع الأفق العلمى فى جميع المجالات.

وقد أفدت من هذه المعاجم كثيراً من خلال ما أوردته من تراجم الشخصيات التى كان لها دور فى حركة المكتبات، مما أعاننى كثيراً فى دراستى .

ويعد كتاب " تاريخ علماء الأندلس " لابن الفرضى (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، من أهم كتب التراجم ذلك لأنه اشتمل على كثير من علماء الأندلس حتى عصره، وقد اعتمدت عليه فى إيراد جملة منهم كانت لديهم مكتبات خاصة، وجمع الكتب، والوراقة .

وتبعه ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م) ووضع كتابه "الصلة" وقد جعله ذيلاً على "تاريخ العلماء لابن الفرضي ؛ حيث يترجم للمشاهير فى الأندلس فى كل نواحى الحياة، وقد أكمل هذا الكتاب، وكانت له ذيول وهى (التكملة لكتاب الصلة) لابن الأبار (ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) وأتم التراجم حتى عصره «القرن السادس الهجرى» ثم وضع ابن الزبير (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) كتاب «صلة الصلة» لتراجم الأندلسيين حتى عصره، وكذلك كتاب " الذيل والتكملة لكتابَى الموصول والصلة " لابن عبد الملك المراكشى (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م) وهو يضم تراجم العلماء حتى أواخر القرن السابع الهجرى، ويقع فى تسعة أجزاء ضاع بعضها، وما عثر عليه قام على تحقيقه العالمان الجليلان: إحسان عباس، ومحمد بن شريفة . وقد أفدت من هذه المعاجم إفادات كثيرة تظهر بوضوح فى ثنايا البحث .

ومن أبرز كتب التراجم أيضاً كتابا "جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس " للحميدى (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) و"بغية الملتمس " للضبِّى (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، وقد أفدت كثيراً من التراجم التى وردت فيهما.

ويعد معجم "السفر" للسلفى (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م) من كتب التراجم المهمة، حيث خصصه لمن لقيهم من العلماء، ويحوى كثيراً من التراجم للأندلسيين، وقد أفدت منه فيما أورده عن شغف الأندلسيين بجمع الكتب .

- وقد أورد ابن القاضى (ت ١٠٢٥ هـ / ١١٦٢م) فى كتابه " جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس " جملة كبيرة من علماء الأندلس الذين حلوا بمدينة فاس، مما أفادنى كثيراً خاصة فيما يتعلق بمكتبة عائلة ابن ملجوم .

جـ - كتب الطبقات :

ويُقصد بها الكتب التى تعالج طائفة معينة من الناس كالفقهاء أو الشعراء أو الأطباء وغيرهم، وقد اعتمدت على تلك الكتب لاحتوائها على كثير من المعلومات والأخبار التى تفيد الدراسة .

ويعد كتاب " طبقات النحويين واللغويين " للزبيدى (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)، من أهم الكتب القليلة التى تستعرض سير النحويين واللغويين من صدر الإسلام إلى القرن الرابع الهجرى، وقد استفدت منه فيما أورده لأشخاص اهتموا باقتناء الكتب مثل: موسى الهوارى ومصير مكتبته.

ويضم كتـاب " طبـقـات الحكمـاء " لابن جُلْجُل (ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) تراجم الأطبـاء فى الأندلس، وقد أفدت منه خاصة فيما أورده عن الإهداء كمصدر من مصادر تزويد المكتبات الخلافية .

وتبعـه ابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) فوضع كتابه «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» ، وأفدت منه فيما أورد من تراجم للأندلسيين الأطباء ومكتباتهم الخاصة .

أما كتاب " طبقات الأمم " لصاعد الأندلسى (ت ٤٦٣هـ / ١٠٦٩م)، فقد تناول فيه الأمم المختلفة وما اشتهرت به من علوم . وقد أفدت منه فيما أورده عن المشتغلين بالعلوم المختلفة حتى عصر الطوائف وشغف الحكام بالعلوم مثل:الخليفة الناصر، وابنه الحكم، ومصير المكتبة الأموية وما تعرضت له من نهب وتدمير .

ومن المصادر التى اعتمدت عليها كتاب " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك " للقاضى عياض (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) ويتناول فيه تراجم رجال المذهب المالكى وحملة الفقه والعلم عنه، وخاصة فى بلاد المغرب والأندلس، وقد أورد فى ثنايا تلك التراجم نصوصاً مهمة تتعلق بالحركة المكتبية، وخاصة مكتبة الحكم وتكاليف شراء الكتب، مع إيراد كثير من المكتبات الخاصة، ووقف الكتب .

ويُعتبر كتاب "الحلة السيراء" لابن الأبار (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، من أهم الكتب التى تتناول شعراء الأندلس حتى عصره (منتصف القرن السابع الهجرى). وقد أفدت منه فيما يتعلق بالمكتبة الأموية، وأساليب الحصول على مجموعاتها .

وكذلك كتاب : «الكتيبة الكامنة فى من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة» لابن الخطيب وهو يُعرف فيه بشعراء الأندلس فى القرن الثامن الهجرى.

أما كتاب «تاريخ قضاة الأندلس» للنباهى (تُوفِّى أواخر القرن الثامن الهجرى)، فهو من الكتب المهمة التى تترجم للقضاة فى الأندلس حتى نهاية القرن الثامن الهجرى . وقد أفادنى إفادة جمة فيما يتعلق بحرق كتب أتباع ابن مسرة.

وكتاب «الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب» لمؤلفه ابن فرحون المالكى (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) يترجم فيه لأعيان المذهب المالكى وخاصة الأندلسيين منهم ؛ وقد أفدت كثيراً منه وخاصة فيما أورده عن مكتبة ابن فطيس، وأمناء المكتبات .

د - كتب الجغرافيا:

ومن أبرزها كتاب «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» للمقدسى (ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩١م) الذى اعتمدت عليه فى هذه الدراسة وخاصة فيما يتعلق بالوراقة.

وكتاب «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» للإدريسى (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، وقد أفرد فيه الإدريسى قسماً للحديث عن شمال أفريقيا والأندلس، وهو يصفها عن مشاهدة وخبرة شخصية ؛ وقد أمدنى بمعلومات عن صناعة الورق فى الأندلس .

ومن أهم المعاجم الجغرافية التى اعتمدت عليها (صفة جزيرة الأندلس) للحِمْيَرى (تُوفِّى أواخر القرن التاسع الهجرى)، وهو جزء من كتابه «الروض المعطار» ؛ فهو بجانب وصف مدن الأندلس لا يغفل الحوادث التاريخية ؛ وقد أفدت منه فى كثير من مواضع الدراسة .

ثانيا : مراجع الدراسة:

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد رجعت إلى الكثير من المراجع والدراسات الحديثة العربية والأجنبية؛ وذلك لتدعيم الآراء واستكمال صورة المكتبات فى الأندلس .

ومن بين المؤلفات التى اعتمدت عليها فى مجال المكتبات مؤلفات كل من فيليپ دى طرازى، ومحمد ماهر حماده، وشعبان خليفة، وعبد الستار الحلوجى، ومكى سباعى Sibai ، ومحمد محمد أمان، ويوسف العش، وريبيرا Ribera ، وپينتو Pinto ، وماكينسن Mackensen، وأحمد خان كبير Kabir ، وحامد الشافعى دياب.

أما المؤلفات فى تاريخ الأندلس والحضارة الإسلامية، فقد اعتمدت على مؤلفات السيد عبد العزيز سالم، وحسن على حسن، وعبد الحميد العبادى، وعبد العزيز الأهوانى، وحسين مؤنس، وأحمد شلبى... وغيرهم.

كما استعنت بما كتبه المستشرقون عن الإسلام وحضارته أمثال: بروفنسال Provencal ، ودوزى Dozy ، وشاك Schack ...... وغيرهم .

وهذه هى أهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية، التى اعتمدت عليها فى البحث وستكشف قائمة المصادر والمراجع فى نهاية البحث، عن مصادر ومراجع وبحوث أخرى عديدة.

الفصل الأول

المكتبات الأندلسية: النشأة والأنواع

توطئة:

تُعتبر المكتبات ـ على اختلاف أنواعها ومسمياتها ـ من أهم دعائم الحضارة ، فهى تقوم بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وتنظيمها وإتاحتها للجميع ، كما أنها تعطى صورة صادقة لمدى اهتمام الأمم والشعوب بالفكر والعلم ، مما يجعلها من أهم مقاييس التقدم والرقى.

وهذا الفصل يعرض للمكتبات قُبَيْل الحكم الإسلامى، ثم يستعرض دوافع إنشاء المكتبات وأنواعها ، التى وجدت فى الأندلس إبان الحكم الإسلامى، وهى المكتبات الخاصة سواء التى لدى الخلفاء أو الأفراد ، والمكتبات العامة ، والمكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس.

المكتبات قبيل الحكم الإسلامي:

في القرنين السادس والسابع الميلاديين، وفر القوط الغربيون - بعد اعتناقهم المسيحية - ظروفاً ملائمة لازدهار المعرفة، وكان لدى بعض الأساقفة مكتبات خاصة في الأديرة، كما هو الحال مع إيزدور الإشبيلي (٥٧٠ - ٦٣٦م) - أعلم أهل زمانه - وكان من الذين شغفوا بجمع الكتب، ومثالاً يحتذى في سعة الاطلاع، وقد جمع في موسوعته المسماة " الإيتمولوجيا: Etymoligiae أي الأصول : نتاج المعرفة المعاصرة ؛ وهي أول دائرة معارف مسيحية استمد مادتها من مكتبته الغنية[١]. والتي كانت تحتوي على الكتب الدينية، وكتابات آباء الكنيسة، والأعمال الملكية،والقانون المسيحي، والتاريخ، وعلم اللاهوت، والفلسفة،ونتاج المعرفة المعاصرة والعالمية[٢].

ونستطيع أن نكون لها صورة من خلال الأسطر التي بقيت إلى الآن، وكانت إذ ذاك تحلي الخزائن والجدران التي تعلق عليها أيضًا صور بارزة النقوش، ويبدو أن الباب كان عليه نقش يقول: "هناك كثير من المقدسات وكثير من الدنيويات " وتشير النقوش التي على الخزائن والجدران إلى الكتاب المقدس، والآباء والشعراء المسيحيين، ومؤرخي الكنيسة والمشرعين القدماء، وخصت قاعة النسخ ببيتين من الشعر[٣].

ومما سبق يمكن القول :أن هناك من الأدلة التاريخية ما يؤكد على وجود مكتبات في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي إلا أن هذه المكتبات كانت قليلة جداً، وتخص الأديرة التي يُعنى بأمرها الأساقفة، ولا يسمح بالاطلاع على محتوياتها إلا لرجال الدين وحدهم. ولهذا فإن هذه المكتبات لم تقم بدور خلاق في تاريخ المكتبات،وإنما اقتصرت رسالتها على مجرد الحفاظ على ما تضمه من كتب.

دوافع إنشاء المكتبات في الأندلس:

أقام المسلمون في الأندلس حضارة شامخة ارتكزت على مجموعة من الركائز من أبرزها تقدير العلم واحترام الكتب، مما أدى إلى الاهتمام بدور العلم ومؤسساته، بما في ذلك المكتبات باعتبارها مؤسسات حضارية، فانتشرت المكتبات في طول البلاد وعرضها.

فقد اقتدى الخلفاء الأمويون بالأندلس بالخلفاء العباسيين ببغداد في جمع المخطوطات والبحث عنها والتقاطها وأنشؤوا لها مكتبات قيّمة، وحبسوا عليها أوقافًا وافرة، وعينوا لها خَزَنة وقُوَّامًا وأمناء، وحشدوا نُسَّاخًا ومترجمين ومُذهِّبين، وكثرت المكتبات في قصور الملوك

والأمراء وبيوت العلماء والأغنياء فكل قصر أو بيت خلا من مكتبة عُد فارغاً من أهم رياشه وأثمن محتوياته، كما ضمت معظم المساجد مكتبات يؤمها الفقهاء والأدباء للمطالعة والاستفادة(٤).

وتعلق الأندلسيون بالكتب تعلقاً جعلهم يفرطون فى متاعهم ولا يفرطون فى كتبهم، وفى ذلك يقول عمر بن محمد بن معمر المريى،وهو الذى أجبرته الظروف على بيع كتبه:

قالت وابدت صفحة كالشمس من تحت القناع

بعت الدفاتر وهى آخر ما يباع من المتاع

فأجبتها ويدى على كبدى وهمت بانصداع

لا تعجبى مما رأيت فنحن فى زمن الضياع(٥).

وكان حب الكتب وانتشار المكتبات فى الأندلس نتيجة حتمية لالتزام المسلمين بتوجيهات القرآن والسنَّة التى حوت نصوصها الحث على طلب العلم وتحصيله من مظانه المختلفة، ورفع شأن العلماء، قال تعالى: (**هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) "(٦). وورد فى حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم "أن العلماء ورثة الأنبياء"(٧). كما حث الإسلام على نشر العلم، قال صلى الله عليه وسلم: «ما من شىء أعظم عند الله من رجل يعلم علماً فعلمه الناس»(٨).

وصارت محبة العلم والحرص على مدارسته ونشره جزءاً من كيانهم وكأنها استعداد فطرى، فهم " يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جارياً، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذى يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم"(٩).

ولما كانت الكتب هى أدوات العلم أقبل الأندلسيون على اقتناء الكتب وتكوين المكتبات وانتشرت موجة حب الكتب بين جميع طبقات المجتمع الأندلسى، سواء الأرستقراطية الإسلامية أو الطبقة المتوسطة من المسلمين (١٠).

وهكذا، فإن الدافع الرئيسى لحب الكتب وإنشاء المكتبات كان التزام الأندلسيين بتوجيهات القرآن والسنة بالإضافة إلى عوامل الازدهار العلمى التى سبق ذكرها، كما وجدت دوافع أخرى منها :-

- أن طريقة الحياة الخاصة للشعوب الإسلامية جعلت من الكتاب الوسيلة الوحيدة للتربية ويتمثل ذلك فى غيبة المؤسسات وعدم وجود معارض أو مسارح أو مجامع علمية منظمة؛ مما

جعل الكتاب وسيلتهم الرئيسية فى التربية[11]. فضلاً عن انتشار التعليم فى الأندلس،وجعل اللغة العربية _ لغة العلم فى العصور الوسطى ـ اللغة الرسمية فى الأندلس.

ـ انخفاض أسعار الورق مما جعل أسعار الكتب فى متناول الجميع، ، وذيوع مهنة الوراقة وكثرة الوَرَّاقين والنساخ[12]. وكان هذا سبباً فى كثرة الكتب، وتكوين المكتبات الخاصة، وانتشار المكتبات العامة فى المدن للأفراد غير القادرين .

ـ سهولة الكتابة العربية، وسرعة الخط واختصاره الشديد مقارنة بغيره من الخطوط فى اللغات الأخرى ؛ وذلك لبساطة تكوين الحروف فى أشكال بسيطة جداً،دون التواءات فى رسمها، مما يجعل الوقت اللازم لنسخ صفحة باللغة العربية ثلث الوقت اللازم لنسخها باللغة اللاتينية[13].

وهكذا، فإن عملية النسخ فى اللغة العربية وسهولتها مقارنة باللغات الأخرى، ساعدت على وفرة الكتب وكثرتها، وسهولة اقتنائها .

هذه هى أهم العوامل التى دفعت الأندلسيين إلى الاهتمام بالكتب والمكتبات، وتقدير دور هذه المؤسسات فى الرقى والتقدم؛ وكان هذا الاهتمام نابعاً من الدين الإسلامى وبعيداً عن أية مؤثرات خارجية.

أنواع المكتبات الأندلسية:

عُرف الأندلسيون بحب الكتب وتقدير العلم والأدب، وشغفوا باقتناء الكتب، بوصفها إحدى أدوات العلم والحافظة له، وكانت محبة الكتب ثمرة من ثمرات المجتمع المسلم الذى يقوم على العلم الذى هو جزء من العقيدة الإسلامية، ونشأت فى الأندلس أنواع متعددة من المكتبات الخاصة والعامة فى حين لم يعرف الغرب المسيحى سوى مكتبات الأديرة[14].

وكانت المكتبات الأندلسية توجد فى القصور الملكية أو البيوت الخاصة أو ملحقة بالجوامع والمساجد والمدارس، ومن ثَم يمكن تقسيم تلك المكتبات إلى فئتين عريضتين ؛ **مكتبات عامة** يُتاح للجميع استخدامها والاستفادة منها مثل مكتبات الوقف، ومكتبات المساجد والمدارس بل والحدائق، **ومكتبات خاصة**: وُيعنى بجمعها أفراد من الناس رغبة منهم فى العلم مثل المكتبات الخلافية لدى الخلفاء والأمراء،وكذلك مكتبات الأغنياء والعظماء والوزراء والعلماء وغيرهم من صنوف الناس، وفيما يلى عرض لتلك الأنواع:

١- مكتبات الخلفاء:

وهى من أعظم المكتبات فى الإسلام،وهى التى يقيمها الحكام والخلفاء والأمراء لأنفسهم، وكانت هذه المكتبات تزدهر حيث ومتى وجد حاكم محب للعلوم والآداب ويعشق الكتب، وكان يُباح دخول بعض هذه المكتبات للناس، والبعض الآخر محرماً على الناس مقصوراً على استعمال الخليفة وحاشيته(١٥).

والواقع أن الأمويين فى الأندلس أرادوا أن ينافسوا بنى العباس فى المشرق بحضارة أموية فى الأندلس فانتهجوا نهجهم فى الاهتمام بالعلم، وكان أغلب حكام الأندلس محبين للعلوم ومهتمين بنشر المعرفة والثقافة بين الشعب وأسسوا فى قصورهم مكتبات قيمة.

مكتبة الأمير عبد الرحمن الأوسط:

وقد ظهرت أولى هذه المكتبات فى أوائل القرن الثالث الهجرى، عندما أسس الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ هـ ـ ٢٣٨هـ) مكتبة ضخمة فى قرطبة، «وكان الأمير عبد الرحمن نصيراً للعلوم والآداب مولعاً بالفلك والتجيم، وأحاط نفسه بنخبة من العلماء وأدار عليهم الأرزاق والمنح»(١٦).

وقد بعث فى بداية عهده الشاعر الأندلسى عباس بن ناصح الجزيرى إلى المشرق للبحث عن الكتب القيمة واستنساخها، فجلب له منها طائفة كبيرة، وأتاه بكتاب السند هند وغيره من أمهات الكتب(١٧). كما قصده التجار بكتب الحكمة التى أُخذت من قصور العباسيين فى فتنة الأمين والمأمون التى عاصرت عهده(١٨).

وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط لا يتوانى فى إحضار الكتب المهمة من المشرق، فقد كان ضمن محتويات مكتبته كتاب (العَرُوض) للخليل بن أحمد، حيث حمله إليه تاجر عراقى، فاستعصى على الأمير فهمه...فلما بلغ الخبر الشاعر الأندلسى "عباس بن فرناس" سأل الأمير إخراج الكتاب إليه. ففعل فلما قرأه، قال : هذا الكتاب قبله ما يفسره،فأرسل الأمير إلى المشرق لإحضار الجزء الناقص فأتى بكتاب "الفرش"(١٩).

مكتبة الأمير محمد بن عبد الرحمن:

وكان لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ هـ ـ ٢٧٣هـ) مكتبة قيمة فى قصره، فقد ورث عن أبيه حبه للعلم وتقديره للعلماء فنشأ محباً للعلوم مؤثراً لأهل الحديث، عارفاً، حَسَن السيرة .

ولما دخل الأندلس " بقىّ بن مخلد"[٢٠]. بكتاب مُصنَّف ابن أبى شيبة[٢١] "وقُرئ عليه، أنكر جماعة من أهل الرأى ما فيه من الخلاف واستشنعوه، وبسطوا العامة عليه ومنعوه من قراءته إلى أن وصل الأمر إلى الأمير محمد فاستحضر إياهم واستحضر الكتاب، وجعل يتصفحه جزءاً جزءاً، حتى أتى على آخره، وقد ظنوا أنه يوافقهم فى الإنكار عليه، ثم قال لخازن كتبه : هذا كتاب لا تستغنى خزانتنا عنه فانظر فى نسخه لنا، ثم قال «لبقى بن مخلد : انشر علمك وارْوِ ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له»[٢٢]، وقد أشار المؤرخون عند الحديث عن تلك المكتبة على أنها أحسن ما فى مدينة قرطبة[٢٣].

مكتبة الخليفة الناصر :

وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ) مولعاً بجمع الكتب من سائر الآفاق وبلغت مكتبة القصر شهرة كبيرة، واحتوت على كتب بجميع اللغات، وكان الناصر متطلباً للعلوم الإلهية والأسرار الحكيمية فسمع به ملك الهند (ملو) فسير له كتاب «كليلة ودمنة" مصوراً» فى «الحكم والأمثال»، وكتاب سفر آدم عليه السلام فى علم الحروف «وكتاب» الحروف المنزلة على آدم عليه السلام»[٢٤].

وفى سنة ٣٢٧هـ/ ٩٤٨م، هاداه ملك القسطنطينية أرمانيوس بهدايا جليلة كان من جملتها كتاب «ديسقوريدوس» مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب، وبعث معه كتاب «هروشيس» صاحب القصص وهو تاريخ للروم عجيب فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الأول وفوائد عظيمة[٢٥].

مكتبة الخليفة الحكم المستنصر (المكتبة الأموية الكبرى):

وبلغت حركة جمع الكتب ذروتها فى عهد الخليفة الحكم الثانى (٣٥٠-٣٦٦ هـ)، الذى لم يُسمع فى الإسلام بخليفة بلغ مبلغه فى اقتناء الكتب والدواوين حتى وصلت مكتبة قرطبة فى عصره أقصى غايتها من العظم والفخامة؛ حتى صارت أعظم مكتبة فى العصر الوسيط فى العالم[٢٦].

وقد اعتبرها القلقشندى إحدى ثلاث مكتبات تفوقت على غيرها من المكتبات الإسلامية، يقول: «إن أعظم خزائن الكتب فى الإسلام ثلاث خزائن إحداها : خزانة الخلفاء العباسيين، والثانية : خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، والثالثة خزانة خلفاء بنى أميه بالأندلس ؛ وكانت

من أجلّ خزائن الكتب ولم تزل إلى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف فذهبت كتبها كل مذهب"[٢٧].

وفى أيام الخليفة الناصر شغف ولداه الحكم،وعبد الله، بجمع الكتب وكانا لا يرضيان عن مكتبة القصر، واتفقا فيما بينهما على التنافس أيهما يجمع مكتبة أكثر عدداً وأفضل اختياراً من الآخر، وبعد فترة من الزمن تُوفى «عبد الله» فى حياة أبيه مقتولاً[٢٨] فتصيرت كتبه إلى أخيه الحكم، ثم آلت إلى الحكم أيضاً مكتبة القصر بعد وفاة والده الناصر، فجمع بذلك مكتبات ثلاثًا هى: مكتبة القصر التى اشتملت على ما جمعه أسلافه، ومكتبه أخيه «عبد الله» ومكتبته الخاصة"[٢٩].

وكان الحكم ذا ثقافة عالية، ويصفه دوزى بقوله: «لم تشهد إسبانيا حاكماً عالماً مثله على الرغم من أن جميع أسلافه كانوا أهل ثقافة ميالين لملء مكتباتهم بالكتب، إلا أنه لم يكن فيهم من عُنى عنايته الكبيرة باقتناء الكتب القيمة والنادرة فكان له وكلاء فى القاهرة وبغداد ودمشق والإسكندرية يتصيدون الكتب القديمة والحديثة على السواء وينسخونها أو يشترونها له دون النظر إلى ارتفاع أثمانها"[٣٠].

وكان من نتائج تلك الجهود العلمية الضخمة التى بذلها الخليفة الحكم أن وصل عدد مجلدات مكتبته فى خبر لا يرقى إلى الشك ٤٠٠,٠٠٠ مجلد وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر فى نقلها[٣١]، وكانت فهارسها تقع فى ٤٤ فهرسة كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط[٣٢]. كما أنشأ الحكم فروعاً لمكتبته فى العاصمة والمدن لتيسير الاطلاع على العلم [٣٣].

ولقد كان مصير هذه المكتبة فاجعاً ذلك أن المنصور بن أبى عامر الذى أصبح سيد الأندلس بعد وفاة الحكم أمر بإخراج جميع الكتب الفلسفية وكتب علوم الأوائل من المكتبة وإحراقها إرضاء للعامة والفقهاء فى زمانه، ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها فى حصار البربر، وقد أمر بإخراجها وبيعها الحاجب «واضح» من موالى المنصور بن أبى عامر، ثم نهب ما بقى منها عند دخول البربر واقتحامهم إياها عنوة[٣٤].

مكتبة المنصور بن أبى عامر:

جاء بعد الخليفة الحكم ابنه هشام المؤيد، وبسبب صغر سنه صارت مقاليد الأمور بيد صاحبه المنصور بن أبى عامر «الذى كان محباً للعلوم مؤثراً للأدب مقدماً فى إكرام من ينسب إليهما ... وكان له مجلس معروف فى الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام بحضرته» [٣٥].

وكان للمنصور مكتبة كبيرة اختُص بها وولده من بعده، وكان يقوم على النظر فيها والإشراف على محتوياتها العلامة الوراق محمد بن عبد الرحمن اللغوى القرطبى (ت ٤٢٣هـ / ١٠٣١م). «وكان أعلم الناس بالكتب وعللها وألهجهم وأفرزهم لخطوطها، وأنسبهم إلى وراقيها، وكان يقوم بفحص الكتب ويقابل بين نسخها، هذا بالإضافة إلى براعته فى التاريخ فهو صاحب كتاب التاريخ فى الدولة العامرية»(٣٦).

وقد أنفق الحاجب المنصور بن أبى عامر بسخاء لجمع الكتب النادرة لمكتبته، فقد قيل إنه دفع ٥٠٠٠ دينار ذهبى للحصول على كتاب الفصوص، الذى كتبه صاعد البغدادى سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢١م(٣٧).

مكتبة المظفر بن الأفطس:

وفى عصر دول الطوائف (٤٢٢هـ - ٤٨٤هـ) انتشرت المكتبات الخلافية انتشاراً كبيراً؛ فقد كان أغلب حكام دول الطوائف يشجعون العلم ويعشقون الكتب ويهتمون باقتنائها.

ومن أشهر تلك المكتبات مكتبة المظفر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) صاحب بطليوس، ولم يكن فى ملوك الأندلس من يفوقه أدباً ومعرفة؛ فقد ذكر المؤرخون أنه كان " أديب ملوك عصره، غير مُدافَع ولا مُنازَع، وله التصنيف الرائق، والتأليف الفائق، المعنون "بالتذكرة "، وقد اشتهر بين الناس باسم الكتاب المظفرى فى خمسين مجلداً، وهو يشتمل على فنون وعلوم من مغاز وسيَر وَمَثل وخبر وجميع ما يختص به علم الأدب"(٣٨).

«وقد قام المظفر بتأليف هذا الكتاب بخاصة نفسه، ولم يستعن فيه بأحد سوى كاتبه أبى عثمان سعيد بن خيرة، وقيل إنه اختصر فيه خزائنه الزاخرة بنفائس الكتب ... ولكثرته لا يتمكن كل الناس من اكتسابه فإنه لا يصلح إلا لخزائن الملوك(٣٩)».

مكتبة الخليفة المؤتمن:

وكان لدى المؤتمن (٤٧٤هـ - ٤٧٨هـ) صاحب سرقسطة من بنى هود، مكتبة قيمة، وكان يعقد بها مجلساً يحضره العلماء والأدباء. وفى ذلك يقول الأمير ابن بلقين فى مذكراته: «لقد أخبرنى بعض من حضر مجلسه من أعلام عصره أنه كان يريهم ذخائره التى لم تجتمع مثلها عند ملك» (٤٠).

وكان المؤتمن يرعى العلوم وخاصة الفلسفة والرياضيات والفلك، وقد ألف كتاباً فى علم الفلك وعلق عليه موسى بن ميمون(٤١).

مكتبة الأمير مجاهد العامرى:

وكان الأمير مجاهد العامرى صاحب دانية (٤٠٠ هـ _ ٤٣٦هـ) لديه خزانة كتب كبيرة، يقول ابن حيان: "كان مجاهد فتى أمراء دهره، وأديب ملوك عصره، لمشاركته فى علوم اللسان، ونفوذه فى علوم القرآن، عُنى بذلك منذ صباه إلى حين اكتهاله ..." حتى صار فى المعرفة نسيج وحده، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمة، واجتمع بفنائه العلماء[٤٢].

مكتبة بنى عباد الملوكية :

وتعد مكتبة بنى عباد من أشهر المكتبات الملوكية،وأغلب الظن أنها كانت بإحدى قصور إشبيلية - وذلك على عادة حكام الأندلس وأمرائها - حيث كانت بإشبيلية قاعدة ملكهم عدة قصور أشهرها قصر الإمارة، وهو القصر المبارك[٤٣].

وقد بذل "المعتضد بن عباد"(٤٣٣ هـ - ٤٦١ هـ) (الكثير فى تزويد تلك المكتبة بالكتب والصحائف وأكثر من المطالعة بها، حيث يذكر ابن حيان عنه " ونظر مع ذلك فى الأدب قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان، وأدنى نظر بأذكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه، على قطعة وافرة، علقها من غير تعهد لها، ولا إمعان فى غمارها، ولا إكثار من مطالعتها، ولا منافسة فى اقتناء صحائفها، أعطيته سجيته على ذلك ما شاء من تحبير الكلام،وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة، فى معان أمدته فيها الطبيعة، وبلغ فيها الإرادة واقتبسها الأدباء للبراعة"[٤٤].

ولا شك أن المعتمد بن عباد (٤٦١ - ٤٨٤هـ) قد تعهد تلك المكتبة بعد وفاة أبيه،فقد كان من أهل العلم والأدب، يقول المراكشى : "وكان المعتمد يشبه بهارون الواثق بالله من ملوك بنى العباس ذكاء نفس وغزارة أدب وكان شعره وكأنه الحلل المنشرة، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس"[٤٥]. ويذكر عبد الواحد المراكشى أن المعتمد كانت له مكتبة موضوعة فى قبة له فكان يكتب فيها ويطالع[٤٦].

وكان شرف الدولة بن المعتمد بن عباد من هواة الكتب المشهورين فى إشبيلية فهو من «أحسن الناس سمتاً وأكثرهم صمتاً تخجله اللفظة، وتجرحه اللحظة، حريص على طلب الأدب، مسارع فى اقتناء الكتب، مثابر على نسخ الدواوين، مفتح فيها من خطه زهر الرياحين»[٤٧].

وكان الراضى بن المعتمد حاكم الجزيرة الخضراء[٤٨] لديه خزانة كتب قيمة تحتوى على الكثير من الكتب النادرة ومنها نسخة من كتاب «الرايات» لمؤلفه محمد بن موسى الرازى المتوفى سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م، يذكر فيها رايات المسلمين الداخلين الأندلس[٤٩].

مكتبة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن:

وهى من أبرز مكتبات الخلفاء التى وجدت فى الأندلس على عهد الموحدين، فقد كان «يوسف بن عبد المؤمن» والياً على إشبيلية من قبَل أبيه فى الفترة (٥٥١هـ - ٥٨٨هـ)؛ مما أثرى حياته العلمية وجعله متنوع الثقافة وحظى بقسط وافر من العلوم المختلفة، وشغف بدراسة علم الفلسفة ورغب فيه، وقد عبر عن ذلك المراكشى بقوله: «ثم طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة.. وأمر بجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموى»[٥٠].

وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ هـ - ٥٨٠هـ) يجمع الكتب من كل مكان ويضمها إلى المكتبة الملكية أو الخزانة العلمية كما كانت تُسمى[٥١]، ويروى لنا المراكشى طرفاً من هذه الجهود وكيف وقع عمال الخليفة على مجموعات عظيمة من كتب الطب والفلك لدى رجل من إشبيلية يعرف بأبى الحجاج المرانى، وأن هذه الكتب كانت قد وقعت إلى أبيه أيام الفتنة بالأندلس ·[٥٢].

مكتبة الوالى محمد بن أبى إبراهيم :

ومن المكتبات الشهيرة فى العصر الموحدى تلك التى أنشأها والى غرناطة محمد بن أبى إبراهيم (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م)، «فقد وقع اختيار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ) عليه لولاية غرناطة وكانت له مشاركة فى الأدب ومطالعة على كتب التواريخ وهمة عالية فى الكتب واقتنائها وانتساخها حتى اجتمعت له منها خزانة كتب عظيمة عالية الفنون»[٥٣].

مكتبة الوالى إسماعيل بن عبد المؤمن:

ومن الولاة الموحدين الذين اهتموا بإنشاء المكتبات فى قصورهم أبو إبراهيم إسماعيل بن عبد المؤمن[٥٤] الذى ولى إشبيلية من قبل أخيه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وكانت لديه خزانة كتب كبيرة حرص على تزويدها بمختلف الكتب فى كافة فروع العلم، وقد رتب فيها عدداً من النساخ تفرغوا لنسخ ما يريده من كتب لإيداعها فى هذه الخزانة، وكان على رأس هؤلاء النساخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عُفير المتوفى (قبل ٥٨٠ هـ / ١١٨٥م)[٥٥].

المكتبة السلطانية بقصر الحمراء:

وعندما انحصر الحكم الإسلامى فى غرناطة، وجدت بعض المكتبات الخلافية من أهمها خزانة الكتب السلطانية بقصر الحمراء، وقام الوزير أبو عبدالله بن المحروق بتعين محمد

أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمى (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) مديراً لها، واختص بالنظر فى خزانة الكتب السلطانية وأجرى عليه الجراية"(٥٦).

وكان السلطان المقدس المجاهد أبو الحجاج يوسف الأول بن نصر (٧٣٣هـ - ٧٥٥هـ) يزود تلك المكتبة بكتب ابن الخطيب مثل كتاب «تخليص الذهب فى اختيار عيون الأدب» وكتاب «جيش التوشيح» وكتاب «التاج المُحلَّى فى مساجلة القَدَح المُعلَّى» (٥٧).

٢- المكتبات الخاصة

وتنبع خصوصيتها من أن الأفراد يكونونها لمصلحتهم وبأموالهم ووفقًا لميولهم واتجاهاتهم العلمية، وتعد المكتبات الخاصة أول أنواع المكتبات الأندلسية ظهوراً، وأكثرها عدداً وأوسعها انتشارًا؛ فقد انتشرت فى جميع أنحاء الأندلس انتشاراً هائلاً، حتى صارت إحدى ملامح المجتمع البارزة، وحرص العلماء الأغنياء على اقتناء مجموعات ضخمة من الكتب حتى ليمكن القول بأنه لم يوجد عالم من علماء الأندلس إلا لديه خزانة كتب خاصة ؛ حيث كان من مستلزمات مكانتهم العلمية أن تكون لهم مكتباتهم الخاصة التى يُرجع إليها للتثقيف والمعرفة، ويُستعان بها فى التأليف والتصنيف.

وقد حفلت كتب التراجم والطبقات الأندلسية بذكر أخبار جمَّاعى الكتب وتوجد عبارات لها دلالتها فى هذا الشأن، منها: (واقتنى من الدفاتر والدواوين كثيراً، وجمع من الدواوين العتيقة شيئاً عظيماً، وكان مولعاً باقتناء نفائس الكتب، وكانت له همة عالية فى جمع الكتب، وكان سرى الهمة فى اقتناء الكتب، وجمع كتبًا لا تُحصى، وعُنى بجمع الكتب واقتناء الأصول، وجمع من الأصول النفيسة ما أعجز أهل زمانه، وكان معتنياً بجمع الكتب وانتساخها، ولم يكن بالأندلس أكثر منه كتباً.... إلخ).

فهذه العبارات وغيرها تدل دلالة واضحة على انتشار عادة جمع الكتب واقتنائها بين الأندلسيين، وفى هذا يصدق المثل القائل: «الناس على دين ملوكهم» حيث لم يكن الأفراد أقل اهتماماً من الخلفاء والأمراء بجمع الكتب وتكوين المكتبات، ولقد تفشت هواية جمع الكتب بين جميع أفراد المجتمع الأندلسى نتيجة لما نعمت به الأندلس من ازدهار علمى، ورخاء اقتصادى.

مكتبة ابن حبيب:

ومن أوائل المكتبات الشخصية مكتبة الفقيه عبد الملك بن حبيب بن مرداس السلمى (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م). قال ابن عبد البر: «وكان جماعاً للعلم، كثير الكتب، طويل اللسان فقيهاً نحوياً عروضياً، شاعرا نسابة إخبارياً، وكان أكثر من يختلف إليه الملوك وأبناؤهم»(٥٨).

وقال إبراهيم بن المنذر الجزامى: «أتانى صاحبكم ابن حبيب بغرارة مملوءة كتباً فقال لى: هذا علمك تجيزه لى؟ فقلت له: نعم، ما قرأ علىَّ منه حرفاً، ولا قرأته عليه» (٥٩)، وتعد مكتبة ابن حبيب هذه أول مكتبة أندلسية خاصة تذكرها المصادر التى بين أيدينا.

مكتبة محمد بن حزم:

لم يكن تأسيس المكتبات مقصورًا على الأغنياء وحدهم،وإنما كان البسطاء وذوو الدخول المحدودة يعنون بأن تكون لهم مكتباتهم الخاصة فى بيوتهم فى ضوء ما تسمح به إمكاناتهم ويقدمونها على مظاهر الحياة الأخرى كالملبس والمأكل، ولدينا معلومات عن صاحب كُتَّاب يدعى محمد بن حزم (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)(٦٠). «يعلم الأولاد فيه بمساعدة ابن له يقوم على تعليم الصبيان، وابنة تقوم على تعليم الفتيات، والمبالغ التى يدخرها يشترى بها كتباً، وفى أوقات الفراغ يقوم بنسخ الكتب التى يعيرها له أصدقاؤه . وبالرغم من ظروفه المتواضعة التى لا تسمح له أن يستخدم خازناً لمكتبته، كانت مكتبته منظمة،وفيها كتب قيمة وأحياناً نادرة، وكان أدباء قرطبة يحسدونه على دقة كتبه وروعتها، التى أحضرها فى رحلة كانت له إلى المشرق لهذا الغرض، وكان راوية للأدب والطرف، ولم يكن قبله أجمع للدواوين منه، ولا أصبر على الكتاب، ولا أدوم على النظر، وخرج حاجاً فأدركته الوفاة فى مسيرة وقد ركب البحر فكُفِّن، وصُلى عليه وأُلقى فى البحر»(٦١).

مكتبة ابن كيسان:

وكان لدى أبى زكريا، يحيى بن عابد بن كيسان (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٦م) مولى هشام بن عبد الملك مكتبة قيمة،ويروى ابن الفرضى عنه أنه قال: «لو عددت أيام مشيى فى المشرق وعددت كتبى التى كتبت هناك بخطى لكانت كتبى أكثر من أيامى بها، وقضى اثنتين وعشرين سنة»(٦٢)، ويعنى ذلك أنه كان ينسخ كل يوم كتابًا، ولذا فإن مكتبته كانت تحتوى على أكثر من ثمانية آلاف مجلد.

مكتبة ابن ميمون:

ومن أشهر مكتبات مدينة طليطلة، مكتبة أحمد بن محمد بن عبيدة الأموى المعروف بابن ميمون (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م) الذى " جمع من الكتب كثيراً فى كل فن، وكانت جُلها بخط يده، وكانت منتخبة مضبوطة صحاحاً، أمهات لا يدع فيها شبهة مهملة، وقل ما يجوز عليه فيها خطأ ولا وهم، وكان لا يزال يتتبع ما يجده فى كتبه من السقط والخلل بزيادة فى اللفظ

أو نقصان منه فيصلحه حيث ما وجده ويعيده إلى الصواب، وكانت كتبه وكتب صاحبه إبراهيم ابن محمد أصح كتب بطليطلة"(٦٣).

ومن الطريف أنه يوم وقع الحريق فى سوق طليطلة احترقت دار ابن ميمون " إلا البيت الذى كانت فيه كتب أحمد، وكان ذلك الوقت فى الرباط، وعجب الناس من ذلك، وكانوا يقصدون البيت ينظرون إليه"(٦٤).

مكتبة القاضى أبى المطرف عبد الرحمن بن فطيس:

ومن أشهر المكتبات الشخصية مكتبة القاضى أبى المطرف عبد الرحمن محمد بن عيسى ابن أصبغ (ت ٤٠٢ هـ -١٠١١م)، «وكان حسن الخط جيد الضبط، جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من أهل عصره .... وكان له ستة وراقين ينسخون له دائمًا»، وكان قد رتب لهم على ذلك راتباً معلوماً، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه، وبالغ فى ثمنه فإن قدر على ابتياعه وإلا انتسخه منه ورده عليه، وأخبرنى حفيده أن أهل قرطبة اجتمعوا لبيع كتب جده هذا مدة عام كامل فى مسجده فى الفتنة فى الغلاء وأنه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية"(٦٥).

"وكان لا يعير كتاباً من أصوله البتة: وكان إذا سأله أحد ذلك وألحف عليه السؤال، أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه عنده"(٦٦).

وقد أعد لمكتبته مكاناً خاصاً وتفنن فى زخرفته " وكانت كتبه فى مجلس جدرانه بالخضرة وسمكه ومسطحه والبرطل أمامه، والبسط الذى فيه والنمارق كلها خضر"(٦٧).

مكتبة فاتن الصقلبى:

وقد جمع فاتنٌ - أحد موالى المنصور الصقالبة - (ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١م) فى خزانته عدداً كبيراً من الكتب المضبوطة الصحيحة، "وكان أَوْحَد لا نظير له فى علم كلام العرب، وناظر صاعد فقطعه وظهر عليه وبكته فأعجب المنصور منه، ولما تُوفى فاتن بيعت فى تركته كتب مضبوطة جليلة مصححة"(٦٨).

مكتبة ابن الفرضى:

وكان ابن الفرضى، عبد الله بن محمد بن نصر الأزدى (٤٠٢هـ - ١٠١٢م) من العلماء الذين لديهم مكتبة عامرة تعينه على التأليف والتصنيف ؛ "فقد كان جماعاً للكتب حتى اقتنى منها عدداً كبيراً لم يَقْتنِه أحد من أهل قرطبة"(٦٩).

مكتبة ابن النوالة :

وكان إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن النوالة (تُوفى فى بداية القرن الخامس الهجرى) لديه مكتبة يستعان بها فى التأليف والتصنيف؛ وصفه الحجازى بأنه «مما كان يؤخذ من ماله وأدبه، وأنه استعان بخزائن كتبه على ما صنفه كتاب المسهب»(٧٠).

مكتبة الوزير ابن عباس :

من أشهر هواة الكتب فى المرية الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس (ت ٤٢٧هـ / ١٠٢٥م)، «وكان قد بذ أهل زمانه بأربعة أشياء: المال، والعجب، والبخل، والكتابة، ويُقال إن ماجمعه من الدفاتر بلغت أربعمائة ألف مجلد، أما الدفاتر المخرومة فلم يوقف على عددها لكثرتها»(٧١).

ويقول عنه ابن الخطيب إنه " كان جامعاً للدواوين العلمية معنياً بها مقتنياً للجيد منها، مغالياً فيها، نفاعاً من خصه بها، لا يستخرج منها شىء لفرط بخله بها إلا لسبيلها حتى لقد أثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها، وجمع منها ما لم يكن عند ملك"(٧٢).

مكتبة ابن الموصل :

وكان ابن الموصل، محمد بن يحيى الغافقى (ت ٤٣٣هـ / ١٠٤١م) أديباً كاتباً جماعاً لدفاتر العلم من لدن صباه، مقتنياً لكرائمها، بصيراً بخيارها، عارفاً بخطوطها يحتكم إليه فى ذلك، مؤثراً لها على كل لذة حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع لأحد بالأندلس بعد الخليفة الحكم، وبعد وفاته باع ورثته المكتبة وأغلوا فيها حتى قُوِّمت الورقة فى بعضها بربع مثقال"(٧٣).

مكتبة الفقيه ابن حزم:

ومن المكتبات التى نالت شهرة كبيرة فى الأندلس، مكتبة ابن حزم، محمد بن على (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) وهو الفقيه الظاهرى، وقد كون مكتبة شخصية كبرى، ولكنها أُحرقت أو أحرق بعضها بأمر ملك إشبيلية المعتضد بن عباد(٧٤).

وقال ابنه رافع الفضل: «اجتمع عندى بخط أبى من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة»(٧٥).

مكتبة ابن حيان الأروشى:

وكان عبد الله بن حيان الأروشى (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) له همة عالية فى اقتناء الكتب وجمعها، وجمع من ذلك شيئاً عظمياً، وقد تعرضت مكتبته لنكبة لا يُعرف سببها، فقد ذكر المؤرخون أن المأمون بن ذى النون صاحب بلنسية «أخذ كتب الأروشى من داره وسيقت إلى قصره، بلغت مائة وثلاثة وأربعين عدلاً من أعدال الحمالين، يقدر كل عدل بعشرة أرباع، وقيل: انه كان قد أخفى منها نحو الثلث»(٧٦).

مكتبة ابن رويبل :

وكان لدى ابن رويبل، سليمان بن عبد الملك (ت ٥٣٠هـ / ١١٣٦م) مكتبة قيمة، فقد اشتهر ابن رويبل "بجمع الدواوين، واقتناء الأصول، وكتب بخطه الحسن علماً كثيراً"(٧٧).

مكتبة ابن عطاف العقيلى:

وكان أبو جعفر، أحمد بن الحصن بن عطاف العقيلى (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) يمتلك مكتبة كبيرة، فقد «كان أعلى عصره همة فى اقتناء الكتب وأشدهم اعتناءً بها ينتخبها ويتخذ لأعلاقها صوانات وحفائظ وجمع منها فى كل فن الكثير والنفيس، وكتب بخطه كثيراً»(٧٨).

مكتبة ابن العربى المعافرى :

كان القاضى محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م) يتيح مكتبته لأقرانه؛ «قال القاضى أبو القاسم : كنا نبيت معه فى منزله بقرطبة فكانت الكتب عن يمين وعن شمال، وينام فى مكتبته إذا غلبه النوم دون أن يغير أثوابه، وكلما استيقظ مد يده إلى كتاب والمصباح لا يطفأ»(٧٩).

مكتبة عائلة ابن ملجوم:

ومن أشهر المكتبات الأندلسية مكتبة عائلة ابن ملجوم التى استوطنت الأندلس منذ نهاية القرن الخامس الهجرى، فقد كان عيسى بن يوسف بن على الأزدى المعروف بابن ملجوم (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م) "راوية مكثراً جمَّاعة للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، وبذل مالاً جليلاً للحصول على الأصول لمكتبته"(٨٠).

كما كان لدى عبد الرحمن بن يوسف بن ملجوم (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) خزانة دفاتر جليلة الشأن، لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها، وتصدق بها على ابنة له، ولم يترك عقباً غيرها،

ويقال : إنها باعتها بأربعة آلاف دينار(٨١). واقتنى عبد الرحيم بن عيسى بن ملجوم (ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) من الدفاتر والدواوين كثيراً ؛ وآلت إليه مكتبة والده عيسى وخزانة عمه عبد الرحمن، كما صارت إليه مكتبة أستاذه محمد بن أحمد الخزرجى الجيانى، وكانت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر(٨٢).

مكتبة ابن عمر الصنهاجى :

ومن الشخصيات التى اشتهرت بجمع الكتب فى العصر المرابطى المنصور بن داود بن عمر الصنهاجى اللمتونى (ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢م)، وكان «ملوكى الأدوات سامى الهمة نزيه النفس، راغباً فى العلم منافساً فى الدواوين العتيقة والأصول النفيسة جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه»(٨٣).

مكتبة ابن الصقر الخزرجى:

وكان لدى أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م) مكتبة عظيمة مليئة بالذخائر والنفائس، «وقد اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى ما نسخه بخطه الرائق، ولكنه نُكب فى مكتبته بضروب من المحن كالغرق والنهب خلال فتنة كانت وقعت أيام مقامه بغرناطة، كذلك نهبت كتبه بمراكش حين دخلها عبد المؤمن ٥٤١ هـ / ١١٤٦م، وكان معه عند توجهه إلى مراكش خمسة أحمال كتباً»(٨٤).

مكتبة ابن خير الإشبيلى:

وقد جمع ابن خير الإشبيلى (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م) مكتبة ضخمة «وكانت كتبه غاية فى الصحة والإتقان، فقد خصص كل وقته لتصحيح كتبه ومعالجتها مع حسن خطه وجودة تقييده وضبطه فلحق بالمتقدمين وأربى على المتأخرين، وأدى ذلك إلى المغالاة فيها بعد وفاته، وتنافس الناس فى اقتناء ما يوجد بخطه حتى بلغت أثمانها الغاية، ولم يكن له نظير فى هذا الشأن مع الحظ الأوفر من علوم اللسان»(٨٥).

مكتبة أسرة بنى الفرس:

وكونت أسرة بنى الفرس مكتبة قيمة،وهى من الأسر العلمية فى الأندلس، وظهر فيها عدد من العلماء من أبرزهم : محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس (ت ٥٦٧هـ / ١١٧١م)، وكان فى وقته أحد حفاظ الأندلس مع المعرفة بالآداب والأغربة إلى الضبط وجودة الخط،

وكانت أصوله أعلاقاً نفيسة لا نظير لها، جمع منها شيئاً عظيما، وكتب بخطه أكثرها) [٨٦] وانتقلت هذه المكتبة فيما يبدو إلى ابنه عبد المنعم بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، فقد كان فقيهاً تولى القضاء فى عدد من المدن الأندلسية [٨٧]، وقد زود هذه المكتبة بعدد كبير من الكتب، ثم صارت إلى أحد أبنائه وهو عبد الرحمن بن عبد المنعم (ت ٦٣٣هـ / ١٢٦٥م) ثم أصابها ما أصاب غيرها من الضياع أو الحرق نتيجة الزحف النصرانى.

مكتبة ابن حسان الإشبيلى :

وكان أبو القاسم أحمد بن حسان الإشبيلى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): «من جلة رؤساء بلده وأتمهم مروءة وأكملهم سراوة ... جانحاً إلى الأدب حافظاً للأخبار حسن الكتابة، نبيل الخط عدلاً، عنى بجمع دفاتر العلم فاقتنى من أصولها العتيقة كثيراً»[٨٨]. وكانت مكتبته فى بهو قصره الذى ملأه من الكتب، «وكان الناس يلجأون إلى خزانة كتبه فى حالة احتياج الكتب»[٨٩].

مكتبة ابن العشاب:

ومن الذين تفخر بهم الأندلس فى عشق الكتب وتكوين المكتبات أحمد بن مفرج الأموى المعروف بالعشاب ابن الرومية (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)، فقد كان لديه مكتبة من كبريات المكتبات الخاصة فى هذا العصر، فكان «كثير الكتب جماعاً لها، فى كل فن من فنون العلم سمحاً لطلبة العلم، وربما وهب منها لملتمسه الأصل النفيس الذى يعز وجوده احتساباً وإعانة على التعلم»[٩٠].

مكتبة ابن البناء الإشبيلى :

وكان أبو بكر محمد بن البناء الإشبيلى (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) مولعاً باقتناء نفائس الكتب، كما كان مولعاً بنسخ الكتب النفيسة، ويودعها مكتبته، وقد اتسعت هذه المكتبة للكثير من الكتب حتى قيل إنه لما غادر إشبيلية حمل معه نحواً من خمسمائة كتاب بخط يده[٩١].

مكتبة ابن حكم القرشى:

وكان أبو عثمان سعيد بن حكم القرشى (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨٢م) حسن الخط بارع المنازع فيه، يكتب خطوطاً مختلفة كلها فى نهاية الحسن شديد العناية بجمع الدفاتر وأعلاق الكتب حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، وكون مكتبة ضخمة ؛ إذ كان مقصوداً بها من المسلمين والنصارى فكان يتخدم بها إليه النصارى ويتقرب بها إليه المسلمون[٩٢].

مكتبة ابن سعيد:

وكان على بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) «واسطة عقد بيته، ودرة قومه، المصنف الأديب الرحال، الطرفة الإخبارى، العجيب الشأن فى التجول فى الأقطار ومداخلة الأعيان والتمتع بالخزائن العلمية، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية، استعان بمكتبته فى كتابه مؤلفاته العديدة، وقيل إنه خلف كتاباً يسمى «المرزمة» يشتمل على وقر بعير من رُزَم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله عز وجل(٩٣).

مكتبة آل عظيمة:

ومن أشهر المكتبات الخاصة فى الجزيرة الخضراء مكتبة آل عظيمة، وقد حرص ابن عبد الملك المراكشى على زيارتها عندما نزل بالجزيرة الخضراء، قال: «وقد وقفت بالجزيرة الخضراء عند صاحبنا أبى عياش بن الطفيل على جملة وافرة من كتب سلفه مما تملكوه أو كتبوه أو ألفه مؤلفوه»(٩٤).

مكتبة ابن الزبير:

وكان أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) يمتلك مكتبة خاصة، ونظراً لعلو مكانته سعى الوشاة بينه وبين حاكم مالقة، حتى أجبروه على الرحيل إلى غرناطة، ودهموا منزله، واستولت الأيدى على مكتبته الخاصة التى بها ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه مما سبب له حسرة كبيرة، ولجأ إلى سلطان غرناطة محمد الأول بن يوسف (٦٣٥هـ - ٦٧١هـ) الذى أكرم مثواه، وعرف قدره، ورد إليه مكتبته (٩٥).

مكتبة الوزير بن الحكيم اللخمى:

وكان الوزير محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمى (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨هـ) ممن يعشقون اقتناء الكتب، وكانت لديه مكتبة قيمة، قال عنه ابن الخطيب «وكان ذا صبابة باقتناء الكتب، جمع من أمهاتها العتيقة وأصولها الرائقة الأنيقة ما لم يجمعه فى تلك العصور أحد سواه، ولا ظفرت به يداه.... أحيا معالم الأدب، وأكرم العلماء، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع، وأفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، وأثرت أنديته من ذخائرها، وقد استولت أيدى الغوغاء يوم قتله على تلك الكنوز فنهبتها وأتلفتها»(٩٦).

مكتبة ابن جزيء الكلبي:

وممن كان لديه مكتبة خاصة محمد بن أحمد جزيء الكلبي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠هـ)، فقد كان عاكفاً على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيهاً حافظاً قائماً على التدريس مشاركاً في فنون العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب مستوعباً للأقوال جماعاً للكتب ملوكي الخزانة، له تواليف كثيرة» (٩٧).

مكتبة ابن حربلة :

وكان الشيخ الخطيب أبو عبد الله بن حربلة (ت قبل ٧٦٠ هـ / ١٣٥٩م) «عنده خزانة كتب أسفارها عديدة وأغراضها سديدة» (٩٨).

مكتبة ابن ليون:

يذكر ابن الخطيب عن الشيخ سعيد بن أحمد بن ليون قوله: «وكانت بضاعته خزانة كتب جمعت الآباء والأمهات والفرقد والمهاء والحقائق والترهات، ولا يزال عاكفاً على دنانها جانياً لألفاف جنانها»(٩٩).

ولم يقتصر أمر تكوين المكتبات الخاصة على الرجال فقط، فقد شاركت المرأة الأندلسية الرجال في هواية جمع الكتب، ووجد نساء كانت لهن مكتبات، مثل: عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) «ولم يكن في الأندلس من يَعْدلُها فهماً وعلماً وأدباً وشعراً وفصاحة وعفة وجزالة، وكانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها، ولا تُرد شفاعتها. وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب، وتُعنى بالعلم، وكانت لها خزانة علم كبيرة وحسنة، ولها غنى وثروة تعينها على المروءة» (١٠٠). وكانت راضية مولاة الإمام عبد الرحمن بن محمد الناصر تدعى بنجم (ت ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م) على مثل تلك الحال «روى عنها أبو محمد بن خزرج وقال : عندي بعض كتبها»(١٠١). وكانت خديجة بنت جعفر بن نصر التميمي زوج عبد الله بن أسد الفقيه لديها مكتبة فقد «حدثت عن زوجها عبد الله وقيدت سماعها بخطها في سنه ٢٩٤هـ ... وحبست مكتبتها عند ابنتها»(١٠٢).

وعلى الجانب الآخر وجد من الأندلسيين من يهتم بجمع واقتناء الكتب من أجل التباهي والتظاهر، وليس لأغراض العلم والمعرفة «حتى إن الرئيس منهم لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلا لأن يُقال : فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به»(١٠٣).

ويروى لنا المقرّى التلمسانى قصة تدل على مدى حب الأندلسيين للكتب، وأن هذا الشغف شاع بين الأغنياء ذوى الحظ اليسير من العلم، فقد كان من مظاهر الغنى الافتخار بامتلاك مكتبة فهى من شارات الوجاهة والرئاسة عندهم، يقول المقرى نقلاً عن الحضرمى (١٠٤).

أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء . إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد ثمنه فيرجع إلى المنادى بالزيادة على، إلى أن بلغ فوق حده فقلت له : يا هذا، أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوى، قال : فأرانى شخصاً عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده ؛ قال : فقال لى : لست بفقيه، ولا أدرى ما فيه، ولكنى أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب ؛ فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير؛ قال الحضرمى : فأحرجنى، وحملنى على أن قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك، يعطى الجوز من لا عنده أسنان، وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به، يكون الرزق عندى قليلاً، وتحول قلة ما بيدى بينى وبينه.(١٠٥).

ويرجع ذلك إلى ازدياد الثراء فى الأندلس، وصارت خزانة الكتب من أثمن محتويات المنزل يُفتخر بها بين الناس وخاصة الكتب ذات التجليد الفخم التى تنم عن الغنى والثراء، ويذكر د. شعبان خليفة معلقاً على تلك القصة أن بعض الأندلسيين كانوا يقلدون اليونانيين والرومان فى مجرد تكوين مكتبة شخصية لمجرد التباهى والتظاهر بالعلم والثقافة(١٠٦).

وتشير هذه القصة إلى أن الكتب كانت تباع فى مزاد علنى يقوم عليه دلال «المنادى» كما تدل على وجود سوق خاص بالكتب فى كل مدينة أندلسية، أشهرها سوق قرطبة.

ولقد بلغ حب الكتب عند الأندلسيين كل مبلغ حتى إنهم كانوا يفضلون اقتناء الكتب على شراء الملبس أو المآكل، فربما خرج الواحد منهم بالدراهم ليشترى قوتاً لنفسه وعياله فيصادف فى طريقه كتابًا يُباع فيشتريه ويرجع بالكتاب بدلاً من الطعام، ويبقى هو وعياله طاوين إلى أن ييسر الله المال لشراء الطعام(١٠٧).

وكانوا يعدون التفريط فى الكتب أو بيعها رذيلة تستوجب الذم، فقد حدث أن باع العباس ابن غالب الهمدانى بعض كتبه فكتب إليه أستاذه - أبو محمد القرطبى - فى ذلك قائلاً:

نبـثت عـبـاسـاً تـوزع كـتـبـه   نهـبـاً واصـبـح عن هواهاً مـعـزلا

فعجبـت مـن بطـل يبيـع سـلاحه   عمداً ويضحى من الكتابة اعزلا[١٠٨]

٣- المكتبات العامة :

تعد المكتبات العامة المقياس الحقيقى لرقى الأمم والشعوب،ومن أقوى الشواهد على تقدير الدولة للعلم والعلماء،وهى تلك المكتبات التى تقيمها الدولة أو بعض أثرياء البلد، وتضم كتباً فى مختلف العلوم الشرعية والدنيوية، ويُتاح استخدامها للجميع، وخاصة الأفراد غير القادرين على شراء الكتب أو الذين لم يتيسر لهم الحصول عليها.

وقد حظى الأندلس فى مختلف عصوره، بالكثير من المكتبات العامة، والتى انتشرت فى المدن الرئيسية مثل قرطبة، وإشبيلية، وغرناطة ... إلخ، والتى تعكس مدى ثقافة الشعب الأندلسى، وكان لها أكبر الأثر فى نشر الثقافة الإسلامية واختفاء الأمية نهائياً من الأندلس، يقول دوزى Dozy :، إن أغلب الناس أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة، بل يمكننا أن نقول أن كل فرد تقريباً يعرف القراءة والكتابة"[١٠٩]. وتذهب المستشرقة هونكة إلى أبعد من ذلك فتقول: إن حكام الأندلس أنشؤوا فى كل حى داراً للكتب وزودوها بمئات الألوف من الكتب التى جعلوها فى متناول الجميع[١١٠].

وتجمع المصادر على أن عصر الخلافة (٣١٦هـ ـ ٤٢٢هـ) هـو أكثر العصـور التـى وجـدت بـه مكتبات عـامة، فقد وجد فى القرن الرابع الهجرى فى الأندلس الإسلامية سبعون مكتبة عامة[١١١]. كما أن الحكم الثانى أنشأ ٢٧ مكتبة عامة كفروع لمكتبته الكبرى فى المدن الأندلسية وأتاحها للجميع لتيسير اطلاع الناس على العلم والمعرفة .

وكانت قرطبة العاصمة أكثر مدن الأندلس مكتبات، فقد وجد بقرطبة بضواحيها الثمانى والعشرين ٢٠ مكتبة عامة فيها عشرات الآلاف من الكتب[١١٢]. أما المقرى فيذكر أنه وُجد بقرطبة وحدها إبان عزها خمس وثلاثون مكتبة منفتحة الأبواب لجميع الناس[١١٣].

ولم تنفرد قرطبة وحدها بالمكتبات العامة، فقد وصلت معلومات عن خزانة كتب عامة فى إشبيلية أيام الراضى بن المعتمد (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) اطلع على بعض كتبها العالم الأندلسى محمد بن مزين[١١٤]. ويذكر جرجى زيدان أنه عندما تقلص الحكم الإسلامى فى غرناطة " «الأندلس الصغرى» وجد بها سبعون مكتبة من المكتبات العامة[١١٥].

مكتبات الأوقاف :

وهى مكتبات خاصة وقفها أصحابها على طلاب العلم فصارت مكتبات عامة متاحة لجميع الدارسين وقد انتشرت تلك المكتبات فى العالم الإسلامى، فقد ارتبط ظهور المكتبات العامة وانتشارها بمبدأ وقف الكتب أى حبس الكتب على مكتبة معينة أو طائفة معينة من القراء، ولا يجوز التصرف فيها بحال من الأحوال(١١٦).

ويعد وقف الكتب من أفعال الخير التى يقوم بها بعض الناس تقرباً إلى الله تعالى فهو صدقة جارية وعلم ينتفع به. مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له»(١١٧).

وقد كثرت مكتبات الأوقاف فى الأندلس، وكانت تتاح فيها استعارة الكتب للجميع، ولا أدل على ذلك من الخبر الذى أُثر عن أبى حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م) «إذ كان يعيب على مشترى الكتب، ويقول: الله يرزقك عقلاً تعيش به، أنا أى كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف وقضيت حاجتى»(١١٨).

وقد كانت الكتب تُحبس لصالح الطلاب بقصد إبعاد الفضوليين والجاهلين الذين يظهرون بمظهر العلماء، ولذا يشترط أن يكون المستفيد من طلاب العلم متحلياً بسلوكهم(١١٩).

وكانت الكتب الموقوفة منهلاً صافياً لطلاب العلم،وكان بعض العلماء يحبسون كتبهم عند أشخاص يثقون فيهم لضمان الحفاظ عليها وعدم تبديدها، وحتى يستفيد منها طلبة العلم بعد وفاة حابسها ومنهم هارون بن سالم (ت ٢٣٨ هـ / ٨٥٣م) الذى وقف كتبه عند أحمد بن خالد(١٢٠) وقاسم بن سعدان بن عبد الوارث المتوفى (٣٤٧هـ / ٩٥٧م) الذى حبس كتبه عند محمد بن أبى دليم(١٢١). وقام الفقيه محمد بن عيسى بن إسحاق التجيبى (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م) بحبس كتبه على طلاب العلم بالعدوة(١٢٢). ووقف أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحميدى (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م) كتبه على أهل العلم فانتفع الناس بها " (١٢٣). كما قام محمد بن على بن ياسر الأنصارى الجيانى (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٨م) بوقف كتبه على أصحاب الحديث(١٢٤)، ومحمد بن محمد بن محارب الصريحى المالقى (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م) «فقد عهد بريع كبير على طلبة العلم وحبس عليهم كتبه» (١٢٥).

مكتبات الحدائق :

وكذلك وجد بالأندلس مكتبات عامة بالحدائق - ذلك أنه لم يخلُ أى مكان فى الأندلس من النشاط العلمى ـ فقد شهدت الحدائق صوراً من النشاط العلمى، فقد كان لأبى الحسن بن هذيل (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٩م) ضيعة بغربى بلنسية يقضى فيها بعض أوقاته، «وكان متى توجه إليها صحبه طلبة العلم للقراءة عليه والسماع منه فيحمل ذلك منهم طلق الوجه منشرح الصدر، جميل الصبر» (١٢٦).

وبلغ اهتمام الأندلسيين بالمكتبات أن وجدت فى كل مكان حتى فى الحدائق العامة التى أُنشئت فيها المقاعد وفى داخلها رفوف للكتب توضع عليها(١٢٧). فكان فى كل حديقة مكتبة عامة يرتادها الجميع، وتلك خصوصية انفردت بها إسبانيا الإسلامية،وكان القيشانى يستخدم فى الحدائق العامة للمقاعد للجلوس ورفوف للكتب(١٢٨).

٤-مكتبات المساجد والجوامع:

أعطى الإسلام مكانة كبرى للمسجد؛ ذلك أنه لم يقتصر دوره على العبادة فحسب، بل اتخذه المسلمون مكاناً للدراسة، إذ كانت تعقد فيه حلقات المناظرة ومجالس العلم والدراسة. وهكذا كان المسجد المدرسة الأولى فى تاريخ الإسلام.

وقد ظهرت مكتبات المساجد منذ ذلك الحين، لأنه لا دراسة بدون كتب . ولقد كانت المساجد أنسب الأماكن لإنشاء المكتبات، وذلك لأن المساجد لها من القداسة ما يجعلها بمنأى عن أن يصيبها التخريب أو يلحقها النهب والسلب وخاصة أوقات الفتن والحروب والثورات(١٢٩).

وهكذا فقد كانت مكتبات المساجد أول أنواع المكتبات نشوءاً فى الإسلام، حيث جرت العادة أن يلحق بأغلب المساجد مكتبة تحوى الكثير من الكتب الدينية والثقافية والعلمية(١٣٠).

ولقد انتشرت المساجد فى الأندلس انتشاراً كبيراً وأصبح فى كل مدينة مسجد(١٣١) وقامت المساجد بدور علمى كبير، حيث لم يعرف الأندلسيون المدارس التى عرفت فى المشرق ابتداء من القرن الخامس الهجرى،وإنما كان المسجد فى الأندلس معهد علم ومنارة ثقافة، وكانت كل أصناف العلوم يجرى تعلمها فى المسجد باستثناء الفلسفة والتنجيم(١٣٢).

وخلال مدة إقامة المسلمين الطويلة فى الأندلس وجد العديد من المكتبات الملحقة بالمساجد والتى يستخدمها الناس الذين ليس لديهم مكتبات خاصة، فقد كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على المساجد لضمان حفظها وجعلها متاحة للطلاب والدارسين(١٣٣).

وقد أشار «شاك schack» إلى أن عدد تلك المكتبات التى وقفها العلماء على المساجد فى الأندلس بلغ ستين مكتبة فقط [١٣٤]. وهذا غير صحيح ؛ ذلك أن عدد تلك المكتبات أكثر من ذلك، ويذكر المستشرق الإسبانى «جيجانوس» أن عددها يساوى عدد المساجد التى أهداها المسلمون كتباً . وكانت هذه المكتبات تمتلئ بالكتب القيمة ذات الخط الجميل والتجليد الرائع والمصاحف وكتب الفقه وعلم الكلام [١٣٥].

مكتبة المسجد الجامع بقرطبة:

ومن أشهر مكتبات المساجد فى الأندلس وأكبرها مكتبة المسجد الجامع بقرطبة [١٣٦] ففى عهد الحكم الثانى (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) تأسست جامعة قرطبة الشهيرة فى الجامع الكبير، وقد أمَّها مختلف الطلاب المسلمين والمسيحيين، لا من إسبانيا فقط ولكن من أنحاء أخرى من أوروبا وأفريقيا وآسيا [١٣٧].

وكان يوجد بهذا المسجد مكتبة ضخمة تحتوى على العديد من الكتب الإسلامية والمصاحف التى أُتلفت حينما استولى الملك فرديناندو الثالث على قرطبة سنة (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م)، ويؤكد المقرى تلك الواقعة ويذكر أن من بين المصاحف التى أُحرقت المصحف العثمانى بخط عثمان بن عفان (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦م) ثالث الخلفاء المسلمين [١٣٨].

مكتبة جامع طليطلة :

كذلك وجدت مكتبة ضخمة بجامع طليطلة، حيث كان هذا الجامع من الجوامع ذوات الشهرة العظيمة وتعقد فيه حلقات الدروس التى تجتذب الطلاب المسلمين والنصارى على السواء، حتى كان يقصدها طلاب نصارى من جميع أنحاء أوربا بما فيها إنجلترا واسكتلندا [١٣٩]. ولقد احتفظت طليطلة بمكانتها بعد سقوطها بيد الإسبان (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) حيث وجد فيها مكتبة عربية عامرة بالكتب فى أحد مساجدها، وقد بلغت شهرة هذه المكتبة من حيث هى مركز للثقافة فى أقصى البلاد النصرانية فى الشمال [١٤٠].

ولقد كانت تلك المكتبة ملجأ للدارسين والعلماء العرب فى إسبانيا، حيث كانت مصدراً من مصادر التثقيف فى القرن الثالث عشر الميلادى [١٤١].

مكتبة الجامع الكبير بمالقه:

وكان بالجامع الكبير فى مالقه مكتبة، وكان العلماء يدعمونها بما يحبسونه عليها من كتب ومنهم محمد بن لب الكنانى، الذى وقف جزءاً كبيراً من مكتبته الخاصة على الجامع الكبير

١

بمالقه، وكان ابن لب «ذاكراً للعلوم القديمة معتنياً بها عاكفاً عليها ... وقبل وفاته حبس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقه» (١٤٢) .

مكتبة مسجد الزهراء

وكان يوجد به مكتبة قيمة، دمرت أثناء الفتنة التى حدثت فى قرطبة وقد قام البربر «بنهب المسجد وحصيره وقناديله ومصاحفه وسلاسله وصفائح أبوابه ثم قاموا وأحرقوا المسجد»(١٤٣).

مكتبة المسجد الجامع بإشبيلية:

وكانت هناك مكتبة ملحقة بالمسجد الجامع بإشبيلية(١٤٤) وقد وقف العالم الكبير أبو الوليد بن مروان الباجى كل كتبه على المسجد الكبير بإشبيلية، ولكى يتأكد من صيانة وحفظ كتبه أعطاها باليد إلى أبى الحكم عبد الرحمن بن الحجاج اللخمى (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م) خطيب المسجد، والذى كان يشغل وظيفة مشرف على مكتبة هذا المسجد(١٤٥).

مكتبة جامع العدبس بإشبيلية :

كما وجد بجامع العدبس بإشبيلية(١٤٦) مكتبة قيمة تحتوى على العديد من المصاحف الشهيرة، «قال ابن خليل السكونى فى فهرسته : شاهدت بجامع العدبس بإشبيلية ربعة مصحف فى أسفار يُنحى به لنحو خطوط الكوفه إلا أنه أحسن خطًا وأبينه وأبرعه وأتقنه، فقال لى الشيخ الأستاذ أبو الحسن بن الطفيل بن عظيمة : هذا خط ابن مقلة وأنشد :

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته ودت جوارحه لو أنها مقل

ثم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل فى القدر والوضع فالألِفات على قدر واحد، واللامات كذلك، والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة"(١٤٧).

مكتبة مسجد البيازين ببلنسية :

وكان بمسجد البيازين فى مدينة بلنسية مكتبة، فقد حدث أن ابن شقرال، محمد بن أحمد المعروف بالطرسونى (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م) قد استولى على بعض المخطوطات النادرة التى كانت محفوظة فى مكتبة هذا المسجد، وكان ابن شقرال قد تقلد خزانة الكتب بالحمراء مدة،ولما عُرف أمر هذا الاختلاس عُزل من تلك الوظيفة وأبعد إلى أفريقية»(١٤٨).

٥ - مكتبات المدارس :-

تأخر ظهور المدارس فى العالم الإسلامى، حيث لم تظهر إلا على استحياء فى القرن الخامس الهجرى، ويرجع ذلك إلى وجود المسجد الذى كان المكان الطبيعى للتعليم والتدريس، ونظراً لما تحدثه حلقات الدرس من ضوضاء فى المسجد، فضلاً عن ظهور مواد تستدعى دراستها كثيراً من الحوار مثل علم الكلام بما يتنافى مع آداب المسجد[١٤٩] فقد أدى هذا إلى ظهور المدارس، وانتقال الدراسة من المسجد إلى المدرسة.

أما بداية ظهور المدارس فى الأندلس، فهو على خلاف بين المؤرخين ؛ ذلك أنه لا يوجد نص صريح يؤكد وجود المدرسة كنظام تعليمى فى الأندلس، فالمقرى يروى عن ابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٧٤م) قوله : «وليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميع العلوم فى المساجد بأجرة»[١٥٠].

وإذا سلمنا بصحة هذا القول فإن هذا يعنى أن المدارس لم تكن معروفة فى الأندلس حتى القرن السابع الهجرى، وأن التعليم فى الأندلس حتى تلك الفترة كان مسجدياً.

وفى مقابل ذلك يجزم البعض بوجود المدارس فى الأندلس قبل ذلك وأن العرب أنشؤوا المدارس فى قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة ومالقه وغيرها، وأن مملكة غرناطة وحدها بلغ عدد مدارسها ١٧ مدرسة كبرى، و١٢٠ مدرسة صغرى [١٥١] وربماُ يقصد بتلك المدارس مدار س المساجد.

وهكذا لا نستطيع أن نقطع بوجود مدارس فى الأندلس قبل القرن الثامن الهجرى وأن أول تلك المدارس هى المدرسة النصرية التى بُنيت فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول (٧٣٣هـ _ ٧٥٥هـ)[١٥٢].

ويوجد خبر عن وجود مدرسة فى مدينة مرسية، بناها طاغية الروم لمحمد بن أحمد بن أبى بكر القرموطى بعد سقوط مرسية (٦٤١ هـ / ١٢٤٣م) «كى يُقْرِئ فيها المسلمين والنصارى واليهود»[١٥٣].

هذا ولم تكن توجد مدرسة تخلو من الكتب، فالمستشرق الهولندى Dozy يرى أن كلمة مدرسة فى إسبانيا لم تكن تعنى مكاناً تعليمياً وإنما كانت تعنى مكتبة[١٥٤] وقد زودت جامعات قرطبة وغرناطة وإشبيلية ومالقه بمكتبات نفيسة تحتوى على كتب فى كل فروع المعرفة[١٥٥]. وكانت مكتبة جامعة قرطبة أضخم وأغنى مكتبة أكاديمية فى العالم[١٥٦].

مكتبة مدرسة مدينة سبته:

ومن المكتبات المدرسية فى مدينة سبته[١٥٧]. تلك المكتبة التى انشأها أبو الحسن على بن محمد بن على الشارى (ت ٦٤٩هـ / ١٢٥١م)، فقد جعل مدرسته العلمية بسبته مقراً للدراسة وحبس مكتبته التى تجمع بين رفوفها الكثير من ذخائر الكتب ونفائس المخطوطات على أهل العلم ؛ فقد كان الشارى " جماعاً للكتب والدفاتر منافساً فيها، مغالياً فى أثمانها، ربما أعمل الرحلة فى التماسها حتى اقتنى منها بالابتياع والانتساخ كل علق نفيس، ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره، ثم انتقى منها جملة وافرة فحبسها فى مدرسته التى أحدثها بقرب باب القصر أحد أبواب بحر سبته، وعين لها من خيار أملاكه وجيد رباعه وقفاً صالحاً سالكاً فى ذلك طريقة أهل المشرق[١٥٨].

وقد ظلت هذه المكتبة قائمة إلى قريب عهد سقوط سبته سنة (٨١٨ هـ/ ١٤١٥م)، فصاحب «اختصار الأخبار» الذى فرغ منه سنة (٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) أشار إلى أنها بقيت إلى زمنه، وابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م) ذكرها فى «معيار الاختيار» وسماها خزانة كتب العلوم، وكذا زارها بل مكث بها ثمانية أعوام أبو يعقوب يوسف الأعضاوى المتوفى سنة ٨٠٢ هـ/ ١٤٠٠م[١٥٩].

مكتبة المدرسة النصرية :

وأشهر تلك المكتبات هى المكتبة الملحقة بالمدرسة النصرية التى أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (٧٣٣هـ - ٧٥٥هـ) واشتهر ذكرها فى ظل بنى الأحمر أو بنى نصر سلاطين غرناطة، ورأسها الطلاب من الأندلس والمغرب وأوربا، وكانت تقع تجاه الكنيسة العظمى التى أُنشئت على موقع المسجد الجامع[١٦٠].

وقد ألحق بتلك المدرسة مكتبة قيمة، وتعهد سلاطين غرناطة هذه المكتبة فأمدوها بالكتب؛ ومن الكتب التى حبست على هذه المكتبة نسخة من كتاب «الإحاطة» لابن الخطيب، حيث أمر سلطان غرناطة أبو عبد الله محمد الثامن (٨٢٠ _ ٨٣١هـ) بوقفه على المدرسة عام ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦م وكتب صيغة هذه الوقفية الفقيه الغرناطى ابن عاصم[١٦١]، وكذلك كتاب أبى عبد الله بن الخطيب فى شرح كتاب " الإشارات " لأبى الحسن بن سينا فى المنطق والحكمة، وكذلك كتاب ابن معط، وهو السفر الثانى من كافيته فى علم النحو بشرحها ... كان من الكتب المحبسة على مدرسة غرناطة[١٦٢].

وقد وقف الحاجب النصرى بأمر السلطان الأوقاف الجليلة على المدرسة، «حتى غدت المدرسة نسيجة وحدها بهجة ورصداً وظرفاً وفخامة»[١٦٣]. ويبدو أن أوقاف المدرسة كانت كثيرة حتى استدعى الأمر أن يُعين لها مسئول مخصوص هو محمد بن قاسم بن أحمد الأنصارى (ت بعد ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨م) الذى قال عنه ابن الخطيب: «وهو الآن مستوطناً حضرة غرناطة تالياً للأعشار القرآنية بين يدى السلطان، مرفع الجانب،معزز الجراية، بولايته أحباس المدرسة»[١٦٤].

وهكذا شهدت الأندلس إبان الحكم الإسلامى الذى استمر أكثر من ثمانية قرون، معظم أنواع المكتبات التى نعرفها اليوم، من مكتبات الخلفاء، ومكتبات العلماء الخاصة، والمكتبات العامة، والمكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس.

وقد توافر لهذه المكتبات جميع أسس تقديم الخدمات، من المبنى والتجهيزات والموارد المالية والبشرية والنظم والإجراءات الفنية، وهو ما سنتناوله فى الفصول القادمة.

هوامش الفصل الأول

(١) هيسيل، ألفرد. تاريخ المكتبات، ص ٣٢؛ سيتفيتش، ألكسندر. تاريخ الكتاب / ترجمة محمد الأرناؤوط. - الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٣، ق١، ص ١٥٤؛ محمد ماهر حمادة. مقدمة فى تاريخ الكتب والمكتبات. - بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٩٩٦م ، ص ٨٣.

(٢) Carrion. Manuel. Spain l'braries in. - Encyclopedia of library and information science, Vol. 28, 1980, p.329.

(٣) هيسيل ألفرد . المرجع السابق ، ص ٣٢.

(٤) فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية فى الخافقين ، مج١ ، ص ٧١.

(٥) السفلى . معجم السفر ، جـ ٢ ، ص ١٨٢.

(٦) القرآن الكريم . سورة الزمر ، الآية ٩.

(٧) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم .- حيدر أباد الدكن : جمعية دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٣ هـ ، ص ٥.

(٨) ابن خير الإشبيلى . فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف/ تحقيق فرنسيكه قدارة زيدين .جليان ربارة طرغوة . - ط٢. بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩م ، ص١١.

(٩) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١..

(١٠) هيسيل . تاريخ المكتبات ، ص ٥٤.

(١١) ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ١٢٥. Carrion. Manuel. Spain libraries in ,P.330.

(١٢) ريبيرا . المرجع السابق ، ص ١٢٥ ؛ Carrion, Manuel , ibid, P.330.

Pinto. Olga. The Libraries of the Arabs during the time of the Abbasides, P. 219.

(١٣) ريبيرا . المرجع السابق ، ص ١٤٨ ؛ Carrion, Manuel , ibid, P.330.

(١٤) هيسيل . تاريخ المكتبات . ص ٥٤.

(١٥) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ١٠٨.

(١٦) حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠.

(١٧) ابن سعيد . المُغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٥؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع١، ق١، ص ٢٨١؛ محمد عبد الوهاب الغسانى . رحلة الوزير فى افتكاك الأسير / إعداد ألفرد البستانى . ـ منشورات الجنرال فرانكو ، ١٩٣٩ م ، ص ٢٠ .

(١٨) مصطفى محمد إبراهيم عبد الحميد . الحياة العلمية فى قرطبة على عهد الناصر والمستنصر . ـ القاهرة: ١٩٨٠ . ـ (رسالة دكتوراه ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر) ، ص ٤٥ ؛ نقلاً عن : على حمودة . تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى . ـ ط ٨ ، ١٩٥٧م ، ص ١٥٠.

(١٩) الزبيدى . طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٦٨، ٢٦٩؛ عبد الحميد العبادى . صور وبحوث فى التاريخ الإسلامى، ص ١٦٠ .

(٢٠) توفى بقى بن مخلد عام (٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) واعتبره بعض المؤرخين شافعى المذهب، على حين اعتبره آخرون مستقلاً عن أى مذهب .

(انظر: بروفنسال . الحضارة العربية فى إسبانيا / ترجمة الطاهر أحمد مكى . ـ ط ٣ . ـ القاهرة : دار المعارف، ١٩٩٤م).

(٢١) «المصنف» للإمام الحافظ أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة العبسى (ت ٢٣٥ هـ / ٨٤٩م) وهو كتاب كبير جداً جمع فيه فتاوى التابعين وأقوال الصحابة وأحاديث الرسول (ص) على طريقة المحدثين بالأسانيد مرتباً على الكتب والأبواب على ترتيب الفقه (انظر : حاجى خليفة. كشف الظنون ، مج ٢، ص ١٧١١)؛

(٢٢) الحميدى. جذوة المقتبس ، ص ١١ ؛ الضبى. بغية الملتمس ، ص ١٥ ؛ المقرى. نفح الطيب ، جـ٢، ص ١٥٩؛ ريبيرا. التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ٢٧؛ حسين مؤنس. شيوخ العصر فى الأندلس، ص٥٤.

(٢٣) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب _ (١) ،ص ٨٦..

(٢٤) طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم / مراجعة وتحقيق كامل كامل بكرى ، عبد الوهاب أبو النور . ـ القاهرة : دار الكتبّ الحديثة ، ١٩٦٨م . ـ جـ١ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١.

(٢٥) ابن جلجل . طبقات الأطباء . ـ المقدمة ، ص . ك ، محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع١ ، ق٢، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤؛ محمد ماهر حمادة .المكتبات فى الإسلام ، ص ١٢٢.

(٢٦) محمد عبد الله عنان . المرجع السابق ، ص ٥٠٤؛ جرجى زيدان . تاريخ التمدن الإسلامى . جـ ١ ، ص ٩٨؛ محمد رستم ديوان. المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى فى العصر الوسيط . ـ مجلة المورد ، مج ٩ ، ع٢، (شتاء ، ١٩٨٠م) ، ص ٢٨٧.

(٢٧) القلقشندى . صبح الأعشى فى صناعة الإنشا . ـ القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٥م . ـ جـ ١ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧؛ طاش كبرى زاده . مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٢٩٢؛

Pinto, Olga. The libraries Arabs during the time of the Abbaisdes . - P.223.

(٢٨) قتله أبوه عبد الرحمن الناصر بسبب حسده لولى عهده الحكم ، ذلك أن جماعه من أهل قرطبه بايعوه بالخلافة ، وعلم الناصر بذلك فقبض عليه وعلى أعوانه وقتلهم سنة (٣٣٨هـ / ٩٥٠م).

(انظر: ابن الأبار. الحلة السيراء / تحقيق حسين مؤنس . ـ ط٢ . ـ القاهرة: دار المعارف ، ١٩٨٥م . ـ جـ ١ ، ص ٢٠٦؛ ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٣ ؛ ابن الخطيب . أعمال الإعلام ، ص ٣٩؛ بروفنسال . الحضارة العربية فى إسبانيا ، ص١٦١).

(٢٩) ابن الأبار . المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٠٠؛ ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٢٧؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى، ص ١٠؛ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ـ (١) ، ص ٨٦ ؛ هيسيل . تاريخ المكتبات ، ص ٥٤؛ أحمد بدر. تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص ١٦٤.

(٣٠) دوزى . المسلمون فى الأندلس، جـ ٢ ، ص ٦٦.

(٣١) المقرى . نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٩٥.

(٣٢) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٠ ؛ ابن الأبار . الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠٣.

(٣٣) عبد الحميد العبادى . المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص ١٤٣.

(٣٤) المقرى. نفح الطيب ، جـ١ ص ٣٨٦؛ عبد الحميد العبادى . المرجع السابق ، ص ١٤٢؛ محمد ماهر حمادة. المكتبات فى الإسلام ، ص ١٢٥ .

(٣٥) الحميدى . جذوة المقتبس ، ص ٧٨ ؛ الضبى. بغية الملتمس ، ص ١١٦.

(٣٦) ابن الأبار . التكملة ، جـ١، ص ٣١٠؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية ـ (٢) ، ص٧٤.

(٣٧) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨؛ حاجى خليفة . كشف الظنون . مج ٢، ص ١٣٦١.

(٣٨) ابن الأبار . التكملة لكتاب الصلة ، جـ١، ص ٢١٧، ٢١٨؛ عبد الواحد المراكشى . المعجب فى أخبار المغرب ، ص ٧٥؛ المقرى. نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٣٨٠؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١١٨؛ شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٢٤٠.

(٣٩) ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦؛ محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام فى الأندلس ، ع٢ ، ص ٨٧.

(٤٠) ابن بلقين . مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك زيرى بغرناطة المسماة بكتاب التبيان / تحقيق ليفى بروفنسال .– القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥م ، ص ٧٨.

(٤١) بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٥.

(٤٢) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق٢ ، مج١ ،ص ٢٣؛ ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٥٦؛ ابن الخطيب . أعمال الأعلام ، ص ٢١٧ ؛ محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام فى الأندلس ـ دول الطوائف، ص ١٩٨.

(٤٣) محمد عبد الله عنان . المرجع السابق ، ص ٥٥.

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٥٦.

(٤٥) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى أخبار المغرب ، ص ١٠١.

(٤٦) هدى شوكة بهنام . الواقع المكتبى فى الأندلس ، ص ٦٤.

(٤٧) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٩٦.

(٤٨) الجزيرة الخضراء : وسطى مدن الساحل الجنوبى وأقرب مدن الأندلس مجازاً إلى العدوة ،وهى أول ما فتح من الأندلس (انظر : الحميرى. صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار/ نشر ليفى بروفنسال. ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م ، ص ٧٤).

(٤٩) خير الدين الزركلى . الأعلام . ـ ط ٧ . ـ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م . ـ جـ ٧ ، ص ١١٧؛ سعد عبد الله صالح البشرى. الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الأندلس ـ . الرياض : معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، ١٩٩٧م ، ص ٥٤.

(٥٠) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى أخبار المغرب ، ص ٢٣٨؛ حسن على حسن . الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص٤٩٨ .

(٥١) حسن على حسن . المرجع السابق ، ص ٥١٠.

(٥٢) عبد الواحد المراكشى . المصدر السابق ، ص ٢٢٨، ٢٣٩؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس، ع ٣ ، ق٢، ص ,١٣٦

(٥٣) ابن صاحب الصلاة . المن بالإمامة : تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين / تحقيق عبد الهادى التازى . ـ ط٣ ـ. بيروت : دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٧م ، ص ٢٢٢.

(٥٤) وهو أحد أبناء عبد المؤمن ، وقد ولى إشبيلية عام (٥٦١ هـ / ١١٦٦م) فى عهد أخيه أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(٥٥٨-٥٨٠هـ) وظل والياً عليها حتى سنة ٥٧٧هـ / ١١٨٢م.
(انظر : ابن صاحب الصلاة . المن بالإمامة ، ص ٢١٩).

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٩.

(٥٦) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص٢٥؛ ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ١٩٣.

(٥٧) ابن الخطيب . ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب / تحقيق محمد عبد الله عنان . ـ القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م ، ص ٢٢، ٣٥.

(٥٨) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ٢ ، ص ٥٤٩.

(٥٩) عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تحقيق أحمد بكير محمود . ـ بيروت: دار الحياة. ـ مج ٢ ، جـ٣ ، ص ٣٤؛ ابن الفرضى. تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، ص ٢٧١.

(٦٠) محمد بن حزم هذا لا صلة له بأسرة ابن حزم ، التى منها العالم الوزير أبو محمد على بن أحمد بن حزم.

(٦١) ابن الأبار . التكملة لكتاب الصلة ، جـ١، ص ٢٨٦، ٢٨٧؛ ريبيرا المكتبات وهواة الكتب ـ (١) ، ص٩٢ .
Pinto, Olga. The libraries of the Arabes during the time of Abbasides, .218.

(٦٢) ابن الفرضى . تاريخ علماء الأندلس جـ ٢، ص ١٩٤؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ـ (١) ، ص ٩١، ٩٢.

(٦٣) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٢؛ ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٦٤) ابن بشكوال . المصدر السابق ، ص٢٣.

(٦٥) المصدر السابق ، ص ٣١٠؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج١ ، ص ٤٧٨؛ ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ، جـ٣، ص ١٦٣؛ شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٢٦٩.
Encyclopedia of library and information science, Thompson. Moslem libraries (Mediaeval). Vol. 30,(1983). - p 372.

(٦٦) ابن بشكوال . المصدر السابق ، ص ٣١١؛ متز. الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى/ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة . ـ ط٢ . ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م ، ص١٤٦.

(٦٧) ابن بشكوال . المصدر السابق ، ص ٣١٢؛ النباهى . تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفُتْيا / نشر بروفنسال . ـ القاهرة : دار الكاتب المصرى ، ١٩٤٨، ص ٨٨.

(٦٨) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ٤ ، مج١ ، ص ٣٤ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ٣ ، ص ٨٢ ؛ ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٦٧ ؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب -(٢) ، ص ٧٥.

(٦٩) الحميدى . جذوة المقتبس ، ص ٢٥٤ ؛ ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٥١ ؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٧١.

(٧٠) ابن سعيد المغربى . المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص٧١.

(٧١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ٣، ص ٥٢٥، بالنثيا تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٠٩؛ دوزى . ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام/ ترجمة كامل كيلانى .ـ القاهرة : مكتبة عيسى البابى الحلبى ، ١٩٣٣م ، ص ٤٧؛ فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية ، مج٢، ص ٧٥٩؛ Thompson. Moslem libraries, P.373.

(٧٢) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، مج ٢ ، ص ٦٦٤؛ ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١ ، ص ٢٧٧؛ ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ١ ، ص ٢٥٩.

(٧٣) ابن الأبار . التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، ص ٢١٢ ؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب - (٢) ، ص ٧٥.

ويشير ابن خلدون "إلى أن وزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير" وبناء عليه فربع المثقال يساوى ثمانى عشر حبة من الشعير . (انظر : ابن خلدون . المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٧٠٣).

(٧٤) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٧.

(٧٥) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى أخبار المغرب ، ص ٤٧؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٨٣.

(٧٦) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٨٨؛ الضبى. بغية الملتمس ، ص ٣٤٣.

(٧٧) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ص ٧٥.

(٧٨) المصدر السابق ، السفر الأول ، ق١ ، ص ٩٨.

(٧٩) الضبى. بغية الملتمس ، ص ٩٤.

(٨٠) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ١٦؛ ابن القاضى . جذوة الاقتباس ، ق٢ ، ص ٥٠٠ .

(٨١) ابن الأبار . التكملة ، جـ٢ ، ص ٥٢؛ ابن القاضى . جذوة الاقتباس ، ق٢ ، ص ٣٩٦؛ محمد المنونى. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٨٤.

(٨٢) ابن القاضى . المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٤١٥؛ محمد المنونى . المرجع السابق ، ص ٢٨٣.

(٨٣) ابن الأبار . المعجم فى أصحاب القاضى أبو على الصدفى .ـ القاهرة : دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧، ص ٢٠٢؛ ابن الأبار . التكملة ، جـ٢ ، ص ١٩٢.

(٨٤) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١ ، ص ٢٢٩ ؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج ١ ، ص ٢١٤؛ محمد المنونى . العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٨٦؛ عمر فروخ . تاريخ الأدب العربى .ـ بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٢، جـ ٥ ، ص ٤٠٧؛ أحمد شوقى بنبين . دراسات فى علم المخطوطات والبحث الببليوغرافى .ـ الرباط :كلية الآداب ، ١٩٩٣م ، ص ١٤٩.

(٨٥) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ؛ ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الثامن ، جـ١ ، ص ٢٩٩؛ الذهبى . تذكرة الحفاظ .ـ ط ٤ .ـ بيروت : دار إحياء التراث العربى ، ١٣٧٧هـ .ـ مج ٢ ، جـ ٢، ص ١٣٦٦.

(٨٦) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٣٧، ٣٨.

(٨٧) النباهى . تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٠.

(٨٨) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق ١ ، ص ٦.

(٨٩) ابن سعيد المغربى . اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى / اختصار محمد بن عبد الله بن خليل ؛ تحقيق إبراهيم الأبيارى .ـ القاهرة : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٩م ، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٩٠) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق٢ ، ص ٥١٢؛ ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١ ، ص ٢٠٨؛ ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس، ص ١٩٠.

(٩١) ابن سعيد المغربى . المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٤؛ ابن عبد الملك المراكشى . المصدر السابق ، السفر الخامس ، ق٢ ، ص ٦٨٠؛ عمر فروخ . تاريخ الأدب العربى ، جـ ٦ ، ص ١٦٨.

(٩٢) ابن عبد الملك المراكشى . المصدر السابق . ـ بقيه السفر الرابع ، ص ٣٠، ٣١.

(٩٣) ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج ٢ ، ص ١١٢ ، ١١٣؛ المقرى. نفح الطيب ، جـ٣ ، ص ٣٨؛ مصطفى الشكعة مناهج التأليف عند العلماء العرب .ـ ط ٢ .ـ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م ، ص ٦٥٢.

(٩٤) ابن عبد الملك المراكشى . المصدر السابق. ـ السفر الثامن ، ق ١ ، ص١٢٥.

(٩٥) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ١٩٠ ـ ١٩٣ .

(٩٦) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٤٤ ـ ٤٤٦؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٤٩٩ ـ ٥٠٤؛ المقرى . أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢.

(٩٧) ابن الخطيب . المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٠؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج٢ ، ص ٢٧٤ ؛ المقرى. نفح الطيب ، جـ ٥ ، ٥١٤ ؛ المقرى . أزهار الرياض ، جـ٣ ، ص ١٨٥.

(٩٨) ابن الخطيب . الكتيبة الكامنة فى من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، ص ٥٣.

(٩٩) المصدر السابق ، ص ٨٦.

(١٠٠) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٦٩٢.

(١٠١) المصدر السابق ، ص ٦٩٤.

(١٠٢) المصدر السابق، ص ٦٩٣.

(١٠٣) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٦٢.

(١٠٤) الحضرمى هذا : أحد علماء الأندلس ، وهناك أكثر من شخص حملوا هذه الكنية ،ولكن يبدو أن المقصود بهذا الخبر هو " جابر بن محمد بن سليمان الحضرمى الإشبيلى المتوفى سنة (٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م) .
(انظر : السيوطى . بغية الوعاة، جـ ١ ، ص ٤٨٤).

(١٠٥) المقرى . نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٤٦٣؛ ديورانت . قصة الحضارة ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧؛
Pinto, Olge . The libraries of the Arabes during the time of the Abbisdes, P. 219, 220; Inayatullan, Sh. Bibliophism in Medieval Islam, P . 165.

(١٠٦) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٧.

(١٠٧) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١ ، ص ٢٢٩.

(١٠٨) المصدر السابق ، السفر الخامس ، ق١ ، ص ١١١،١١٢.

(١٠٩) محمد ماهر حمادة .المكتبات فى الإسلام ، ص ٩٩ ؛ ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ٣٩.

(١١٠) هونكة . شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٠٠.

(١١١) هيسيل، تاريخ المكتبات ، ص ٥٤؛ لوبون . حضارة العرب ، ص ٤٦١؛ ديورانت . قصة الحضارة ، جـ ١٣ ، ص ٣٠٧؛ محمد فريد وجدى . دائرة معارف القرن العشرين . ـ ط٣ . بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧١م . ـ جـ ٨ ، ص ٦٤؛ محمد محمد أمان . الكتب الإسلامية ، ص ٦٦ ؛

Thanpson. Moslem libraries (Medieval) . - P, 372.

(١١٢) هونكة . المرجع السابق ، ص ٤٩٩.

(١١٣) عاطف الجندى .تاريخ المكتبات الإسلامية فى الأندلس . ـ رسالة المكتبة . ـ مج ٢٢ . ع٢ (١٩٨٧م)، ص٧٠.

(١١٤) حسين مؤنس . تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ، ص ٣٨.

(١١٥) جرجى زيدان . تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠.

(١١٦) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٣٠٩.

(١١٧) مسلم بن الحجاج النيسابورى . صحيح مسلم . ـ بيروت ـ : دار إحياء التراث ، ١٩٨٤م . ـ كتاب الوصية . جـ١١، ص ٨٥ .

(١١٨) ابن حجر العسقلانى . الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . ـ بيروت : دار الجيل ، ١٩٩٣م . ـ جـ ٤ ، ص ٣٠٩؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٥٤٣ ؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٨٨ ؛ أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٥٥.

(١١٩) يوسف العش . دور الكتب العامة وشبة العامة ، ص ١٩٤.

(١٢٠) عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، مج٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٨.

(١٢١) ابن الفرضى . تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣٦٧.

(١٢٢) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٥٥٨ ؛ شكيب أرسلان . الحلل السندسية ، مج ٢ ، ص ٢٤.

(١٢٣) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، مج ٨ ، ص ٥١٨ ؛ المقرى .نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ١١٥.

(١٢٤) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٥٧.

(١٢٥) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٧٩.

(١٢٦) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق١ ، ص ٣٧٠.

(١٢٧) أحمد مظهر العظمة. الإسلام ونهضة الأندلس، ص ١٢، ١٣. نقلاً عن :عبد المنعم حامد المرسى . الحضارة الإسلامية فى عهد الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر . ـ القاهرة، ١٩٨١ . ـ (رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية ،جامعة الأزهر)، ص ١٩٩.

(١٢٨) Arnold , Thomas (Editor). The legacy of Islam . - London : oxford Univ. press, 1931 . - P. 14.

(١٢٩) عبد الستار الحلوجى . لمحات فى تاريخ الكتب والمكتبات ، ص ٩٦.

(١٣٠) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ،ص ٨٢ ، ٨٣؛

Sibai. Mosque Libraries: an historical study.- London: Mansell. 1987, P.3; khan. Library Movement in the Muslim world.- Islamic culture . - Vol 56, No4 (October, 1982). -P.303, 304.

(١٣١) يقال إن أول مسجد تم بناؤه فى الأندلس هو مسجد الرايات الذى أسسه موسى بن نصير فى الجزيرة الخضراء إبان الفتح الإسلامى ، وسمى بذلك لاجتماع الرايات فيه.

(انظر: خير الدين الزركلى . الأعلام ، جـ ٧ ، ص ١١٧؛ محمد عبد الحميد عيسى. تاريخ التعليم فى الأندلس، ص ٢٦٨.

(١٣٢) مصطفى الشكعة . الأدب الأندلسى ، ص ٧٢.

(١٣٣) محمد محمد أمان . الكتب الإسلامية ، ص ٥٩؛ Sabai . Mosque libraries, P . 49.

(١٣٤) ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ١٢٨.

(١٣٥) المرجع السابق ، ص ١٢٨.

(١٣٦) وقد تم بناء المسجد الجامع بقرطبة فى عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦م ، واهتم به الخلفاء من بنى أمية فزادوا فيه زيادة حتى أصبح أكبر المساجد مساحة . (انظر: ابن الكردبوس . تاريخ الأندلس ، ص١٤١؛ السيد عبد العزيز . فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص ١٦١ -١٦٥.

(١٣٧) محمد رستم ديوان . أنواع المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى ، ص ٢٨٧.

(١٣٨) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٩٨؛ Sibai . Mosque libraries , P . 55.

(١٣٩) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ٨٣؛
Arnold, Thomas. The legacy of Islam. P.336.

(١٤٠) دى بور . تاريخ الفلسفة فى الإسلام . ص ٢٨٣ ؛ شعبان عبد العزيز خليفة : الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى، ص ٢٤٩ .

(١٤١) Arnold Thomas : op . Cit , P.55.

(١٤٢) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ص ٨٠ ، ٨١؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب . (٢) ، ص ٩١؛
Sibai . Mosque libraries ., P.55

(١٤٣) ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٩٥ ؛ أحمد فكرى قرطبة فى العصر الإسلامى ، ص ١٢٣.

(١٤٤) ويبدو انه يُقصد به جامع الموحدين بإشبيلية ، تم بناؤه سنة ٥٦٧هـ ، فى عهد الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ) ، ولما سقطت إشبيلية تحول المسجد إلى كنيسة سانتاماريا.

انظر : السيد عبد العزيز سالم . فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص ١٧١ - ١٧٢.

(١٤٥) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ـ (٢) ، ص ٧٩ ؛
Sibai. Mosque libraries, P. 65.

(١٤٦) وهو نسبة إلى القاضى عمر بن عدبس الذى بناه عام (٢١٤هـ / ٨٢٩م) بتكليف من الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ولما سقطت إشبيلية عام (٦٤٥هـ / ١٢٤٨م) فى يدى الإسبان تحول المسجد إلى كنيسة تحت اسم سان سلفادور .

(انظر: السيد عبد العزيز سالم. المساجد والقصور بالأندلس. ـ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٨م ، ص ٤٤-٤٨).

(١٤٧) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٠٤؛ ريبيرا. المكتبات وهواة الكتب ـ (١) ، ص ٩٥.

(١٤٨) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٢٥؛ ريبيرا. المرجع السابق ـ (٢) ، ص ٩٠؛
Sibai. Mosque libraries, p. 65.

(١٤٩) احمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية ؛ ص ١١٣ ، متز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٥٢.

(١٥٠) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٢٠.

(١٥١) چرچى زيدان .تاريخ التمدن الإسلامى ، ص ٢٢٦.

(١٥٢) ابن الخطيب . اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، ص ,١٠٩

(١٥٣) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ١٣٠.

وللمزيد عن المدارس فى الأندلس (انظر: محمد عبد الحميد عيسى. تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص٣٧٨-٤٠٩).

(١٥٤) محمد عبد الحميد عيسى. تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢٨١.

(١٥٥) Khan. Library movement in Muslim world ,P.312.

(١٥٦) سعيد أحمد حسن . أنواع المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى ، ص ٢٢.

(١٥٧) سبته مدينة تقع على بر بلاد المغرب تقابل الجزيرة الخضراء ويحيط بها البحر من جميع الجهات باستثناء الغرب (انظر: الحميرى . الروض المعطار ، ص ٣٠٣).

(١٥٨) ابن الزبير . صلة الصلة ، ص ١٤٩ ـ ١٥٢ ؛ ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة . السفر الثامن ، ق ١ ، ص ١٩٧؛ ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٤، ص ١٨٧-١٩٠ ؛ محمد المنونى. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٨١.

(١٥٩) محمد المنونى. المرجع السابق ، ص ٢٨١، ٢٨٢.

(١٦٠) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٣٥، ,٣٦

(١٦١) المقرى . أزهار الرياض ، جـ ١ ،ص ٥٥ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٧ ، ص ١٠٢-١٠٥.

(١٦٢) أحمد محمد الطوخى . مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة ، ص ٣٠٢ .

(١٦٣) ابن الخطيب. الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ ١ ، ص ٥٠٦ - ٥١٣ .

(١٦٤) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ - ١٩٩.

الفصل الثانى

إدارة المكتبات الأندلسية

توطئة :

أوضحت فيما سبق أنواع المكتبات التى وجدت فى الأندلس ومدى شغف الشعب الأندلسى ـ حكاماً ومحكومين ـ بإنشاء المكتبات، حيث وجدت مكتبات الخلفاء والمكتبات الخاصة والمكتبات العامة، والمكتبات الملحقة بالجوامع والمدارس ، بل وصل الأمر إلى وجود مكتبات فى الحدائق متاحة للجميع، وعمت الخدمة المكتبية فى الأندلس نتيجة توافر أسس ومقومات تقديم تلك الخدمة من إدارة سليمة" تشمل: الموارد المادية والبشرية ؛ فضلاً عن النظم والإجراءات الفنية".

وسأحاول فى هذا الفصل أن أكون صورة أقرب إلى الواقع عن إدارة المكتبات فى الأندلس، من حيث المبنى والتجهيزات، والموارد المالية، والميزانية، والعاملون، والمجموعات المكتبية.

المبنى والتجهيزات :

يُعد مبنى المكتبة وتجهيزاتها من أهم الأسس لتقديم الخدمات المكتبية، حيث لا يمكن أن يتم العمل أو تقدم الخدمة بالصورة المرجوة داخل المكتبة بدون مبنى وتجهيزات مناسبة، ذلك أنها تعطى للمكتبة وجودها الخارجى.

أولاً: المبنى

ولقد أدرك الأندلسيون أهمية مبنى المكتبة، فاهتموا بمبانى المكتبات العامة ـ وكانت ذات مبان مستقلة ـ اهتماماً عظيماً، فشيدت المكتبات على طراز خاص، وكان البناء مزوداً بحجرات واسعة متعددة يربط بينها أروقة فسيحة وممرات عريضة، وكانت الرفوف مثبتة فى الجدران لتوضع فيها الكتب، وخصصت بعض الحجرات للمطالعة والبحث، كما كانت تخصص بعض الحجرات لنسخ المخطوطات والترجمة، ووجدت فى بعض المكتبات كذلك حجرات للموسيقى يلجأ إليها المطالعون للترفيه وتجديد النشاط، وكان أثاث جميع الحجرات فخماً مريحاً، وقد فرشت أرضها بالبُسُط، والحصير للجلوس عليها لسهولة القراءة والكتابة، كما كان للنوافذ والأبواب ستائر جميلة لتوفير تهوية وإضاءة جيدة للمكان(١).

هذا، وقد كانت الأبنية العامة فى الأندلس على اختلاف أنواعها ـ بما فيها المساجد ـ يراعى فى بنائها الفائدة العملية فقط، مما جعل مظهرها الخارجى متواضعاً ؛ وذلك لأن الإسلام يستهجن إضفاء معنى الخلود والأبدية على البناء، فالخلود والدوام لله وحده، ولذا فإن المبانى التى لها صفة الخلود، أمر خارج عن الدين الإسلامى(٢).

أما بالنسبة لمبانى المكتبات الملحقة بالمساجد، فإن المصادر التاريخية قد أسهبت فى وصف مبانى المساجد والجوامع فى حين لم تتناول بالوصف المكتبات الموجودة بالمساجد(٣).

وتشير المصادر إلى أن موقع مكتبات المساجد كان فى أغلب الأحيان حول المحاريب أو بجوارها؛ فمكتبة الجامع الأعظم بقرطبة مثلاً كانت توجد بجوار المحراب حيث يذكر الإدريسى فى وصفه لجامع قرطبة "وعلى يمين المحراب المنبر الذى ليس بمعمور الأرض مثله صنعة، وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وطسوت ذهب وفضة حسك كلها لوقيد الشمع فى ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم، ومع ذلك ففى هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه أوراق من مصحف عثمان بن عفان، وهو المصحف الذى خطه بيمينه، وفيه نقط من دمه"(٤). ويُستشف من النص السابق أن موقع المكتبة كان على شمال المحراب حيث توضع المصاحف والكتب الدينية .

الحكم والإقامة(٧).

والدليل على ذلك ما كشفته البحوث الأثرية الحديثة أن أطلال الزهراء تنقسم إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى: تشمل مواقع قصر الخلافة، والمجموعة الثانية مساكن الحاشية والحرس، والمجموعة الثالثة تشمل ثلاثة أبهاء كبيرة يُظن أنها لاستقبال السفراء والشخصيات الملوكية(٨).

"وقد تم الكشف عن المنطقة الأولى "القصر الخليفى" سنة ١٩٢٥م والتى تضم قصر الخلافة ومقام الخلفاء، وفى الفناء الغربى ويوجد الجناح الخاص الذى كان الخليفة يستقبل فيه الزوار، ويصرف الأمور ويضع تحفه ومكتبته"(٩).

ونظراً للجهود الكبيرة التى بذلها الخليفة الحكم الثانى فى تنمية مجموعات المكتبة، فقد ضاق عنها مقرها فى القصر، فقرر تشييد مبنى خاص لها واستغرق نقلها ستة أشهر(١٠). وقد أحاط الغموض بهذا المقر الجديد، ولا بد أنه كان قريباً من قصر الحكم نظراً لما أُثر عنه من كثرة تردده عليه(١١).

ويبدو أن المكتبة بعد وفاة الحكم ٣٦٦هـ / ٩٦٦م، عادت إلى مقرها القديم فى قصر قرطبة ويعزز هذا قول المقرى: "ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها فى حصار البربر"(١٢).

وبالرغم من أن المصادر لم تمدنا بمعلومات كافية عن وصف بناء المكتبة إلا أنه من المرجح أن مبنى المكتبة قد اشتمل على العديد من الحجرات والغرف، فلقد كان عدد غرف مكتبة الخلفاء الفاطميين أربعين غرفة(١٣) ومن المحتمل أن يكون عدد غرف مكتبة بنى أمية فى الأندلس لا يقل عن هذا العدد.

وكانت مكتبة بنى عباد تقع فى قصر الإمارة بإشبيلية وهو (القصر المبارك)، وكان من إنشاء المعتمد بن عباد الذى زاد فيه وأسبغ عليه رونقه وفخامته التى اشتهر بها(١٤).

وهكذا وعلى الرغم من أنه لم تصلنا معلومات دقيقة عن وصف مبانى مكتبات الخلفاء، إلا أننا نتوقع بالضرورة أن يكون لكل منها مبنى يحتوى على العديد من الغرف لاستيعاب هذا

الكم الهائل من الكتب التى تقتنيها، وأنها كانت على مستوى عالٍ من الفخامة بما يليق مع عظمة الخلافة .

أما المكتبات الخاصة فكانت توجد فى بيوت أصحابها[١٥] أو فى بيت مجاور للمنزل، فابن بشكوال يروى أنه "يوم وقع الحريق فى سوق طليطلة احترقت دار ابن ميمون إلا البيت الذى كانت فيه كتب ابن ميمون"[١٦]. مما يعنى أنه خصص مبنى مستقلاً للمكتبة بجوار منزله.

وقد عُنى الأندلسيون بمكتباتهم الخاصة ومبانيها وتجهيزاتها، فقد أنشأ ابن فطيس مبنى خاصاً لمكتبته يتسم بالكبر والفخامة، وتفنن فى زخرفته وزوده بسقف أمامه، وفرشه بالسجاد والحصير الأخضر اللون. يقول ابن بشكوال: "وكانت كتبه فى مجلس جدرانه بالخضرة، وسمكه وسطحه والبرطل أمامه والبسط الذى فيه، والنمارق كلها خضر"[١٧].

ويقول النباهى "وكان له بداره مجلس عجيب الصنعة، حسن الألة ملبس كله بالخضرة، جدرانه وأبوابه وسقفه وفرشه وستوره ونمارقه، كل ذلك مشاكل الصفات قد ملأه بدفاتر العلم ودواوين الكتب التى ينظر فيها،وبهذا المجلس كان أنسه وخلواته"[١٨].

ويرجع السبب فى تفضيل اللون الأخضر أنه هو اللون المحبب إلى نبلاء قرطبة حيث يدل على الشرف والرفعة[١٩].

وقد جعل بعض الأغنياء مكتبته فى أحد أبهاء قصره : كأبى القاسم بن حسان الإشبيلى (ت ٦٢٥هـ/١٢٢٨م) الذى كانت مكتبته فى بهو قصره[٢٠]، وأبى عبد الله بن الحكيم (ت ٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨م) الذى أفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها"[٢١].

وهكذا، فإن المكتبات العامة وبعض المكتبات الخاصة كان لها مبنى مستقلٌ قائمٌ بذاته، أما مكتبات الخلفاء فلم يكن لها مبنى خاص بل كانت فى أحد أجنحة القصر، تحتل العديد من الحجرات بما يتناسب والمجموعات الموجودة بها، وربما يتقلص الأمر إلى حجرة واحدة "مخزن" بجوار المحراب فى المكتبات الملحقة بالمساجد.

ثانياً: التجهيزات المكتبية

اهتم الأندلسيون بتوفير التجهيزات المكتبية بما يكفل الراحة سواء للمترددين عليها أو العاملين فيها، وزودوها بالفرش والسجاجيد والبسط والستائر والرفوف لحفظ الكتب وغيرها من المقاعد والأدوات الكتابية كالأقلام والأحبار وجميع أنواع الأثاث الذى يساعد على عملية الاطلاع ويوفر الراحة.

ولقد مر من قبل أن المكتبات العامة كانت تزود بالرفوف المثبتة فى الجدران،وكان الأثاث فخماً مريحاً، وقد فرشت أرضها بالبسط والحصير للجلوس عليها، وكانت المكتبات الخاصة كذلك تفرش بالسجاد والحصير.

وكانت المكتبات الملحقة بالحدائق تزود برفوف من القيشانى لحفظ الكتب، ومقاعد لجلوس المترددين عليها[٢٢]. مما يكفل للمترددين الراحة فى استخدام الكتب ومطالعتها.

ومن جملة التجهيزات التى زودت بها المكتبات الأندلسية " محمل الكتب " وكان له أهمية كبيرة فى الحفاظ على الكتب؛ مما جعل الشعراء يصفونه فى أشعارهم ومنهم عبد الله بن يوسف بن رضوان البخارى المالقى[٢٣]. وكذلك، صنع عتيق بن مؤمن القرطبى الأنصارى محملاً للكتب فدخل عليه أبو محمد عبد الله بن مفيد فرآه فقال ارتجالاً :

"أيها السيد الذكى الجنان ... لا تقسنى بسلم البنيان

فضل شكلى على السلالم انى ... محمل للعلوم والقرآن

جزت من حلية المحبين ضعفى ... واصفرارى ورقة الأبدان

فادع للصانع المجيد بفوز ... ثم وال الدعاء للإخوان"[٢٤]

ويفهم مما سبق أن محمل الكتب كان من التجهيزات المهمة التى يحرص الأندلسيون على تزويد مكتباتهم بها، وكان يتكون من درجات أو رفوف فوق بعضها تشبه السلم توضع عليها الكتب العلمية والشرعية، ويصنع فى الغالب من الخشب .

وهكذا يتضح أن الأندلسيين زودوا مكتباتهم بكل التجهيزات المتوافرة بهدف الحفاظ على الكتب وضمان راحة المترددين والمطالعين، وذلك فى حدود الإمكانات المتاحة فى عصرهم.

وقد حفظت كتب التاريخ وصف مكتبة أندلسية تعج بالكتب فى مختلف العلوم يحملها أربع قوائم، وقد خصص لكل فن مكان معين، وتوضع الكتب على رفوف مصنوعة من الخشب الذهبى الذى يبهر الأنظار، وهذا الوصف عبارة عن قطعة شعرية للأديب أبى عبد الله محمد المعروف برييب الحشى الجزيرى (كان حياً سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١م) يقول :

ووعاء عود للعلوم صيانة ... حملت ذخائرها قوائم أربع

محفوظة الأشكال مما قد حوت ... فالعلم يحفظ ما حواه ويمنع

خشب كلون التبر يشرق فوقها ... حلى حكى لون اللجين يسطع[٢٥]

ويُفهم مما سبق أن المكتبة كانت تحتوى على كتب فى مختلف العلوم، ويحملها أربع قوائم، وكانت الكتب توضع على رفوف مصنوعة من الخشب المطلى بالذهب، كما يوضح ذلك وعى الشعراء بأهمية المكتبات وتجهيزاتها.

ولقد كانت خزائن الكتب المشرقية مغلقة حيث يوجد لها باب مقفل بمفصلات للحفاظ على الكتب من الغبار والتلف، وكان إقفال الخزائن شائعًا حتى فى المكتبات الخاصة أيضًا، يروى ابن بشكوال يقول: " قرأ أحد الأشخاص بعض كتب عن أبى ذر عالم الأندلس، وأراد أن يبحث فى كتاب منها فطلبه منه الخازن فأعطاه مفاتيح الخزائن[٢٦]. ويبدو أن المكتبات الأندلسية أيضا اتبعت مثل هذا الإجراء لضمان الحفاظ على الكتب من التلف.

وكان يُخصص للكتب النفيسة صوانات لحفظها، فقد كان لدى أحمد بن الحصن بن عطاف العقيلى (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م) مكتبة، "وكان يتخذ لأعلاقها صوانات وحفائظ" [٢٧]. أما النسخ النادرة من المصاحف فكان يخصص لها صندوق للحفاظ عليها، ففى مكتبة مسجد قرطبة كان لمصحف عثمان غشاء بديع الصنعة منقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه، وله بموضع المصلى كرسى يوضع عليه: وقد زُين بالجوهر والياقوت والزمرد النفيس[٢٨].

وقد أُتيح استخدام أدوات ومواد الكتابة من "أقلام، ومحابر، ومقص وسكين وأوراق" داخل المكتبات ليستخدمها العاملون والمطالعون فى نسخ الكتب، وكان الأندلسيون يمجدون تلك الأدوات، وأنشدوا فى وصفها أشعاراً رائعة تدل على الوعى المكتبى لدى الأندلسيين عامة الشعراء بصفة خاصة، كما تدل على شغفهم بالكتب ونسخها[٢٩].

وهكذا اتضح مدى اهتمام الأندلسيين بمبانى المكتبات وتجهيزاتها، إسهاماً فى تسهيل استخدام المكتبة من قبَل المترددين عليها، وتحقيقاً لخدمة فعالة، وكان ضرورياً لتحقيق هذا الهدف توفير المخصصات المالية الكافية للإنفاق عليها.

الموارد المالية والميزانية:

تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات دقيقة عن مقدار ثروة الأندلس. إلا أنها لا تقدم لنا أية معلومات عن الإيرادات المخصصة للمكتبات وأوجه الإنفاق، إلا فيما ندر، وسنحاول تحليل ما ورد من معلومات فى هذا الشأن للخروج بصورة أقرب إلى الواقع.

١-الموارد المالية (الإيرادات)

وقد أشرت من قبل كيف أن الأندلس تمتعت باقتصاد قوى وغنًى طائل بسبب ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة. وكان الدخل العام يُجمع من رسوم دار السكة والجزية والصدقات والخراج والأعشار والضمانات والمغارم والأموال المرسومة على المراكب الصادرة والواردة ورسوم الأسواق والمصادرات[٣٠].

فقد وضع الأمويون أساس النظام المالى فى الأندلس وكان يتألف من الخزانة العامة، وإدارة بيت المال، وإدارة الخليفة الخاصة. وكان يشرف على الخزانة العامة أحد كبار الموظفين ويُسمى "خازن المال" وكان مقر هذه الخزانة القصر الخلافى، أما موارد بيت المال فقد كانت مقصورة على أموال الأوقاف وكان مقره المسجد الجامع بقرطبة يشرف عليه قاضى القضاة ويقوم هذا الديوان على صيانة المنشآت الدينية ودفع رواتب الموظفين بالمساجد، وتوزيع الصدقات. أما إدارة أموال الخليفة الخاصة : فكان يشرف عليها موظف يعرف "بصاحب الدية" وكان لها بيت آخر فى داخل القصر[٣١]. وقد ساعد هذا الرخاء الاقتصادى الذى تمتعت به الأندلس على انتعاش الحركة العلمية والاهتمام بالمؤسسات الثقافية بما فيها المكتبات. ووفروا لها المخصصات المالية وحبسوا عليها الأوقاف وغير ذلك من أموال الهبات؛ إيماناً منهم بأهمية الدور الذى تلعبه المكتبات فى نهضة وتقدمه المجتمع.

وكانت الأوقاف المصدر الأساسى الذى ينفق منه على المكتبات العامة وخاصة مكتبات المساجد وما يلزمها ويشمل ذلك ترميم البناء، وتزويد المكتبة بالكتب، ودفع مرتبات الموظفين ـ.وغير ذلك[٣٢]. ومما يؤسف له أنه لم تصلنا وثائق تتعلق بتلك الأوقاف فيُقال عن فرج بن حديدة (ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م) إنه كان عالماً بالقراءات، تصدر للإقراء ببلده بطليوس، ثم انتقل إلى إشبيلية فى إمارة المعتضد بن عباد فأجلسه للإقراء بالمسجد المنسوب إلى أمه، وأجرى عليه راتباً ونفقة من الأحباس"[٣٣].

وكان الأهالى يحبسون أملاكهم وموارد دخلهم على المساجد مثلما فعل عبد الملك بن حبيب السلمى (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٣م)" الذى كان له أرض وزيتون بقرية بيرة[٣٤]. وحبس جميع ذلك على المسجد الجامع بقرطبة"[٣٥].

ويشير ابن الخطيب عن الأوقاف عند حديثه عن القرى المحيطة بغرناطة وأملاكها فيقول: " وجملة المراجع العلمية المرتفعة فيها فى الأزمنة، فى العام بتقريب، ومعظمها السقى الغبيط الممين العالى مايتا ألف وثنتان وستون الف، يضاف إلى ذلك مراجع الأملاك السلطانية،

ومواضع أحباس المساجد، وسبل الخير ما ينيف على ما ذكر، فيكون الجميع باحتياط خمسمائة ألف وستون ألف"(٣٦).

وكانت أوقاف المدرسة النصرية كثيرة حتى استدعى الأمر أن يختص بأمرها محمد بن قاسم الأنصارى "الذى كان بولايته أحباس المدرسة"(٣٧).

ولم يكن الوقف هو المورد المالى الوحيد للإنفاق على المكتبات، فكان فى بعض الأحيان يتم من بيت مال المسلمين مباشرة (٣٨). هذا فضلاً عن الهبات والعطايا التى يقدمها الأغنياء.

وهكذا يتضح أن المكتبات العامة ومكتبات المساجد والمدارس كان يُصرف عليها من ريع الأوقاف، أما مكتبات الخلفاء فكان ينفق عليها من إدارة الأموال الخاصة بالخليفة، أما المكتبات الخاصة فقد تولى أصحابها الإنفاق عليها من أموالهم الخاصة.

٢- أوجه الصرف (المصروفات)

وتشمل أوجه الصرف المبنى والتجهيزات، وشراء المجموعات والأدوات الكتابية والأثاث وكذلك مرتبات العاملين.

وبالنسبة لشراء المجموعات هناك خبر يشير إلى مقدار ما أنفقه الحكم الثانى فى شراء الكتب من المشرق، والذى بلغ ١٢٠ ألف دينار؛ فقد أسند الخليفة الحكم إلى القاضى ابن الوفى، عمر بن محمد بن إبراهيم، مهمة شراء الكتب من العراق، "ويقال: إنه جرت على يده من النفقات مقدار مائة ألف وعشرين ألف دينار"(٣٩).

وهذا مبلغ ضخم يدل على كثرة الكتب التى جلبت من المشرق مع الأخذ فى الاعتبار القوة الشرائية للدينار فى هذا الوقت،فالدينار لا يقارن بالجنيه اليوم حيث إن قيمة كل منهما إنما هى قدرته على الشراء، وقد كانت قدرة الدينار فى هذا الوقت أكبر من قيمة الجنيه الآن.

إلا أن المصادر لم تشر إلى مقدار ما كان ينفقه الحكم الثانى على مكتبته شهرياً أو سنوياً، وأغلب الظن أنه كان مبلغاً كبيراً يتناسب مع ضخامة المكتبة، وعدد الأشخاص الذين يعملون فيها والذى قدرهم أحد الباحثين بأنهم زادوا على سبعمائة شخص(٤٠). وذلك بخلاف النفقات الأخرى كثمن الحبر والورق وأجور التجليد وثمن المخطوطات وأثاث المكتبة ... وغيرها.

أما فيما يتعلق بمرتبات العاملين فلا توجد معلومات دقيقة عن الأجور التى يتقاضاها العاملون فى المكتبات الأندلسية، وأعتقد أنهم كانوا بعيدين عن شظف العيش وقلة الدخل ـ وخاصة أن هذه الفئة كانوا من أكابر العلماء ومشاهير الأدباء، ولم يكن لهم مصدر رزق آخر.

كما أنهم كانوا يحصلون على أجورهم من الأوقاف المحبوسة مما يعنى أن تلك المرتبات لم تكن ثابتة، بل كان المرتب يتبع فى ارتفاعه وانخفاضه ما يستطيع المشرف أن يحصل عليه من إيراد الوقف(٤١).

ونجد فى المصادر الأندلسية عبارات عامة تفتقد الدقة مما لا يمكننا معه تحديد الحد الأدنى لتلك الأجور : يقول ابن الخطيب عند الحديث عن محمد بن أحمد بن شقرال اللخمى "إنه اختص بالنظر فى خزانة الكتب السلطانية وأجرى عليه الجراية"(٤٢). وفى مكتبة القاضى أبو المطرف ابن فطيس (ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١م) كان يعمل ستة وراقين يقومون بنسخ الكتب" ورتب لهم على ذلك راتباً معلوماً"(٤٣). وهذا الراتب وإن كان ثابت القيمة إلا إنه غير معروف.

وكان بعض العاملين بالمكتبات يتقاضون مرتبات مرتفعة وأعطيات كثيرة، فهذا هو أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى الذى كان مشرفاً على الخزانة العلمية "خزانة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن" وكانت عندهم من الخطط الجليلة التى لا يُعين لها إلا علية أهل العلم وأكابرهم، وكانت مواهب ابن عبد المؤمن جزيلة وأعطياته مترادفة وصلاته متوالية، وربما وصله فى المرة الواحدة بخمسمائة دينار(٤٤).

وهذا يدل على أن مرتبات العاملين بالمكتبات ـ وخاصة مكتبات الخلفاء ـ كانت مرتفعة وغير ثابتة، إلا أننا لا ندرى كيف كان يتم تقاضى هذا المرتب هل كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر؟ والغالب أنه كان يتم شهرياً .

ويزودنا ابن غالب بمعلومات عن مرتبات العاملين بالمسجد الجامع بقرطبة والذى كان من بينهم من يقوم بالإشراف على المكتبة يقول: "وكان يخدمه من الخطباء والأئمة والمؤدبين والقومة مائة رجل وعشرات لهم من الدنانير على اختلاف منازلهم، ثمانمائة دينار فى الشهر مكافأة على رتبتهم وتعطيل أشغالهم حاشا الديار لسكناهم"(٤٥).

وكان من بين هؤلاء العاملين من أسند إليه الإشراف على مجموعات الكتب الموجودة بالمسجد، وعلى هذا فإن راتبه الشهرى كان ٨٠٠ دينار، هذا بالإضافة إلى مزايا أخرى ومنها تخصيص بيوت لسكنهم وإقامتهم.

وبطبيعة الحال فقد كان ثمة تفاوت فى المرتبات من مكتبة إلى أخرى،ومن درجة وظيفية إلى أخرى داخل المكتبة الواحدة.

العاملــون:

تُعتبر القوى العاملة فى المكتبة هى عصب العمل المكتبى، ومن أهم العناصر لتقديم الخدمات المكتبية، فلا يمكن أن تدار المكتبة بدون عدد من العاملين.

ويتفاوت عدد العاملين تبعاً لحجم المكتبة "صغيرة أم كبيرة" ونوعها "عامة أم خاصة" كما تتفاوت رتبهم، ويتفاوت نوع العمل المسند إليهم.

وكان يطلق على من يتولى أمانة المكتبة فى الغرب الإسلامى اسم الخازن أو القَيِّم، وهو المشرف على الخزانة، ويسند إليه القيام بمجموعة العمليات المكتبية التى يطلق عليها البيليوتيكنوميا Bibliotheconomie فى علم المكتبات الحديث وتتلخص فى التيسير والتنظيم والفهرسة والتصنيف وما إليها(٤٦).

وأول اسم لخازن الكتب عند العرب هو (صاحب المصاحف) يقول السمعانى فى كتاب الأنساب : "وكان سعد (صاحب المصاحف) مشرفاً على مكتبة الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ/ ٧١٥م)" (٤٧).

وقد استُعملت عبارات أخرى للدلالة على هذه الوظيفة كقولهم، وكان على خزانة الكتب(٤٨)، وقلده خزانة الكتب السلطانية(٤٩)، وألزمه خدمة الخزانة العلمية(٥٠).

وقد تمتع أمناء المكتبات وخزنة الكتب بمكانة كبيرة وغدت وظيفة خدمة خزانة الكتب من الوظائف الرئيسية فى الدولة، فابن حيان يذكر "أن الخليفة عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر بالله جعل - بعد الفتنة التى أحاطت بقرطبة سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣م - من ضمن الوظائف الكبرى فى الدولة خدمة خزانة الطب والحكمة"(٥١).

وقد جرت العادة أن تسند خدمة الخزانة إلى خازن واحد يقوم بأعمالها ويتعهد مقتنياتها بالحفظ، وفى هذه الحالة يوكل إليه كل الأعمال الإدارية والفنية. فقد كان من ضمن مهام خازن مكتبة الأمير محمد الأوسط (٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ) القيام بنسخ الكتب التى يكلفه الأمير بها "فعندما تصفح الأمير محمد مصنف ابن أبى شيبه قال لخازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغنى خزانتنا عنه فانظر فى نسخه لنا"(٥٢).

ويمكن أن تُسند الأعمال فى المكتبة إلى العديد من الأشخاص تبعاً لحجم المكتبة وضخامة محتوياتها، فقد أحتاج العمل بمكتبة الحكم المستنصر إلى عدد كبير من المشرفين والفنيين

والوراقين والمجلدين ..... إلخ ويذكر هاريس Harris أن عدد موظفيها زاد على سبعمائة مائة موظف" (٥٣).

وقد وجد العديد من العاملين فى المكتبات الأندلسية على مختلف المستويات ويمكننا أن نصنفهم إلى الفئات الآتية:

١-المشرف:

يأتى المشرف (الخازن أو القيم) فى صدارة الفئة الأولى من العاملين بالمكتبات،ويقوم بالإشراف على المكتبة من الناحيتين الإدارية والفنية، كما يقوم بكافة مهام المتابعة والتقويم، وقد عمل فى هذه الوظيفة أمراء من الأندلس مثل الأمير الحكم الثانى؛ فقد أسند إليه والده الناصر أمر العناية بالعلم والعلماء، ومن ضمنها تنمية مجموعات مكتبة القصر، يقول صاعد الأندلسى: "ثم لما مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الأمير الحكم فى أيام أبيه عبد الرحمن الناصر إلى العناية بالعلوم وإيثار أهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار الشرق عيون التآليف الجليلة والمصنفات الغريبة فى العلوم القديمة والحديثة، وجمع منها فى بقية أيام أبيه ثم فى مدة ملكه ما كاد يضاهى ما جمعته ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة" (٥٤). وكذلك الأمير عبد العزيز بن الناصر، الذى عهد إليه الحكم بعد تولِّيه الخلافة بالإشراف على المكتبة(٥٥).

ونستنتج مما سبق أن هذه الوظيفة كانت تُسند إلى الأمراء فى الأندلس؛ مما يدل على مدى رفعة شأن تلك الوظيفة ومدى اهتمام الأندلسيين بإدارة مكتباتهم.

كما تولى الإشراف على مكتبة الحكم بعض الموالى الصقالبة الذين يتمتعون بثقافة عالية، ومنهم تليد الخصى الذى ولاه الخليفة الحكم أمر خزانة كتبه لأنه وجد فيه من الحصافة والعلم والأمانة ما يؤهله للنهوض بهذه الوظيفة يقول ابن حزم : " أخبرنى تليد الخصى الفتى،وكان على خزانة العلوم بقصر بنى مروان أن عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة فى كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط" (٥٦) وذكر ابن خلدون هذه الرواية نفسها، ولكنه أطلق على تليد الخصى صاحب الترجمة اسم "بكية الخصى" (٥٧).

ولقد أدرك الأندلسيون خطورة دور القائمين بالعمل فى المكتبات،وأن هذه الوظيفة ليست عملاً إدارياً فحسب، وإنما هى عمل علمى قبل كل شىء؛ فكان المشرف على المكتبة يتم اختياره من فئة العلماء المبرزين فى العلم واللغة والأدب ؛فقد ورد عن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد

ابن الصقر الأنصارى الخزرجى "أنه لما صار الأمر إلى أبى يعقوب بن عبد المؤمن ألزمه الخزانة العلمية وكانت عندهم من الخطط الجليلة التى لا يُعين لها إلا علية أهل العلم وأكابرهم"(٥٨).

ويبدو أن خبرة ابن الصقر الخزرجى فى ترتيب وتنظيم الكتب ـ إذ كان يمتلك مكتبة خاصة ـ هى التى أهلته لتولى هذا المنصب.

كما اتصف مشرفو المكتبات ببعض الصفات الأخرى مثل تمكنهم بالقيام بالأعمال المكتبية كالتجليد والتذهيب، فقد كان محمد بن أحمد بن فرج بن شقرال اللخمى (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م) "حسن الخط، صناع اليدين يرسم بالذهب ويسفر ويحكم عمل التراكيب الطبية... أحظاه وزير الدولة أبو عبد الله بن المحروق، واختصه ورتب له بالحمراء جراية، وقلد نظره خزانة الكتب السلطانية"(٥٩).

ومن جملة المهارات والصفات التى يتسم بها المشرف على المكتبة أن يكون واسع الثقافة، مطلعاً على أحوال الكتب وشئونها والوراقين وخطوطهم ... إلخ، فقد تقلد محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوى (ت ٤٢٣هـ / ١٠٣٣م) خزانة المنصور بن أبى عامر وابنه وكان " أعلم الناس بالكتب وعللها وألهجهم بجمعها، وأفرزهم لخطوطها وأنسبهم لها إلى وراقيها،وكان يقابل كتب المنصور وولده من بعده مثقفاً لخزانتهم الرفيعة مع تقييده لتاريخهم"(٦٠). وكما عين أحمد بن الصغير خازناً لمكتبة أمراء الموحدين، وكان ناسخاً ماهراً وجمَّاعاً خبيراً للمخطوطات والكتب(٦١).

وكان الإشراف على مكتبات المساجد يُسند إلى أحد العلماء البارزين،ففى مكتبة المسجد الجامع بإشبيلية كان خطيب المسجد " عبد الرحمن اللخمى" هو المشرف على المكتبة والمسئول عن حفظ الكتب وصيانتها(٦٢).

٢-الفنيون:

أما الفئة الثانية من العاملين بالمكتبات فهى فئة الفنيين وتشمل المسئولين عن اقتناء الكتب وتنظيمها ومراجعتها .

وقد عمل بمكتبة قصر بنى مروان نفر كثير فى شراء واقتناء الكتب، ومنهم عباس بن ناصح الجزيرى الذى أرسله الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى المشرق ليلتمس له الكتب وينسخها(٦٣).

كما أرسل الخليفة الحكم الثانى الوكلاء إلى المشرق للبحث عن الكتب وشرائها، ومنهم محمد بن طرخان الوراق (٦٤). والقاضى عمر بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الوفى(٦٥).

أما مهمة تصحيح ومراجعة الكتب فقد قام بها جماعة من علماء الأندلس المشهورين، نذكر منهم: محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى الرباحى (ت٣٥٨ هـ / ٩٦٩م) " وكان فقيهاً إماماً موثوقاً ... وفى عهد الخليفة الحكم زاول مهنة مقابلة الدواوين والنظر فيها،وتوسع له فى الدراية(٦٦)، وكان سعيد بن نصر بن أبى الفتح (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥م) "من أهل الرواية والاجتهاد والدراية بطلب العلم والحديث وتجويد الكتب والمقابلة لها وتصحيحها، وكان الخليفة الناصر يلجأ إليه فى تصحيح ومقابلة الكتب"(٦٧).

ولقد أنشأ الحكم لمقابلة الكتب ديواناً خاصاً بمكتبته، وعمل بهذا الديوان كثير من العلماء، منهم: أبو بكر بن السليم(٦٨)، ومحمد بن يوسف المعافرى (٦٩)، وأبو القاسم أحمد بن يوسف (٧٠)، وكان أبو على القالى اللغوى الذائع الصيت ينسخ الكتب النادرة والمهمة فى مكتبة الحكم، ويراجع نسخ بقية الخطاطين واشترك مع محمد بن أبى الحسين الفهرى، ومحمد بن معمر الجيانى فى مقابلة أكثر معاجم اللغة، ومنها كتاب العين للخليل بن أحمد، حيث أحضروا كل نسخ الكتاب، ومن جملتها نسخة القاضى منذر بن سعيد البلوطى التى رواها بمصر عن ابن ولاد، وبعد القيام بمقابلة النسخ اتضح أن تلك النسخة أكثر النسخ تصحيفاً وخطأ وتبديلاً"(٧١).

ومن هنا يمكننا القول بأن ديوان المقابلة كان يعمل به كبار العلماء حيث يوكل إليهم نسخ الكتب ومراجعتها، وكان عملهم يتم بإحضار كافة النسخ من الكتاب الواحد ومقابلتها والتحقق من صحتها.

كما كان يوجد بمكتبة بنى مروان بقرطبة ديوان يُعرف بديوان الاختصار،يتولى مهمة اختصار الكتب الكبيرة الحجم تيسيراً على المستفيدين،ومن هؤلاء الذين عملوا بهذا الديوان ابنا إبان بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار، "وهما من جملة فقهاء قرطبة... ندبهما الحكم إلى اختصار الكتب المبسوطة، فاختصراها وقرباها. واختصر اختصارهما بعد ذلك شيخنا قاضى الجماعة أبو الوليد بن رشد"(٧٢).

وكانت مكتبات الخلفاء يتم تنظيمها وترتيبها بواسطة العلماء؛ فمكتبة الحكم الثانى كان يقوم بتنظيم محتوياتها وترتيبها العلماء والفقهاء ويعاونهم فى ذلك طائفة من الفتيان ؛ يقول القاضى عياض إن الفقيه أحمد بن عبد الملك الإشبيلى كان من جملة الفقهاء الذين تم اختيارهم لترتيب خزانة الكتب، ومعهم من الفتيان طائفة يتولون ذلك بين أيديهم، وطالت مدة عملهم حولاً كاملاً لكثرة ووفور خزائنها(٧٣).

٣-الوراقون:

وضمت هذه الفئة النساخ والخطاطين والمُجلِّدين وغيرهم ممن اتخذوا الوراقة حرفة لهم، - وقد كان أصحاب المكتبات الخاصة يستخدمون الوراقين فى مكتباتهم للقيام بأعمال النسخ والتجليد، فقد كان القاضى أبو المطرف بن فطيس (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) جماعاً للكتب، وقد استخدم ستة وراقين لنسخ ما يريده من الكتب، وقد قرر لهم مقابل ذلك راتباً معلوماً(٧٤). ومن هؤلاء الوراقين محمد بن عيسى بن أبى ثورة الحضرمى الوراق (ت ٣٩٦هـ/ ١٠٠٦م) وكان "حسن الخط جيد الضبط، وكان ينسخ للقاضى أبى المطرف بن فطيس كتبه ويقيد مقاله" (٧٥). ويفهم مما سبق أن ابن فطيس لكى يضمن استمرار هؤلاء الوراقين فى النسخ وعدم التسرع فى العمل، جعل لهم أجراً ثابت القيمة.

وكان من ضمن مهام الوراقين القيام بحصر مجموعات المكتبة، فقد كان لدى الوزير ابن عباس (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) وراق يقوم بحصر الكتب سنوياً يقول ابن بسام إنه "قام بتحصيل مكتبة ابن عباس قبل مقتله بسنة فبلغت أربعمائة ألف مجلد عدا الدفاتر المخرومة"(٧٦).

وكانت مكتبات الخلفاء تضم العديد من النساخ، فقد كان بمكتبة والى إشبيلية إسماعيل بن عبد المؤمن عدد من النساخ تفرغوا لنسخ ما يريده من كتب لإيداعها فى هذه الخزانة، وكان على رأس هؤلاء أبو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن غفير(٧٧).

وقد ضمت مكتبة الحكم الثانى الكثير من النساخ والمجلدين، يقول ابن خلدون: "إن الحكم جمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والإجادة فى التجليد فأوعى من ذلك كله"(٧٨).

ومن أشهرهم: عباس بن عمر بن هارون الكنانى الوراق (ت ٣٧٩هـ / ٩٩٠م)(٧٩) وظفر البغدادى، وهو من الوافدين على الأندلس، سكن قرطبة، وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بحسن الخط،(٨٠). وإبراهيم بن سلم الأفريقى الوراق(٨١). وأحمد بن سعد بن مقدس(٨٢) وكان هؤلاء الوراقون يعملون باستمرار فى القصر، ومعهم مجلدون آخرون من صقلية وبغداد(٨٣).

٤-المناولون:

وقد وجدت فئة أخرى من العاملين بالمكتبات، وهى فئة المناولين،وهذه الفئة لا ترقى إلى وظيفة الخازن ولا تهبط إلى مستوى الفراشين، وتتلخص وظيفة المناول فى إرشاد القراء إلى موضع الكتب على الرفوف أو إحضار الكتب لهم من أماكنها إلى حيث يقروءن(٨٤)، ففى تونس

زمن الحفصيين كان المناول يتولى إيصال الكتب لمن يطلبها، وفى مدينة فاس يقوم بمناولة الكتب وتوصيلها لمن له رغبة فى مطالعتها[٨٥]. وهذا يعنى أن المناول كان يحمل الكتب من رفوفها إلى القراء.

وهكذا فإن الهيكل الوظيفى للمكتبات الأندلسية تكون من أربع فئات، هم: المشرفون، والفنيون، والوراقون، والمناولون؛ ويتعاون هؤلاء جميعاً على تقديم خدمات متميزة للمترددين على تلك المكتبات.

أما بالنسبة للوائح وتشريعات العمل فقد ضنت المصادر والمراجع بإيراد معلومات عنها، وأعتقد أن المكتبات فى الغرب الإسلامى لم تخالف ما كان سائداً فى مكتبات المشرق الإسلامى فقد كانت المكتبات العامة تفتح أبوابها كل يوم، وكذلك المكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس لأنها تعد مؤسسات عامة ينبغى عليها أن تعمل باستمرار[٨٦]. كما نعتقد أنه وجدت قواعد تحدد مهام العاملين وكذا فئات المستفيدين، وطرق التعامل مع الكتب والمحافظة عليها، إلا أنه مع الأسف لم تصلنا، وامتدت إليها يد التدمير مع ما دمر وحرق من المكتبات الأندلسية.

المجموعات المكتبية:

ونتعرف فيها على المقتنيات المكتبية أو ما يُطلق عليه مجتمع أوعية المعلومات من حيث أحجامها وأنواعها وموضوعاتها. ومن المعروف أن المكتبة تستمد وجودها الحقيقى من مقتنياتها، حيث تعتبر مقتنيات المكتبة العنصر الوحيد الذى يميزها عن غيرها من المكتبات الأخرى، ذلك أن المكتبات قد تتشابه إلى حد بعيد فى طرق التنظيم وأنواع الخدمات إلا أن تميزها النوعى تستمده من طبيعة مقتنياتها، كما أن المقتنيات هى أحد معايير الحكم على فاعلية المكتبة[٨٧].

وقد تفاوت حجم المجموعات بالمكتبات الأندلسية تفاوتاً واضحاً من مكتبة إلى أخرى، وحدد بعض المؤرخين أحجام المكتبات بالأرقام فذكروا "أن مكتبة الوزير ابن عباس بلغت أربعمائة ألف مجلد، أما الدفاتر المخرومة، فلم يوقف على عددها لكثرتها" [٨٨]. وبلغت كتب أبى على الحضرمى ثلاثة آلاف مجلد وسبع مائة واثنين وأربعين مجلداً[٨٩].

أما المكتبة الملكية لبنى أمية فى قرطبة، فقد بلغ عدد الكتب بها حسب رواية المقرى أربعمائة ألف مجلد[٩٠]. وقد راود الشك بعض الباحثين فى هذا العدد فأرجعوا ذلك إلى

المبالغة التى يلجأ إليها المؤرخون عادة عند ذكر الأرقام(٩١). وأرى أن هذا العدد الضخم الذى أورده المقرى ليس فيه مغالاة للأسباب الآتية:

١- إجماع كثير من المؤرخين على صحة هذا الرقم كالمقرى، محمد كرد على(٩٢) ومحمد عبد الله عنان(٩٣). وأحمد بدر(٩٤)، وريبيرا Ribera(٩٥). وبروفنسال provencal (٩٦) ، وكاريون Carrion(٩٧)، وتوراد فى جل المصادر القديمة، والحديثة العربية، وغير العربية، بل ذهب بعضهم إلى أن مجموعات تلك المكتبة بلغت ستمائة ألف مجلد(٩٨).

٢- ما أورده المؤرخون من أن فهارس دواوين الشعر التى ضمتها مكتبة الحكم بلغت ٤٤ مجلداً فى كل مجلد خمسون ورقة(٩٩). وبعملية حسابية بسيطة يتضح أن دواوين الشعر وحدها شغلت ٤٤٠٠ صفحة، وعلى اعتبار أن الصفحة بها ٣٠ سطراً لعرفنا أن دواوين الشعر بلغت ١٣٢ ألف عمل، هذا فضلاً عن النسخ المتعددة من العمل الواحد، فإذا كان هذا العدد الكبير مقصوراً على الدواوين فكم يكون عدد المؤلفات فى مختلف العلوم الأخرى؟

٣- أفرد الحكم مبنى خاصاً نقلت إليه خزائن الكتب، بعد أن ضاقت أبهاء القصر عنها، واستغرق نقلها ستة أشهر(١٠٠). ثم إن هذه المكتبة كانت تضم ثلاث مكتبات على الأقل، هى: مكتبة الحكم الثانى، ومكتبة أخيه عبد الله فضلاً عن مكتبة القصر التى اشتملت على ما جمعه أسلافه(١٠١).

٤- ومما يدل على ضخامة المكتبة ما ذكره القاضى عياض من أن الفقهاء الذين اختارهم المنصور بن أبى عامر لإعادة ترتيب المكتبة "قد طالت مدة عملهم فى ذلك لكثرة ووفور خزائنها حولاً كاملاً وفوقه" (١٠٢) كما أن الحكم الثانى أنفق فى شراء مجموعاتها مبالغ كبيرة ؛ فقد بلغ ما أنفقه فى شراء الكتب من المشرق ١٢٠ ألف دينار(١٠٣).

٥- كثرة الكتب فى الأندلس بسبب وفرة الورق وكثرة النساخ، ولم يقتصر هذا الأمر على الرجال بل تجاوزه إلى النساء فقد حكى ابن فياض أنه كان يوجد بالربض الشرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة ينسخن المصاحف بالخط الكوفى(١٠٤)، وقد استخدم الحكم لمكتبته جيشًا من النساخ والخطاطين يقومون بنسخ المخطوطات(١٠٥). وكلف الوكلاء السماسرة فى البحث عن الكتب فى أنحاء العالم الإسلامى وجلبها إلى الأندلس(١٠٦).

٦- إن ضخامة مقتنيات مكتبات الخلفاء كانت معروفة فى العصور الوسطى الإسلامية، فقد قدر أبو شامة عدد مجلدات مكتبة العزيز الفاطمى بالقاهرة بمليونَىْ كتاب(١٠٧). وقد ذكر

القلقشندى أن مكتبة قرطبة إحدى أعظم ثلاث مكتبات فى العالم الإسلامى، لذا فمن المستبعد أن تحتوى تلك المكتبة على أقل من هذا العدد إن لم يكن أكثر منه (١٠٨)، كما أن هذا الرقم يبدو متواضعاً مقارنة بما فى بعض المكتبات الخاصة التى بلغت محتوياتها على مثل هذا الرقم مثل مكتبة الوزير ابن عباس(١٠٩).

أما المكتبات العامة فكانت تعج بآلاف الكتب والمجلدات فى مختلف فروع المعرفة البشرية، وكانت تدور مجموعاتها ما بين عشرة آلاف ومائة ألف مجلد(١١٠).

وقد أورد بعض المؤرخين مقدار المقتينات وفقاً لثمنها ؛ فقد كان لدى القاضى أبى المطرف ابن فطيس (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) مكتبة ضخمة اجتمع لورثته بعد وفاته فيها أربعون ألف دينار قاسمية(١١١)، وأحمد بن يحيى بن سعود العبدرى (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م) قُوِّمت مكتبته بعد وفاته بستة آلاف دينار أو أزيد(١١٢). وذكر ابن الأبار أنه كان لدى عبد الرحمن ابن ملجوم (ت ٦٠٥ هـ /١٢٠٨م) مكتبة بيعت بعد وفاته بأربعة آلاف دينار(١١٣). وهذه المبالغ الكبيرة تدل على ضخامة مجموعات تلك المكتبات.

وبالإضافة إلى المعايير السالفة الذكر، استُخدم كذلك الحمل والعدل(١١٤) والوقر(١١٥) لتقدير مجموعات المكتبات، فقد بلغ مقدار مكتبة الفقيه عبد الله بن حيان (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ٢١٣ عدلاً من أعدال الحمالين، ويُقدر العدل بعشرة أرباع(١١٦) وكان لدى أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصارى(ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) عند توجهه إلى مراكش خمسة أحمال كتب(١١٧). ولقد خلف على بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ / ١٢٧٤م) كتاباً يُسمى المرزمة يشمل على وقر بعير من رزم الكراريس(١١٨).

إلا أن بعض المؤرخين لم يقدروا أحجام المكتبات بأى من المعايير السابقة ولكن وصفوها بعبارات فضفاضة غير دقيقة تدل على الكثرة والجودة ؛ فقد ذكر ابن بشكوال أن سعيد بن أحمد الحديدى التجيبى (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) "جمع كتباً لا تُحصى"(١١٩). أما القاضى أحمد بن ذكوان "فلم يكن فى الأندلس أكثر منه كتباً" (١٢٠)، وجمع عبد الله بن حيان الأروشى (١٢١) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م) من الكتب شيئاً عظيماً(١٢٢). وكان المنصور بن محمد بن داود بن عمر الصنهاجى (ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٣م) "منافساً فى الدواوين العتيقة والأصول النفيسة، جمع من ذلك ما أعجز أهل زمانه" (١٢٣) ويقول المقرى عن ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكم الرندى (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨م): "وكانت له صبابة باقتناء الكتب، وجمع من أمهاتها العتيقة وأصولها الرائقة الأنيقة ما لم يجمعه فى تلك الأعصر أحد سواه ولا ظفرت به يداه حتى

ضاقت قصوره عن خزائنها [١٢٤] ومحمد بن أحمد بن قاسم المذحجى (ت ٧٤٢ هـ هـ/ ١٣٤٣م) الذى "كان شديد العناية بالكتب جمع من أغلاظ ذخائرها ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده"[١٢٥]؛ وكذلك محمد بن سعيد بن مدرك الغسانى الذى "اقتنى من الدواوين والدفاتر شيئاً عظيماً وفاق أهل بلده فى ذلك"[١٢٦].

كما نعتوا مجموعات المكتبة بصفات تدل على الجودة، يقول ابن الخطيب فى وصف مكتبة الشيخ سعيد بن أحمد بن ليون: "بضاعته خزانة جمعت الآباء والأمهات والفرقد والمهاة والحقائق والترهات"[١٢٧]، وكذلك الشيخ الخطيب أبو عبد الله بن حريلة "الذى تُوفى عن خزانة كتب أسفارها عديدة وأغراضها سديدة"[١٢٨].

ولقد وجدت بعض المعلومات عن محتويات المكتبات من الناحية الموضوعية، وكانت المكتبات ذات المجموعات الضخمة تمثل كل الاتجاهات الدينية والفلسفية والسياسية، وعلى سبيل المثال كانت مكتبة الحكم الثانى تضم موضوعات متعددة كالتاريخ والجغرافيا واللغة والأنساب، وكانت تحتوى على عدد كبير من الدواوين الشعرية[١٢٩].

كذلك اشتملت هذه المكتبة على نسبة غير قليلة من كتب الأوائل : منها المترجم إلى اللغة العربية مما حُمل من المشرق إلى قرطبة، كما كان منه غير المترجم مما أهداه بعض الملوك إلى خليفة الأندلس الناصر مثل كتاب "ديسقوريدوس مصور الحشائش"، ويؤكد ذلك ما قام به المنصور بن أبى عامر بحرق جملة كبيرة من كتب الأوائل إرضاء للعامة والفقهاء[١٣٠].

أما الكتب المتعلقة بعلوم القرآن الكريم فقد كانت كثيرة ولم تقتصر على المذهب المالكى فقط، فلقد كان الحكم يحتفظ فى مكتبته بنسخة من كتاب الأم للشافعى[١٣١] وكان يقع فى ١٢٠ جزءاً ضمت أعمال الشافعى[١٣٢].

كما وجد بمكتبة الحكم بعض المؤلفات فى الديانات الأخرى مثل الديانة اليهودية، فقد استجلب الحكم من الشرق أصول التواليف اليهودية[١٣٣] ومنها ترجمة عربية ملخصة للتلمود[١٣٤].

وكانت المكتبات الخاصة تتبع الميول العلمية لأصحابها، ويغلب على معظم محتوياتها التخصص المباشر لصاحب المكتبة فلقد كانت كتب ابن خير الإشبيلى البالغ عددها ١١٢٤ كتاباً من بينها ٨٣٥ كتاباً فى التخصص، وتسير على النحو التالى :

- الحديث ٢٩٥ كتاباً
- الأدب ٢٤٩ كتاباً

- اللغة ١٣٣ كتاباً

- القراءات ١٠٨ كتاب

- النحو ٥٠ كتاباً فيكون المجموع ٨٣٥ كتاباً، أى أكثر من الثلثين(١٣٥)

ويُلاحظ أن أغلب المحتويات تتعلق بتخصص العالم، إلا أن العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية تشغل حيزاً كبيراً.

وكانت بعض المكتبات الخاصة تضم نوادر من الكتب لا توجد فى غيرها من المكتبات، فقد جمع القاضى أبو المطرف بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١م) فى مكتبته كتباً حساناً، منها، كتاب القصص والأسباب التى نزل من أجلها القرآن فى نحو مائة جزء ونيف، وكتاب المصابيح فى فضائل الصحابة مائة جزء، وفضائل التابعين مائة جزء وخمسون جزءاً، والناسخ والمنسوخ ثلاثون جزءاً، ومسند حديث محمد بن فطيس خمسون جزءاً وأعلام النبوة ودلالات الرسالة عشرة أسفار، ومسند قاسم بن أصبغ العوالى ستون جزءاً، والكلام على الإجازة والمناولة عدة أجزاء ، وغير ذلك من التواليف(١٣٦).

وكذلك ضمت مكتبة محمد بن يحيى الغافقى (ت ٤٣٣ هـ/ ١٠٤١م) نسخاً فريدة مثل: إصلاح المنطق بخط أبى على القالى، والغريب المصنف أصل أبى على، ونوادر ابن الأعرابى بخط أبى موسى الحامض، وتاريخ الطبرى الفرغانى بخط ابن سلول الوشقى، وبيع هذا كله فى تركته وأغلى فيها حتى قُوِّمت الورقة فى بعضها بربع مثقال.

أما المكتبات العامة فلم نعثر فيما بين أيدينا من مصادر ومراجع على ما يمكننا من التعرف على توزيع المجموعات بها، ويعتقد أن محتوياتها كانت تتناول جميع فروع المعرفة وذلك لترضى جميع الميول والاتجاهات.

وقد ضمت مكتبات المساجد بعض المصاحف الشهيرة والنادرة، فقد كان بمسجد قرطبة مصحف عثمان الذى كتبه بيمينه،وكان فى مسجد العدبس مصحف بخط ابن مقلة.

وهكذا اتضحت لنا العناصر التى تؤثر على مجريات العمل بالمكتبة، وعلى نوع الخدمة المقدمة من مبنى وتجهيزات، وموارد مالية، وعاملين، ومجموعات، وكيف أن الأندلسيين اهتموا بها اهتمامًا بالغاً. ولكى تكتمل مقومات الخدمة الفعالة، يبقى أن نستعرض النظم والإجراءات الفنية، وهى موضوع الفصل القادم.

هوامش الفصل الثانى

(١) Pinto, Olga. The libraries of the Arabes during the time of the Abbasides . p 227.
أحمد شلبى. تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٤٨ ؛ محمد عجاج . لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر .- ط ١٧ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧ ، ص ٧٣.

(٢) بلباس ، ليوپولدوتوريس . الأبنية الإسپانية والإسلامية / تعريب عليه إبراهيم العنانى .- مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ع ١ ، س١.(١٩٥٣م) ، ص ٩٧ ، ٩٨؛ السيد عبد العزيز سالم . المساجد والقصور فى الأندلس، ص ٧٧.

(٣) انظر : السيد عبد العزيز سالم . المرجع السابق ن ص ٥ - ٦٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم . فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص ١٥٩ - ١٧٥.

(٤) الإدريسى . نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مج ٢ ، ص ٥٧٧ .

(٥) وكانت القصور تتكون من نوعين من البناء هما: «الدار» وهو النمط الكلاسيكى الغربى ، ذات بهو تحيط به الحجرات ، " القصر ذاته " أو الجزء العام الضخم الذى احتذى فيه مثال " الأبادانة الشرقية " ، وأن القصر كان يتألف من أروقة متوازية أشبه ما تكون ببلاطات المساجد .انظر:

- محمد عبد الوهاب خلاف .الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى قرطبة الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى، ص ٤،٣ ، وللمزيد عن القصور الملكية فى الأندلس انظر:
- السيد عبد العزيز سالم . المساجد والقصور فى الأندلس ، ص ٧٣ -١٢٦.
- السيد عبد العزيز سالم . فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص ١٨٣ -٢٠٨.

(٦) والناصر ، هو البانى لمدينة الزهراء العظيمة ، ولما بنى قصر الزهراء المتناهى فى الجلالة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله فى الإسلام ، وكل من رآه قطع أنه لم ير مثله.
(انظر : ابن العماد الحنبلى . شذارات الذهب ، جـ ٢ ، ص ٤).

(٧) أحمد فكرى . قرطبة فى العصر الإسلامى ، ص ٢١١.

(٨) محمد عبد الله عنان . الآثار الباقية فى إسپانيا والبرتغال : دراسة تاريخية أثرية . - القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٥٦، ص ٢٣.

(٩) المرجع السابق، ص٣٣-٣٥.

(١٠) المقرى. نفح الطيب، جـ ١، ص ٣٩٤.

(١١) عبد الرحمن العكرش. مكتبة الأمويين بالأندلس. - مجلة المكتبات والمعلومات العربية، س ١٢، ع٢، (يوليو، ١٩٩٢م)، ص ٢٤.

(١٢) ابن خلدون. العبر، جـ٤، ص ١٤٦؛ المقرى. المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٨٦.

(١٣) محمد ماهر حمادة. المكتبات فى الإسلام، ص ١٤٨.

(١٤) محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام فى الأندلس - (دول الطوائف)، ع٢، ص ٥٥.

(١٥) وكان البيت الأندلسى يتألف من جزءين أساسين، هما: أ- الواجهة الخارجية؛ ب- داخل البيت. وتمتاز البيوت والمنازل الأندلسية بفقر مظاهرها الخارجية بخلاف ما علية من الداخل من أبهة، وذلك يفسر ظاهرة احتقار العرب للظهور بمظهر الغنى الزائل وحبهم لحياة مريحة.

(انظر: بلباس. الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص ٢٣؛ السيد عبد العزيز سالم. فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ١٨٤).

(١٦) ابن بشكوال. الصلة، ص ٢٢.

(١٧) ابن بشكوال. الصلة، ص ٣١٢.

(١٨) النباهى. تاريخ قضاة الأندلس، ص ٨٨.

(١٩) الطاهر أحمد مكى. دراسة فى مصادر الأدب. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م. - ص ٦٥؛ ريبيرا. المكتبات وهواة الكتب - (١)، ص ٩٠.

(٢٠) ابن سعيد المغربى. اختصار القدح المعلى، ص ١٤٨.

(٢١) المقرى. نفح الطيب، جـ ٥، ص ٥٠٤.

(٢٢) عبد المنعم حامد المرسى. الحضارة الإسلامية فى عهد الخليفة الناصر، ص ١٩٩؛
Arnold, Thomas. The legacy of Islam, P. 14.

(٢٣) ابن الخطيب. الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ ٣، ص ٤٥٠.

(٢٤) المقرى. نفح الطيب، جـ ٣، ص ٣٢٤.

(٢٥) محمد المنونى. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص ٢٨٠؛ نقلاً عن كتاب "بعض أخبار فقهاء مالقة وأدبائها" ابتدأ تأليفه محمد بن على بن خضر الغسانى المشهور بابن عسكر، وكمله ابن أخته محمد ابن محمد بن على بن خميس (نسخة الأستاذ محمد العرائشى).

(٢٦) يوسف العش. دور الكتب العامة وشبه العامة، ص ٣٥٧.

(٢٧) ابن عبد الملك المراكشى. الذيل والتكملة، السفر الأول، ق ١، ص ٩٨.

(٢٨) الإدريسى. نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مج٢، ص ٥٧٧؛ ابن صاحب الصلاة. المن بالإمامة، ص ٣٥١؛ الحميرى. صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٥ المقرى. نفح الطيب، جـ ١، ص ٦٠٥.

(٢٩) المقرى. المصدر السابق، جـ ٤، ص ٦٤، ١٤٧.

(٣٠) أحمد فكرى. قرطبة فى العصر الإسلامى، ص ٢٩٧.

(٣١) المرجع السابق، ص ٢٩٦؛ حسن إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام، جـ ٤، ص ٣٥٩.

(٣٢) أحمد شلبى. تاريخ التربية الإسلامية، ص ١٧٨.

(٣٣) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق٢ ، ص ٥٣٨، ٥٣٩.
(٣٤) قرية بيرة : قرية على ساحل البحر بالأندلس ما بين مرسية والمرية.
(انظر : ياقوت الحموى . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٦٢٤).
(٣٥) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٥٤٨.
(٣٦) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٢.
(٣٧) المصدر السابق ،جـ ٣ ، ص ١٩٦ _ ١٩٩.
(٣٨) محمد عبد الحميد عيسى . تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢٧٧.
(٣٩) عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، مج٢، جـ ٤، ص ٥٧٣.
(٤٠) عبد الرحمن بن حمد العكرش. مكتبة الأمويين بالأندلس ، ص ٤١.
(٤١) أحمد شلبى. تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٧٨.
(٤٢) ابن الخطيب. الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٢٥.
(٤٣) ابن بشكوال. الصلة ، ص ٣١٠؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج١ ، ص ٤٧٨.
(٤٤) ابن عبد الملك المراكشى. الذيل والتكملة. السفر الأول - ق١ ، ص ٢٢٨، ٢٢٩؛ ابن فرحون. المصدر السابق ، مج ١، ص ٢١٣ ؛ ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ١٨٤.
(٤٥) ابن غالب . فرحة الأنفس ، ص ٢٩٩.
(٤٦) أحمد شوقى بنبين. دراسات فى علم المخطوطات ، ص ٥٧.
(٤٧) السمعانى . الأنساب ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨.
والمصاحف آنذاك كانت تعنى الكتب المجلدة قبل أن تختص بالقرآن الكريم بدليل ما ورد عند فتح الأندلس أن من جملة ما وجد فى الأندلس اثنين وعشرين مصحفاً ، كلها من التوراة ومصحف آخر محلى بفضة فيه منافع الأحجار والأشجار والدواب وطلسمات عجيبة فحمل ذلك إلى الوليد .وكان فى المصاحف مصحف فيه عمل الصنعة وأصباغ اليواقيت " (انظر : ابن عبد البر الأندلسى . القصد والأم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم . ـ القاهرة:مكتبة القدس ، ١٣٥٠ هـ ، ص ٣٤).
(٤٨) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٠ ؛ ابن خلدون العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦.
(٤٩) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٢٢ ـ ٢٥.
(٥٠) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٨٤.
(٥١) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ،ق١ ، مج١ ؛ ص١٥ ؛ محمد عبد الله عنان دولة الإسلام فى الأندلس،ع١ ، ق٢ ، ص٦٦٥.
(٥٢) الحميدى. جذوة المقتبس ، ص ١١؛ الضبى. بغية الملتمس ، ص ١٥ ؛ المقرى. نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٥١٩.
(٥٣) عبد الرحمن بن حمد العكرش. مكتبة الأمويين بالأندلس ، ص ٤١.
(٥٤) صاعد الأندلسى . طبقات الأمم ، ص ٦٥.
(٥٥) محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ،ع١ ، ق٢ ، ص ٥٠٦؛ أحمد شوقى بنبين. دراسات فى علم المخطوطات ، ص ٦٠ ، عبد الرحمن بن حمد العكرش . مكتبة الأمويين بالأندلس ، ص ٣٥.
(٥٦) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٠.
(٥٧) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٨٥.

(٥٨) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١، ص ٢٢٨؛ ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة، جـ١ ، ص ١٨٤؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج١ ، ص ٢١٢.

(٥٩) ابن الخطيب. الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٢٢ -٢٥؛ السيوطى. بغية الوعاة ، مج١، ص ٤٥ -٤٦ .

(٦٠) ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ، ص ٣١٠.

(٦١) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب _ (٢) ، ص ٨٤.

(٦٢) المرجع السابق ، ص ٧٩؛ Sibai . Mosque Libraries, p.55

(٦٣) ابن سعيد . المغرب فى حلى المغرب ،جـ ١ ، ص ٤٥؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ع١ ، ق١ ، ص ٢٨١.

(٦٤) ابن الأبار . الحلة السيراء ، ص ٢٠٢.

(٦٥) عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ٥٧٣.

(٦٦) الزبيدى. طبقات النحويين واللغويين ، ص ٣١٤ ؛ ابن الفرضى . تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٦٩.

(٦٧) ابن بشكوال. الصلة ، ص ٢١٠.

(٦٨) عياض . المصدر السابق ، مج٢ ، جـ ٤، ص ٥٤٣.

(٦٩) المصدر السابق ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ٥٦٦.

(٧٠) المصدر السابق ، مج٢، جـ٤، ص ٥٤٤.

(٧١) الحميدى. جذوة المقتبس ، ص ٥١؛ الضبى. بغية الملتمس ، ص ٧١ ؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ـ (١) ، ص ٨٧ ؛ الطاهر أحمد مكى . دراسة فى مصادر الأدب ، ص ٦٧.

(٧٢) عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٥٥٧.

(٧٣) المصدر السابق ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٣٨.

(٧٤) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٣٠٩ ؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج١ ، ص ٤٧٨.

(٧٥) ابن بشكوال . المصدر السابق ، ص ٤٨١.

(٧٦) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ق١ ، مج١ ، ص ٦٦٥.

(٧٧) ابن صاحب الصلاة . المن بالإمامة ، ص ٣٨٩.

(٧٨) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦.

(٧٩) ابن الفرضى . تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٩٩.

(٨٠) ابن الأبار .التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٧٨؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١١١.

(٨١) ابن الأبار . المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٨.

(٨٢) ابن الفرضى . المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٩.

(٨٣) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب _ (١) ، ص ٨٦.

(٨٤) أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية ،ص ١٧٦.

(٨٥) يوسف العش . دور الكتب العامة وشبه العامة ، ص ٢٧٠.

(٨٦) المرجع السابق . ص ٢٨٥.

(٨٧) حشمت قاسم . مصادر المعلومات وتنمية المقتنيات . ـ ط٢ . ـ القاهرة : دار غريب ، ١٩٩٥م ، ص ٣٥.

(٨٨) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ، مج ٢ ، ص ٦٦٥ ؛ ابن سعيد . المغرب فى حلى المغرب جـ ٢، ص ٢٠٦؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٥٣٥.

(٨٩) السلفى . معجم السفر (مخطوط) ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩.

(٩٠) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١، ص ٣٩٥.

(٩١) انظر: محمد غلاب. الفلسفة الإسلامية فى المغرب. ـ القاهرة : جمعية الثقافة الإسلامية ، ١٩٤٨، ص ١٥؛ واشر شتاين. مكتبة الحكم الثانى المستنصر وثقافة إسبانيا الإسلامية / ترجمة عبد الرحمن العكرش. ـ مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج١ ، ع١ ، (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ، ص ٧ ؛ سعد عبد الله صالح البشرى . الحياة العلمية فى عصر الخلافة ، ص ١٢١.

(٩٢) محمد كرد على. الإسلام والحضارة العربية . ـ القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤، ص ٢٤٥.

(٩٣) محمد عبد الله عنان . اندلسيات ، ص ١٦٦.

(٩٤) أحمد بدر . تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى ، ص ١٦٥.

(٩٥) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ، - (١) ،ص٨٧.

(٩٦) بروفنسال . الحضارة العربية فى إسبانيا ، ص ٨٩.

(٩٧) Carrion, Manuel. Spain libraries in , P . 335.

(٩٨) لوبون. حضارة العرب ، ص ٤٦١؛ محمد فريد وجدى. دائرة معارف القرن العشرين ، مج ٧ ، ص ٧٥٢.

(٩٩) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٠؛ ابن الأبار. الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠٣.

وهذه الرواية هى الأرجح عندى؛ لأن ابن حزم (المتوفى ٤٥٦هـ) كان أقرب إلى هذا العصر من غيره المؤرخين الذين أوردوا هذا الخبر، ويقال أنه أدرك مكتبة الحكم ، كما أن هذه الرواية جاءت على لسان (تليد الفتى) وكان مشرفًا على مكتبة الحكم.

(١٠٠) المقرى . نفح الطيب ، جـ١ ، ص ٣٩٥ ؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ق٢، ص ٥٠٦.

(١٠١) ابن الأبار . الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ ؛ ابن الأبار .التكملة ، جـ ١ ،ص ٢٢٧؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٠ ؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ـ (١) ، ص ٨٦ ؛ هيسيل . تاريخ المكتبات، ص ٥٤.

(١٠٢) عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٣٨.

(١٠٣) المصدر السابق ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٥٧٣.

(١٠٤) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى أخبار المغرب ، ص ٢٧٢.

(١٠٥) سيتفنتش ، الكسندر . تاريخ الكتاب ، ق ١ ، ص ٢٤٣.

(١٠٦) حسن على حسن . تاريخ الإسلام ، ج٤ ، ص ٤٣٢ ؛ بروفنسّال . الحضارة العربية فى إسبانيا، ص ٧٩.

(١٠٧) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٣٠٠.

(١٠٨) ومن المؤسف أنه لم يبق كتاب واحد من ذخائر تلك المكتبة التى جمعها الحكم الثانى، بيد أن بروفنسال أشار إلى وجود مجلد منها فى جامع القيروان بمدينة فاس تحت رقم ٨٧٤، يحمل تاريخ ٣٥٩هـ وبه إشارة إلى أنه نسخ للخليفة الحكم الثانى.

(انظر : بروفنسال الحضارة العربية فى إسبانيا ، ص ٩١؛ واشر شتاين . مكتبة الحكم المستنصر ، ص ٢٨؛ ايمن فؤاد سيد. الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات . ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م ، ص ٢٤٤).

(١٠٩) ابن بسام . الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ، مج٢، ص٦٦٥؛ المقرى: نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٥٢٥.
(١١٠) هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠.
(١١١) ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج ٤، ص ٤٧٨ ؛ ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ١٦٣.
(١١٢) ابن عبد الملك المراكشي . الذيل والتكملة، جـ ٢ ، ص ٥٢.
(١١٣) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٥٢.
(١١٤) العدل : نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. (انظر: ابن منظور . لسان العرب ، مج١١، ص ٤٣٢).
(١١٥) الوقر : وهو الحمل الثقيل (انظر: المصدر السابق ، مج ٥ ، ص ٢٨٩).
(١١٦) الضبي . بغية الملتمس ، ص ٢٤٣.
(١١٧) ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج ١ ، ص ٢١٤.
(١١٨) المصدر السابق ، مج٢ ، ص ١١٣.
(١١٩) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢١٩.
(١٢٠) عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ٧٨٤.
(١٢١) ابن بشكوال. المصدر السابق ، ص ٢٨٨.
(١٢٢) ابن الأبار. التكملة ، جـ ٢ ، ص ١٩٣؛ ابن الأبار. المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي ، ص ٢٠٣.
(١٢٣) ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة . جـ ٢، ص ٤٤٦ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٤٩٩ ؛ المقرى. أزهار الرياض ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢.
(١٢٤) ابن الخطيب .المصدر السابق ، جـ ٣، ص ٦٥.
(١٢٥) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص٤٤.
(١٢٦) ابن الخطيب . الكتيبة الكامنة ، ص ٨٦.
(١٢٧) المصدر السابق، ص ٥٣.
(١٢٨) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٠.
(١٢٩) المقرى. نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ ؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ١٢ ؛ ديورانت . قصة الحضارة، جـ ١٣ ، ص ٢٨٦.
(١٣٠) بالنثيا. المرجع السابق ، ص ١٠.
(١٣١) داشرشتاين . مكتبة الحكم الثاني المستنصر ، ص٨.
(١٣٢) ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ٤٩٨.
(١٣٣) داشرشتاين . المرجع السابق ، ص ٨.
(١٣٤) يوسف العش. دور الكتب العامة وشبة العامة ، ص ٢١٦ ؛ شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، ص ٣٩٢.
(١٣٥) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٣١١ ، ٣١٢.
(١٣٦) ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ص ٣١٢.

الفصل الثالث

النظم والإجراءات الفنية

توطئة :

يُقصد بالنظم والإجراءات الفنية كافة العمليات التى يقوم بها العاملون داخل المكتبة والتى من شأنها زيادة مجموعات المكتبة ،وإعداد تلك المجموعات إعداداً فنياً يجعل الاستفادة منها سهلة ميسورة.

ويتناول هذا الفصل كيفية تزويد المكتبات ، أى بناء وتنمية المجموعات المتبع فى المكتبات الأندلسية واستعراض كافة مصادره المختلفة ،كما يتناول التنظيم والإعداد الفنى لهذه المجموعات من فهرسة وتصنيف ، كما يتناول كذلك الإجراءات الخاصة بصيانة المجموعات من تجليد وترميم .... إلخ.

التزويد: سياسته ومصادره:

يُقصد بالتزويد كل الأنشطة التى تؤدى إلى زيادة رصيد المكتبة من الكتب، ويعتبر التزويد العمل المكتبى الأول الذى تبدأ به وتدور حوله كافة العمليات المكتبية.

أولاً: سياسة التزويد

وما من شك فى أن نجاح نشاط التزويد يعتمد على وجود سياسة واضحة للاختيار لكل من العاملين والمستفيدين بما يكفل تنمية المجموعات تنمية موجهة.

وليس هناك ما يؤكد وجود سياسة للتزويد مكتوبة متبعة فى المكتبات الأندلسية، وكل ما لدينا مجموعة ضوابط يطبقها الأفراد فيما يقتنونه من كتب، فهذا هو أبو العلاء بن زهر الطبيب الأندلسى المشهور كانت لديه خزانة كتب، وكان ينتقى لها الكتب القَيِّمة ويترك ما عداها، ففى زمانه (القرن الخامس الهجرى) وصل كتاب القانون لابن سينا إلى الأندلس، وقال ابن جميع المصرى فى كتاب" التصريح بالمكنون فى تنقيح القانون " إن رجلاً من التجار جلب من العراق إلى الأندلس نسخة من كتاب القانون لابن سينا، وقد بُولغ فى تحسينها فأتحف بها لأبى العلاء بن زهر تقرباً إليه، ولم يكن هذا الكتاب وقع إليه من قبل ذلك، فلما تأمله ذمه وطرحه، ولم يدخله خزانة كتبه، وجعل يُقطع من طرره (حاشيته) ما يكتب فيه نسخ الأدوية لمن يستفتيه من المرضى" (١).

كما أن الرقابة الفكرية التى فُرضت من قبَل الحكام والفقهاء كان لها أثرها على أسلوب اختيار الكتب، فقد أشرت من قبل أن الفلسفة والتنجيم كانت من العلوم المذمومة، ويرمى صاحبها بالكفر وتحرق الكتب التى تعالج تلك العلوم.

كذلك فإن سياسة الانفتاح الفكرى التى كانت على عهد الحكم المستنصر انتهت بوفاته ووجدت من يناهضها ويتمثل ذلك فى حرق كتب الأوائل بأمر من المنصور بن أبى عامر، وحرق كتب علماء الفلسفة(٢).

وكان المحتسب يضع بعض تلك الضوابط ومنها منع شراء الكتب من اليهود والنصارى، يقول ابن عبدون: "لا يباع من اليهود، ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم وهى من تواليف المسلمين"(٣).

ثانيا: مصادر التزويد

وقد تعددت موارد الكتاب الأندلسى، ومصادر التزويد فى المكتبات الأندلسية ما بين شراء ومقايضة ووقف وإهداء ونسخ ومصادرة، ونعالج هذه المصادر فيما يلى:

١ -الشراء

يمثل الشراء المصدر الرئيسى لتزويد المكتبات بالكتب على اختلاف أنواعها وأحجامها، وفى الحديث عن الآداب مع الكتب يوصى ابن جماعة طالب العلم بضرورة تحصيل الكتب المحتاج إليها عن طريق الشراء حتى لا ينشغل بنسخها، ولا ينبغى أن يشتغل بالنسخ إلا فيما يتعذر تحصيله لعدم ثمنه(٤).

وقد ازدهرت تجارة الكتب فى العالم الإسلامى ازدهاراً كبيراً، وكثرت أسواق الكتب، وقد اشتملت الأندلس على أسواق شتى لبيع الكتب أشهرها سوق قرطبة، ويؤيد ذلك ما أثبته أبو الفضل التيفاشى بقوله: "جرت مناظرة بين يدى ملك المغرب المنصور يعقوب"، بين الفقيه أبى الوليد بن رشد، والرئيس أبى بكر بن زهر، فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة: "ما أدرى ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة لتباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية وقال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً"(٥).

وكان يوجد بإشبيلية سوق للكتب يتردد عليها أهل الأدب والعلم بحثاً عن نفائس الكتب، وقد اشتغل كثير من أهلها بتجارة الكتب، فقد كان بها شارع يسمى شارع الوراقين ؛ حيث عثر ابن مزين فى أحد حوانيته على مؤلف تاريخى نادر من تأليف الرازى(٦).

وكانت الكتب تباع عن طريق المزاد العلنى"المزايدة" كما توضح القصة التى سجلها المقرى، حيث ذكر أن الحضرمى ـ أحد علماء الأندلس ـ ذهب إلى سوق الكتب بقرطبة بحثاً عن كتاب يريده فلما عثر عليه زايد عليه رجل حتى أوصل ثمن الكتاب إلى ما يفوق ثمنه، مما دفع الحضرمى إلى التحدث مع هذا الرجل فى أمر هذا الكتاب،وما الذى دفعه أن يبذل فى هذا الكتاب فوق ما يستحق فأجابه بأنه يناسب مكاناً خالياً فى مكتبته، فحزن الحضرمى حزناً شديداً(٧).

وقد اشتغل بتجارة الكتب كثير من الأندلسيين، منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سيدارى الوراق (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٤م)(٨). ومحمد بن عبد الله بن مطروح التجيبى (ت ٦٠٦ هـ /

١٢٠٩م)[٩]. وأحمد بن خلف بن فرتون الشنتريني[١٠]. وأبو عبد الله محمد بن يبش العبدري (ت ٧٥٣ / ١٣٥٢م)[١١] وغالب بن محمد بن إسماعيل الأنصاري البلنسي[١٢].

كما عَرفت أسواق الكتب الأندلسية فئة من الوراقين تخصصت في الترويج والدعاية للكتب والنداء عليها، ويطلق عليهم اسم دلاّلي الكتب، وكان من بينهم العالم الأديب محمد بن عيسى بن علي التدلي الصنهاجي الأندلسي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)[١٣].

وفضلاً عن أسواق الكتب الأندلسية، درج حكام الأندلس على إرسال رسل أذكياء مزودين بمبالغ ضخمة من المال للبحث عن الكتب في أسواق المشرق وجلبها إلى الأندلس. وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨هـ) أول من عُني بجلب الكتب من المشرق ؛ فقد بعث العالم "عباس بن ناصح" إلى العراق بالأموال لشراء كتب الفلسفة والعلوم القديمة فأتاه بجملة من تلك العلوم[١٤].

وكان الخليفة الحكم (٢٥٠ - ٣٦٦هـ) أكثر بني أمية جمعاً للكتب، فقد أرسل الوكلاء إلى بلاد الإسلام المختلفة من أجل الحصول على الكتب، يقول ابن خلدون: "وكان الحكم محباً للعلوم مكرماً لأهلها جماعاً للكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ... وكان يبعث إلى الأقطار رجالاً من التجار ويسرب إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه"[١٥]

كما كان لدى الحكم مجموعة من الوراقين في المشرق يجمعون له الكتب والمؤلفات ؛ ومن وَرّاقيه ببغداد : محمد بن طرخان[١٦]. وكان هؤلاء الوراقون يرصدون له المؤلفات الجيدة التي ما زالت في مرحلة التأليف، فقد أبلغوه أن أبا الفرج الأصفهاني الأديب المشهور يؤلف كتاباً لم يسبق إلى مثله وهو كتاب (الأغاني) فبعث إليه ألف دينار من الذهب، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه، فأرسل إليه نسخة قبل أن يخرجه إلى أهل العراق، وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري في شرحه لمختصر ابن الحكم وأمثال ذلك"[١٧].

وقد أنفق الحكم في سبيل الحصول على الكتب الكثير من الأموال، فقد أرسل القاضي عمر بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الوفي في مهمة شراء الكتب من العراق، وجرت على يديه من النفقات مقدار مائة ألف وعشرين ألف دينار"[١٨].

كما أنفق الحاجب المنصور أموالاً باهظة في الحصول على بعض الكتب، فقد ورد أنه اشترى كتاب" الفصوص" الذي كتبه صاعد البغدادي بخمسة آلاف دينار ذهبي"[١٩].

وكان العلماء على نفس سيرة ملوكهم يرحلون إلى المشرق لشراء الكتب، ومنهم: سلمة بن سعيد بن برد الأنصارى (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م)، قال ابن بشكوال: ساق سلمة بن سعيد من المشرق ثمانية عشر حملاً مشدودة من كتب، واتخذ من مصر موئلاً، واضطرب فى المشرق سنين كثيرة جداً ـ يجمع من الآفاق كتب العلم، فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به إلى مصر، ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس. وكانت فى كل فن من العلم ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى المشرق"[٢٠] كما رحل سعيد بن عطية بن عبد الله الأندلسى (ت ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) إلى المشرق وجمع كتباً حملها على بخاتى كثيرة"[٢١].

وقد تعاون الأندلسيون فى جمع الكتب وشرائها، يقول ابن الفرضى : "رحل داود بن جبوية الكلاى إلى المشرق فاجتمع مع بقى بن مخلد، وكان بقى لا مال له، وكان داود واسع المال.فسأله بقى أن يتيح له من ماله ما يشترى به الكتب، ويجمع به الدواوين.ويكون سماعهما واحداً، فأجابه داود إلى ذلك"[٢٢].

ولقد كان شراء الكتب شائعاً بين العلماء الأندلسيين، فقد ابتاع ميمون بن ياسين الصنهاجى اللمتونى (ت ٥٣٠هـ / ١١٣٥م) من أبى مكتوم بن أبى ذر الهروى صحيح البخارى من أصل أبيه أبى ذر، ابتاعه منه بمال جليل[٢٣]، يقول ابن الأبار "بلغنى أن عيسى بن يوسف ابن على الأزدى(ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م) ابتاع من أبى على الغسانى أصله من سنن أبى داود الذى سمع فيه على أبى عمر بن عبد البر، وهو أصل أبى عمر كان قد صار إلى أبى على بمال جليل"[٢٤].

ولقد جرت العادة أن تُباع كتب العالم بعد موته، وخاصة إذا لم يكن من الورثة أحداً من أهل العلم أو أنه لم يخلف ذكوراً أو غير ذلك من الأسباب، فقد بيعت كتب القاضى أبى المطرف بن فطيس (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) بعد موته واستغرق بيعها مدة عام كامل فى مسجده، واجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار قاسمية[٢٥]. وباع ورثة محمد بن يحيى العافقى (ت ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) مكتبته بعد وفاته وأغلوا فيها حتى قُوِّمت الورقة فى بعضها بربع مثقال[٢٦].

أما عبد الرحمن بن يوسف بن عيسى الأذرى (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)، فقد تصدق بخزانة كتبه على ابنة له ولم يترك له عقباً غيرها، ويُقال إنها باعتها بأربعة آلاف دينار"[٢٧].

وهكذا فإن الشراء كان هو المصدر الغالب فى تزويد المكتبات الخلافية والخاصة، وقد بذل الخلفاء والعلماء أموالاً ضخمة لشراء الكتب واقتنائها فى مكتباتهم.

٢ -النسْخ:

وهو من أهم مصادر الحصول على الكتب، حيث يشكل النسخ والشراء أهم مصدرين من مصادر تزويد المكتبة بالكتب، وكان النسخ يتم بإحدى طريقتين، الأولى فردية : بمعنى أن ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه دون مساعدة أحد، وبعد انتهائه يراجعه غيره للتأكد من صحة ما نسخ، والثانية جماعية : بمعنى أن يجلس عدد من النساخ فى أماكن، ويملى عليهم شخص آخر من المخطوط المراد نسخه عدة نسخ، وبعد الفراغ من النسخ تجرى عليه المقابلة[٢٨]. وهذا يفسر لنا عدد النسخ الكثيرة من الكتاب الواحد.

وكان بأغلب المكتبات نساخ يقومون بنسخ الكتب،وكانت تُوفر لهم مستلزمات عملية النسخ من أدوات ومواد الكتابة، ففى مكتبة الحكم كان يعمل عدد كبير من النساخ والمجلدين بهدف إنماء رصيد المكتبة من المخطوطات[٢٩]. وكان من أشهر هؤلاء النساخ: هارون الكنانى الوراق[٣٠]. وظفر البغدادى [٣١]. وأحمد بن سعيد بن مقدس[٣٢] وغيرهم .

وكان لدى الأفراد فى مكتباتهم الخاصة نساخ ينسخون لهم الكتب ويدفعون لهم أجورهم، فقد كان لدى القاضى أبى المطرف بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ / ١٠١١م) "ستة وراقين ينسخون له دائمًا وقد رتب لهم على ذلك راتباً معلوماً، وكان متى علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه وبالغ فى ثمنه فإن قدر على ابتياعه وإلا نسخه منه ورده إليه"[٣٣].

وكانت مكتبات المساجد تعتمد على النسخ فى تزويدها بالنسخ المتعددة من الكتاب الواحد، فقد كان الأساتذة والطلبة يقومون بالنسخ فى المساجد ويتركون تلك النسخ فى المساجد مما أثرى تلك المكتبات بالعديد من النسخ؛ فهذا هو العالم الأندلسى عبد الملك بن زيادة التميمى (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م) كان يتباهى بأنه يجتمع إليه فى مجلس الإملاء فى المسجد الجامع بقرطبة خلق كثير ومع كل طالب محبرته وقلمه لينسخ ما يمليه الشيخ فى محاضرته، فلما رأى كثرتهم أنشد يقول:

إنى إذا احتوشتنى الف محبرة   يكتبن حدثنى طوراً وأخبرنى
بادت بعقوتى الأقلام معلنة   هذى المفاخر لا قعبان من لبن[٣٤].

وكان يحضر مجلس الشيخ أبى الفرج الجوزى "عشرة آلاف وربما حضر عنده مائة ألف، وقال فى آخر عمره : كتبت بإصبعى هاتين ألفى مجلدة"[٣٥].

ولقد عُرف الأندلسيون بالصبر على انتساخ الكتب الجديدة فى الشرق وجلبها إلى الأندلس، ويدل على ذلك قصة الرفيقين، أبى العباس أحمد بن محمد بن خلف الحضرمى،

ومحمد بن أحمد الكنانى، وهما إشبيليان رحلا إلى المشرق وأديا فريضة الحج ولقيا الشيوخ، وقفلا إلى الأندلس واستصحبا فوائد جمة، وغرائب كتب لا عهد لأهل الأندلس بها، وانتسخاها هناك، وتوافقا على أن ينسخ أو يقابل أحدهما غير ما ينسخه الآخر استعجالاً لتحصيل الفائدة، حتى إذا ألقيا عصا التسيار بمقرهما إشبيلية انتسخ كل واحد منهما من قبل صاحبه ما فات نسخه بتلك البلاد"(٣٦).

ويُحكى عن الإمام أبى عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحميدى الأندلسى (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) "أنه كان كثير الاجتهاد فى نسخ الكتب، وأنه لما ارتحل إلى مكة صار ينسخ الكتب بالليل من شدة الحر،وهو جالس فى إجانة ماء يتبرد به"(٣٧).

وكان معظم علماء الأندلس ينسخون كتبهم بأنفسهم ويتحملون فى ذلك مشاق النسخ ومنهم سعيد بن سلمة بن السمح (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) الذى ظل يمارس حرفة النسخ والكتابة ستين عاماً كاملة، وكانت كتبه غاية فى الصحة ونهاية فى الضبط ولم يكن ثَم كتب أصح منها"(٣٨). وحمام بن أحمد بن صالح الأطروشى (ت ٤٢١هـ / ١٠٢٩م) وكان حسن الحظ ينسخ من نهاره نيفاً وعشرين ورقة"(٣٩). وكان عبد الرحمن بن محمد بن عياش الأنصارى، المعروف بابن الحصار (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٩م) "حسن الخط جيد الضبط،وكانت أكثر كتبه بخطه وكان صبوراً على النسخ . وذكر عنه أنه نسخ مختصر ابن عبيد وعارضه فى يوم واحد"(٤٠).

وكان القاسم بن محمد بن سليمان القيسى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) كثير الكتب، وقام بنسخ جل كتبه بخطه(٤١) وكان العالم أحمد بن على بن حكم القيسى (ت ٥٩٨هـ/١٢٠١م) ينسخ الكتب، وعندما سئل عن مقدار ما نسخ قال: انتسخت فى عمرى ثمانى آلاف ورقة"(٤٢) وعتيق بن يحيى بن حارث المذحجى (ت ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م) "كان ينسخ كتبه بيده"(٤٣).

وكانت عملية النسخ تشغل صاحبها ويستغرق فيها ولا يعير محدثه أى اهتمام ؛ فقد كان أحمد بن مفرج النباتى المعروف بابن الرومية (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م)، "له دكان يبيع فيه الحشائش وينسخ الكتب أيضاً، وذات مرة اجتاز الأمير عبد الله بن هود (حكم الأندلس فى أواخر القرن السادس للهجرة) فسلم عليه، فرد ابن الرومية عليه السلام، واشتغل بنسخه ولم يرفع إليه رأسه، فبقى واقفاً منتظراً أن يرفع إليه رأسه ساعة طويلة، فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى"(٤٤).

٣ -الوقف:

ويُعتبر وقف الكتب وحبسها على المكتبات من أهم الطرق لتنمية مجموعات المكتبة وإعنائها وخاصة المكتبات العامة والمكتبات الملحقة بالمدارس والمساجد، وقد ذكرت من قبل أن الحكام والعلماء درجوا على وقف كتبهم على المكتبات نفعاً للناس ابتغاء الثواب من الله وحباً لعمل الخير.

وكانت مكتبات المساجد تعتمد فى تزويدها على وقف الكتب والمصاحف من المسلمين، ولهذا كان الوقف المصدر الرئيسى فى بناء مجموعاتها، ومن هؤلاء الذين وقفوا كتبهم على المساجد، العالم الكبير ابن مروان الباجى الذى وقف كل كتبه على مكتبة المسجد الجامع بإشبيلية(٤٥). وكذلك وقف محمد بن محمد بن لب الكنانى طائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة(٤٦). كما كان الوقف الطريقة التى حصلت بها الجامعات العظيمة مثل جامعتَىْ قرطبة وطليطلة على مكتبتهما(٤٧).

وكان الواقف يحرص على كتابة نص الوقفية على الكتاب نفسه، ولدينا صيغ لكيفية وقف كتاب أو مصحف فى المسجد لصالح الطلبة، ففى حالة وقف كتاب يقول: "كتاب الجامع الصحيح للبخارى أو مسلم أو موطأ الكذا والكذا ... لتعار لطلبة العلم للنسخ والمقابلة والدرس".

وفى المصحف يقول "مصحف جامع القرآن، صفة كذا، وخطه كذا . بحليته وعلامته، وإن كان ربعة ذكرتها، وكذلك تذكر فى ... إلخ"(٤٨).

وكان يُنتفع بتلك الكتب المحبوسة حسب شروط الواقف، وقد احتفظ لنا ابن العطار فى كتابه الوثائق والسجلات ببعض شروط الواقف يقول: "ليستعيرها ثقات طلبة العلم للنسخ والمقابلة والدراسة: وفى المصاحف يقال: "لتعار لمن يريد أن يقرأ فيها أو فيه" فإن كان واحداً نقول فى صفة مصحفه "الجامع للقرآن الذى صفته كذا" وتصف جلده وعلامة خطه كوفى أو صفة كذا..."(٤٩).

ومن العلماء الذين وقفوا كتبهم على أهل العلم: أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحميدى الأندلسى (ت ٤٨٨ هـ /١٠٩٥م) "وكان ثقة فاضلاً وقف كتبه فانتفع الناس بها"(٥٠). ومحمد بن محارب الصريحى (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م) "وحبس كتبه على طلبة العلم"(٥١).

وقد استفادت المكتبات المدرسية من مبدأ الوقف فى تنمية مجموعاتها من خلال ما وقفه الحكام من كتب على تلك المؤسسات التعليمية رغبة فى نشر العلم . فقد كان السلطان الغرناطى أبو عبد الله محمد بن نصر (ت ٨٣١ هـ / ١٤٢٨م) يُرغب فى نشر العلم فقام بوقف كتاب الإحاطة على بعض مدارس غرناطة، وكتب القاضى ابن عاصم حجة الوقفية بخطه، وقد احتفظ المقرى بصيغة تلك الوقفية وهى:

"الحمد لله الجاعل الاستدلال بالأثر على المؤثر مما سلمه الأعلام، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام، وهو الحجة المعتمدة حين تتفاضل الألباب وتتقاصر الأفهام،وبه الاستمساك إن طرقت الشكوك أو عرضت الأوهام، وحسبك بما يسلم فى هذا المقام العالى من الأدلة، وما يعتمد فى هذا المجال المتضايق من البراهين المستقلة، فحقيق أن يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالقبول، ويستبل المهتدى لاستباطه لما فيه من التبادر للإفهام والتسابق للعقول، وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلة سالك على سواء سبيل، ومنعم من صحة النظر إلى أكرم قبيل، فلا خفاء أن كتاب "الإحاطة" للشيخ الرئيس ذى الوزارتين أبى عبد الله ابن الخطيب - رحمه الله تعالى - من أثر هذه الدولة النصرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار، ومآثرها التى هى عبرة لأولى الألباب وذكرى لذوى الأبصار، أما الأول فلأن الأنباء التى أظهرت بهجتها، وأوضحت حجتها، وشرفت مقصدها، وكرمت مصعدها، إنما هى مناقب ملوكها الكرام، ومكارم خلفائها الأعلام، أو أخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف والأقلام، وأفذاذ حفظة الدين والدنيا، والشرف العليا ، والملك والإسلام، أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة الملك، وينتظم نظم الجمان فى ذلك السلك، من حصانة قلعتها، وأصالة منعتها، وقيم اختطاطها، وكريم جهادها ورباطها، وحسن ترتيبها ووضعها، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس آهل ربعها، وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قبيل القليل، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ممن انتابها من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل، وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة، ومبدع محاسنها المجلوة، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة. ونشأة من نشأت جودها الشامل النعمة الهامل الديمة، فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف، على الإنصاف، فأخلاف هذه المكارم النصرية أرضعته، وعناياتها الجميلة أسمته فوق الكواكب ورفعته، وإليها ينسب إحسانه إن انتسب، ومن كريم تشريفها اكتسب، والحضرة هى منشؤه الذى عظم فيه قدره، بل أفقه الذى أشرق فيه بدره، والتشريفات السلطانية التى فتقت اللها باللها، وأحلت من مراقى العز فوق السها، وأمكنت الأيدى من الذخائر والأعلاق، وطوقت المنن كالقلائد فى الأعناق،

وقلدت الرياسة والأقلام أقلام، وثنت الوزارة والأعلام أعلام، فبهرت أنواع المحاسن، وورد معين البلاغة غير المطروق ولا الآسن، وبرعت التواليف فى الفنون المتعددة، واشتهرت التصانيف ومنها هذا المشار إليه لما له من الأذمة المتأكدة، إذ أظهر الاستدلال، وأوضح البيان ما كتمه الإجمال، فلنفصح الآن بما قصد، ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد،وذلك أن لمولانا أمير المسلمين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، الغالب بالله المؤيد بنصره أبى عبد الله محمد ابن الخلفاء النصرين، أيده الله ونصره، وسنى له الفتح المبين ويسره، مآثر لم يسبق إليها، ومكارم لم يجر أحد ممن وسم بالكرم عليها، لجلالة قدرها،وضخامة أمرها، من ذلك هذا المقصد الذى أثر لها كالكتاب المذكور وسواه، مما هو واحد فى فنه وفذ فى معناه، عقد فى جميعها التحبيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العليا هنالك ليشمل به الإمتاع، ويعم به الانتفاع، والله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم، ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم، وهذه النسخة فى اثنى عشر سفراً متفقة الخط والعمل، اكتتب هذا على ظهر الأول منها، وبتاريخ رجب الفرد من عام تسعة وعشرين وثمانمائة عرف الله تعالى بركته بمنه، انتهى"(٥٢).

ويلاحظ فى النص السابق براعة الأسلوب فهى من إعداد الفقيه ابن عاصم، كما تطرق إلى الإشادة بالدولة النصرية وهو خروج عن موضوع الوقفية، ثم ذكر الكتاب الموقوف واسم الواقف وذكر صيغة الوقف وتاريخه وهكذا تحققت الأركان الأربعة للوقفية، وهى:

١- ذكر الشىء الموقوف، وهو هنا كتاب الإحاطة بتاريخ غرناطة للشيخ الرئيس ذى الوزارتين ابن الخطيب، "وهذه النسخة فى اثنى عشر سفراً متفقة الخط والعمل".

٢- ذكر اسم الواقف، وذلك بقوله: "مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين الغالب بالله المؤيد بنصره أبى عبد الله محمد بن الخلفاء النصرين"؛ وهو محمد الثامن بن نصر الذى امتد عهده من (٨٢٠ هـ / ٨٣١هـ) (٥٣).

٣- ذكر صيغة الوقف، وهى الركن الأساسى فى الوقف، بقوله "التحبيس" ولفظ التحبيس هو المستعمل فى الدولة الإسلامية التى ساد فيها المذهب المالكى مثل الأندلس ؛ويقصد به علماء المالكية : الوقف المؤقت بمعنى أن الشىء الموقوف محبوس صاحبه عن التمتع به لمدة معينة مع احتفاظه بملكية الشىء الموقوف(٥٤).

٤- الجهة الموقوف عليها، وهى هنا: المدرسة اليوسفية التى أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول (٧٥٥/٧٣٣م)(٥٥) والمنتفعون بهذا الوقف هم " أهل العلم والطلبة بحضرته".

وقد دون نص هذه الوقفية على الجزء الأول من الكتاب نفسه - وهو من طرق إثبات الوقف الأكثر شيوعاً - بتاريخ رجب الفرد عام ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م.

٤ - التاليف :

نشطت عملية التأليف فى الأندلس نتيجة تشجيع الحكام ودعمهم المادى والأدبى للمؤلفين، مما حدا بالمؤلفين تصنيف مؤلفاتهم باسم الحكام - وهو ما يقابل فى عصرنا الحالى (الإيداع القانونى).

ويُعد التأليف من المصادر التى أغنت المكتبات الأندلسية - وخاصة مكتبات الخلفاء - بالنسخ الأصلية من المؤلفات،وقد تفرغ بعض العلماء للتأليف بناء على أوامر وتوجيهات من الخليفة أو الأمير رغبة منهم فى حماية أنفسهم،وفى رواج أعمالهم وارتفاع أسمائهم،وتأمين مورد للعيش أفضل من المورد الذى يؤمّنه لهم التأليف دون حماية أو رعاية (٥٦).

وقام عدد من العلماء بتصنيف بعض المؤلفات لتضاف إلى رصيد المكتبة الأموية بناء على طلب الخليفة الحكم (٣٥٠ هـ - ٣٦٦هـ) ؛ منهم أبو على القالى، الذى كان الخليفة الحكم يعينه على التأليف بواسع العطاء ويشرح صدره بالإفراط فى الإكرام وقد طرز كتاب (الأمالى) باسم أمير المؤمنين الحكم(٥٧). وكذلك الفقيه محمد بن حارث بن أسد الخشنى (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١م) ألَّف للخليفة الحكم كتباً كثيرة وتآليف حسنة، منها كتابه " فى الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك " وكتاب "رأى مالك الذى خالفه فيه أصحابه"، وكتاب "الفتيا" و كتاب "فى تاريخ علماء الأندلس" وغير ذلك(٥٨). وألف أحمد بن محمدبن فرج الجيانى الكتاب المعروف بكتاب "الحدائق " للحكم المستنصر، وعارض فيه كتاب الزهرة " لأبى بكر محمد بن داود بن على الأصبهانى(٥٩). ومحمد بن يوسف التاريخى الوراق (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م) ألف للخليفة الحكم كتاباً ضخماً فى مسالك أفريقية وممالكها " وألف فى أخبار ملوكهم وحروبهم والغالبين عليهم كتباً جمة، وفى أخبار تاهرت ووهران وسلجماسة ونكور البصرة وغيرها كتباً حسنة(٦٠). ومطرف بن عيسى الغسانى (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٨م) ألف للخليفة الحكم كتاباً سماه " المعارف فى أخبار كور البيرة وأهلها وفوائدها وأقاليمها وغير ذلك عن منافعها(٦١). كما أمر الحكم إسحاق بن سلمة بن إسحاق الضبى بجمع كتاب فى أخبار أهل الأندلس(٦٢) وأحمد بن عبد الملك بن هشام الإشبيلى المعروف بابن المكوى (ت ٤٠١هـ / ١٠١٠م) الذى جمع للخليفة الحكم كتاباً فى رأى مالك سماه "الاستيعاب" من مائة جزء، وكان جمعه له معه محمد بن عبد الله القرشى المعيطى، ورفُع إلى الحكم فُسَّر بذلك ووصلهما وقدمهما إلى الشورى(٦٣).

وقد سلك الحكم وسائل مختلفة لتنمية مجموعات مكتبية، عن طريق دعم التأليف،فهو يقترح التأليف فى موضوع بعينه مقابل الإعفاء من الغزو،كما حدث مع عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار " فلما أراد الحكم غزو الروم سنة (٣٥٢هـ / ٩٦٣م) تقدم إلى عبد الله ابن مغيث بالكون فى صحبته ومسايرته فى غزوته، فاعتذر بضعف فى جسمه فقال الحكم: "إن ضمن لى أن يؤلف فى أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصولى فى أشعار بنى العباس أعفيته من الغزاة، وجازيته أفضل المجازاة، فوافق على أن يؤلفه فى القصر، وقام بتأليفه فى دار الملك المطلة على النهر وأكمله فيما دون شهر، فسر الحكم به"(٦٤).

ولم يقتصر دعم التأليف على العلماء المسلمين فحسب بل شمل كل الرعية على اختلاف الدين، فقد طلب الحكم من الأسقف "ربيع بن زيد" أن يؤلف له كتاباً بالاشتراك مع غريب بن سعد، وعُرف هذا الكتاب بكتاب "الأنواء"(٦٥).

ويُروى عن صاعد البغدادى أنه اختص بالمنصور بن أبى عامر، وألف له كتاب " الفصوص " على نحو كتاب " النوادر " لأبى على القالى، وكتابًا آخر سماه " الجواس بن قعطل المذحجى مع ابنة عمه عفراء" وهو كتاب مليح جداً، وكان المنصور كثير الشغف بكتاب " الجواس" حتى رتب له من يخرجه أمامه كل ليلة(٦٦). وألف حسان بن مالك بن أبى عبيدة (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) كتابًا على مثال كتاب أبى السرى سهل بن غالب الذى ألف فى أيام الرشيد كتاباً سماه " ربيعة وعقيل ... وكان سبب تأليفه أنه دخل على المنصور وبين يديه كتاب أبى السرى فعجب به، وخرج من عنده، وعمل هذا الكتاب، فرغ منه تأليفاً ونسخاً وتصويراً وجاء به فى مثل ذلك اليوم من الجمعة الأخرى وأراه إياه فسر به "(٦٧).

وكان المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية، "له همة عالية فى الأدب، وألف له الأعلم أديب عصره ولغوى زمانه شرح الحماسة، وألف له غيره دواوين وتصانيف لم تخرج إلى الناس"(٦٨).

وألف الفقيه ابن عبد البر، كتاباً لابن فطيس صاحب بطليوس عنوانه: " بهجة المجالس وأنس المجالس مما يجرى فى المذكرات على غرر الأبيات ونوادر الحكايات"(٦٩). كما ألف أبو العباس التدميرى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٥٩م) لمحمد بن على بن حمدون وزير الناصر الصنهاجين كتاباً سماه " نظم القرطين وضم أشعار السقطين كامل الثمالى ونوادر القالى"(٧٠).

وعلى الجانب الآخر وجد علماء رفضوا التأليف للأمراء والخلفاء، جاعلين هذا العمل خالصاً لوجه الله، فقد روى عن تمام بن غالب اللغوى المعروف بابن التيانى (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤م)" أنه ألف مصنفاً بديعاً فى اللغة لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً، فلما وصل خبره إلى

الأمير أبى الجيش مجاهد العامرى أرسل إليه ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة هذا الكتاب (مما ألفه تمام بن غالب لأبى الجيش مجاهد) فرد الدنانير وأَبَى، ولم يفتح فى هذا باباً البتة وقال : والله لو بذلت لى الدنيا على ذلك ما فعلت، ولا استجزت الكذب، فإنى لم أجمعه له خاصة، ولكن لكل طالب علم عامة. "فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها، وأعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها"(٧١).

٥ - الإهداء:

ومن بين طرق الحصول على الكتب الإهداء، وهو أن يتطوع شخص بتقديم كتاب أو عدة كتب لمكتبة معينة وبدون مقابل، وتصير هذه الكتب ضمن مقتنيات المكتبة وينتفع بها المترددون عليها.

وتشكل الكتب المهداة إلى المكتبة جانباً مهماً من المجموعات وإن لم تصل فى حجمها إلى حجم الكتب المشتراة أو الموقوفة . ويوجد بين هذه الكتب كتب لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الإهداء كأن تكون نسخة نادرة، فقد أهدى ملك الهند (ملو) إلى الخليفة الناصر مجموعة كتب نادرة، وهى: كتاب " كليلة ودمنة" مصوراً فى الحكم والأمثال، وكتاب "سفر آدم عليه السلام " فى علم الحروف، وكتاب "الحروف المنزلة على آدم علية السلام" فى إحدى وعشرين ورقة من زيتون الجنة وأسها بأسمائها وصفاتها وأعدادها وما يتولد منها فى علم الأسماء والصفات والحكم والآيات(٧٢).

وكذلك كاتَبَ ملك القسطنطينية الحكيم أرمانيوس الخليفة الناصر وهاداه بهدايا جليلة وأسرار غريبة من جملتها كتاب " ديسقوريدوس مصور الحشائش بالتصوير الرومى البديع" وكان مكتوباً بالقلم الإغريقى الذى هو اليونانى القديم، وبعث معه كتاب " هروشيش " صاحب القصص وهو تاريخ ملوك الروم وقصص المبعوث إليهم من الأنبياء وكان باللسان اللاتينى وهو الفرنجى(٧٣).

وكان وصول كتاب ديسقوريدوس بالنص الإغريقى حدثاً عظيماً. ذلك أنه تُرجم فى الأندلس بكامل نصه إلى العربية على يد الراهب نيقولا الذى أرسله الإمبراطور البيزنطى لهذه المهمة، مع مجموعة من الأطباء الأندلسيين، مما دفع الدراسات الطبية وعلوم النبات دفعة كبيرة إلى الأمام ؛ ذلك أن النسخة القديمة المعروفة والمتداولة فى الأندلس كانت قد ترجمت فى مدينة السلام (بغداد) على يد المترجم، اسطفن بن باسيل. "وكان فيها كثير من أسماء النباتات

أُبقيت بلفظها الإغريقى اتكالاً منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربى"(٧٤).

ومن الكتب النادرة التى كانت ضمن مقتنيات مكتبة الحكم الثانى وجاءت كهدية نسخة من التقويم المسيحى للأعياد الإسبانية، أهداه إلى الحكم أحد الأساقفة المسيحيين فى قرطبة وهو "ربيع بن زيد" واسمه فى اللاتينية رثموندو Recemundo، وهو كتاب شائق وصل إلينا لحسن الحظ(٧٥).

وكان من بين الكتب ما يمثل قيمة عظيمة على اعتبار أنها نسخة المؤلف الأصلية، فقد اهتم خلفاء الأندلس بالكتب.وشاع بين الرعية أن أفضل وسيلة للحصول على عمل أو نيل حظوة، هى إهداء الكتب لهم، ولذلك قام كثير من العلماء بإهداء كتبهم إلى الحكام وهو ما يُعرف بالإهداء من أجل الاسترفاد، فقد أهدى ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦م) كتاب المحكم إلى الأمير أبى الجيش مجاهد العامرى حاكم دانية(٧٦)، كما أهدى بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) مجموعة مختاراته الفريدة المسماة "بزينة المجالس" إلى المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس(٧٧). وأهدى الفيلسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨م) كتاب الحيوان لخزانة المنصور الموحدى(٧٨).

وقد شاع إهداء الكتب بين العلماء بعضهم البعض ـ من أجل المودة الخالصة لا من أجل منافع- فقد "روى عبد الرحمن بن محمد بن حجاج اللخمى (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م) عن أبى مروان الباجى، وناوله ما احتوت عليه خزائنه من كتب"(٧٩). وكان أبو عثمان سعيد بن حكم القرشى (ت ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢م) "شديد العناية بجمع دفاتر العلم وأعلاق الكتب حتى جمع منها ما لا نظير له كثرة وجودة، إذ كان مقصوداً بها من المسلمين والنصارى، فكان يتخدم بها إليه النصارى، ويتقرب بها إليه المسلمون"(٨٠).

٦- المقايضة :

اتبع بعض الأندلسيين أسلوب المقايضة فى الحصول على الكتب، حيث يبعثون بالسلع التى يحتاجها النصارى ويبيعونها لهم مقابل الكتب، وخاصة فى أثناء المجاعات ومن ذلك ما فعله محمد بن سعيد بن مدرك الغسانى المالقى (ت حوالى ٥٧٠ هـ / ١١٧٥م)" فقد كان شديد العناية باقتناء ذخائر الكتب واجتمع لديه منها ما لشىء فوقه كثرة وجودة، ويقال إن السبب فى حصوله على هذه الكتب مجاعة حدثت فى بلاد النصارى فبعث إلى تلك البلاد مركباً كبيراً محملاً بالطعام، وأوكل على هذه الحملة شخصًا من قبله ذا معرفة بالكتب بصيراً باقتنائها،

وأوصاه الا يبيع من هذا الطعام إلا بالكتب؛ فجلب له من نوادر الكتب الشيء الكثير مما لم يستطع كثير من أهل عصره الحصول عليه" [٨١].

٧ -المصادرة :

وكانت المصادرة من بين وسائل تزويد بعض المكتبات - وخاصة مكتبات الخلفاء - على حساب مكتبات أخرى وهى طريقة استثنائية، وليست القاعدة فى تزويد المكتبات بالكتب. ذلك أن بعض الأمراء والخلفاء لم يكتفوا بطرق التزويد السابقة فى الحصول على الكتب، ولجؤوا أحيانًا إلى مصادرة بعض المكتبات الخاصة ؛ فهذا هو ابن ذى النون صاحب بلنسية الذى أخذ كتب عبد الله بن حيان الأورشى (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) من داره وسيقت إلى قصره، ذلك مابة عدل وثلاثة وأربعون عدلاً من أعدال الحمالين، يقدر كل منها بعشرة أرباع، وقيل: إنه أخفى منها نحو الثلث" [٨٢].

وكذلك قام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمصادرة كتب أبى الحجاج يوسف المرانى، وعوضه عنها تعويضاً كبيراً، فقد ولاه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه : يقول المراكشى: " أخبرنى أبو محمد عبد الملك الشذونى، أحد المتحققين بعلمَى الطب وأحكام النجوم قال: كنت فى شبيبتى أستعير كتب هذه الصناعة - يعنى صناعة الأحكام - من رجل عندنا بمدينة إشبيلية اسمه يوسف ويُكنى أبا الحجاج ويعرف بالمرانى، وكانت عنده منها جملة كبيرة وقعت إلى أبيه فى أيام الفتنة بالأندلس، فكان يعيرنى إياها فى غرائر أحمل غرارة وأجيء بغرارة من كثرتها عنده، فأخبرنى فى بعض الأيام، أنه عدم تلك الكتب بجملتها، فسألته عن السبب الموجب لذلك، فأسرإلىّ : أن خبرها أنهى إلى أمير المؤمنين، فأرسل إلى دارى وأنا فى الديوان لا علم عندى بذلك ؛ وكان الذى أرسله كافور الخصى مع جماعة من العبيد، وأمره ألا يروع أحداً من أهل الدار، وألا يأخذ سوى الكتب، وتوعده والذين معه أشد الوعيد إن نقص أهل البيت إبرة فما فوقها، فأُخبرت بذلك وأنا فى الديوان، فظننته يريد استصفاء أموالى، فركبت وما معى عقلى حتى أتيت منزلى، فإذا الخصى كافور الحاجب واقف على الباب، والكتب تخرج إليه،فلما رآنى وتبين ذعرى قال لى : لا بأس عليك!!! وأخبرنى أن أمير المؤمنين يسلم علىّ وأنه ذكرنى بخير!!، ولم يزل يبسطنى حتى زال ما فى نفسى، ثم قال : سل أهل بيتك هل راعهم أحد أو نقصهم شيء من متاعهم ؟ فسألتهم فقالوا : لم يرعنا أحد ولم ينقصنا شيء: جاء أبو المسك حتى استأذن علينا ثلاث مرات فأخلينا له الطريق، ودخل هو بنفسه إلى خزانة الكتب فأمر بإخراجها، فلما سمعت هذا القول منهم زال ما كان فى نفسى من الروع.... وولّوه بعد أخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه" [٨٣].

نخرج مما سبق أن المكتبات الأندلسية اتخذت عدة طرق لتنمية مقتنياتها وزيادة رصيدها، تتمثل هذه الطرق فى: الشراء،والنسخ، والوقف، والتأليف، والإهداء، والمقايضة، والمصادرة، مما كان سبباً فى ثراء تلك المكتبات بمجموعات ضخمة من الكتب. وكان من الضرورى أن يتم تنظيم تلك الكتب بما يكفل سهولة الوصول إليها واستخدامها من جانب المستفيدين.

الإجراءات الفنية الخاصة بإعداد وتنظيم المجموعات:

عمل الأندلسيون على تزويد مكتباتهم بكل ما يقع تحت أيديهم من كتب، مما كان سبباً فى تضخم مجموعاتها، وكان لا بد من تنظيمها بطريقة ما، لأن هذه المجموعات مهما تضخمت لا قيمة لها ما لم يتم إعدادها إعداداً فنيًا بحيث يسهل الوصول إليها من جانب الرواد.

وتبدأ هذه الإجراءات الفنية بتسجيل هذه الكتب فى سجلات خاصة لإثبات ملكيتها ولأغراض المتابعة والحصر، فقد ذكر صاحب الحُلَل السندسية أنه عثر فى مكتبة أكاديمية التاريخ بإسبانيا على دفتر لرسم الكتب الموضوعة فى خزائن محراب الجامع الأعظم بقرطبة، ودفتر لرسم الكتب الموضوعة فى خزائن بسراى المحراب من الجامع الأعظم(٨٤).

وهذا الخبر يدل على أن الأندلسيين حرصوا على تسجيل الكتب فى سجلات خاصة لإثبات الملكية ولأغراض المتابعة والحصر فى المكتبات الأندلسية - وخاصة مكتبات المساجد - إلا أن الخبر لم يزودنا بمعلومات عن البيانات الواردة فى هذه السجلات، ولا عن كيفية ترتيب هذه البيانات .

الفهرسة والفهارس:

يُقصد بالفهرسة عملية إعداد الكتب وغيرها من الأوعية الفكرية إعداداً فنياً بحيث تكون فى متناول القراء فى أسرع وقت ممكن وبأيسر الطرق(٨٥).

وفهرس المكتبة هو ناتج عملية الفهرسة، وهو ذلك البيان أو القائمة أو الثبت الذى يحصر ويسجل ويصف ويحدد مكان الكتب على الرفوف(٨٦)، وهكذا فإن الفهرس هو مفتاح المكتبة ذلك أنه لا يمكن لأى مكتبة أن تقدم خدماتها فى كفاءة وفاعلية دون أن تعتمد على فهرس صالح.

وقد عرفت المكتبات الإسلامية فى العصور الوسطى الفهارس وكانت على نوعين؛ إما أن تكون مكتوبة فى مجلدات وتستعمل كالكتب يرجع إليها المطالع من أجل معرفة محتويات المكتبة، أو أن تكون فى شكل قائمة تكتب على مدخل كل قسم من الأقسام لبيان محتوياته(٨٧).

وقد اهتم الأندلسيون بتنظيم مكتباتهم،واستخدموا الفهارس، وكانت مكتبة بنى أمية منظمة تنظيماً دقيقاً ووضعوا لها الفهارس، يقول ابن حزم : "أخبرنى تليد الفتى ـ وكان على خزانة العلوم بقصر بنى مروان ـ أن عدد الفهارس التى بها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة فى كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط(٨٨). ويذكر بعض المؤرخين " أن كل فهرسة بها عشرون ورقة فقط"(٨٩).

ونخرج من النصين السابقين بما يلى :

١- أن فهارس الدواوين الشعرية كانت تملأ وحدها وفق رواية ابن حزم ٢٢٠٠ صفحة، ووفق رواية غيره من المؤرخين ٨٨٠ صفحة ؛ فكيف بفهارس سائر العلوم؟!

٢- أن هذه الفهارس كانت على شكل كتاب ؛ ويعتقد د. محمد محمد "أمان أن تلك الفهارس كانت مرتبة حسب تصنيف ابن النديم "الفهرست"،المعروف فى المشرق والمغرب"(٩٠).

٣- أن هذه الفهارس كانت مرتبة حسب موضوعات، ولكل موضوع فهرس خاص، وهو ما يُسمى الآن بالفهرسة الموضوعية، وهى قوائم موضوعية تندرج تحتها الكتب وفق ترتيب معين، مما يقوى الاعتقاد بأن المكتبة كانت تستخدم أحد التصانيف المعروفة وقتها.

٤- أن هذه الفهارس تقتصر على " تسمية الكتب" أى ذكر عنوان الكتاب، واسم المؤلف فقط، ولا تذكر باقى البيانات الأخرى، ولا تفصح عن كيفية ترتيبها، إلا أن هذه البيانات كافية للتعرف على الكتب فى سهولة ويسر.

٥- أن هذه الفهارس الفهارس كانت أداة للجرد (الحصر) فقط وليس وسيلة إيجاد وتحديد مكان الكتاب داخل المكتبة، حيث لم يكن هناك رابط بين الكتاب ومكانه فى المكتبة(٩١).

ومن المنطقى أنه كان لكل مكتبة فهرس خاص بها يحصر ويعرف بمحتوياتها إلا أنه مع الأسف لم يصلنا أى من تلك الفهارس، والتى يمكننا إخضاعها للدراسة والتحليل ؛ حيث كان مصيرها هو نفس مصير المكتبات من الدمار والهلاك.

وبالإضافة إلى هذه الفهارس وجدت فهارس الشيوخ والتى برع فيها الأندلسيون؛ فقد عُنُوا بتسجيل جهود العلماء وما أسهموا به فى مجال التأليف والتصنيف ولذلك ظهرت تلك المؤلفات التى تعرف بفهارس الشيوخ،وقد وصلنا منها الكثير، وأوسع الفهارس التى وصلتنا فهرست ابن خير الإشبيلى (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م)، قال جابر بن أحمد القرشى : كتب إلىّ ابن

خير يخبرنى أن فهرسته عشرة أجزاء، وكل جزء منها ثلاثون ورقة وهو يضم أسامى كل ما قرأه من الكتب فى شتى العلوم وأسماء شيوخه الذين درس عليهم وأجازوه مرتبين حسب المنطقة الجغرافية ".

وتتجلى أهمية هذا الفهرس فى ذلك العدد الضخم من الكتب التى ذكرها المؤلفون الذين أتيت أسماءهم مما لا نجده فى غيره من المراجع(٩٢).

ومن فهارس الشيوخ الأندلسية التى وصلتنا:

١- فهرس ابن عطية المحاربى الأندلسى (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م) قام بتحقيقه محمد أبو الأجفان، ومحمد الرفعى، ١٩٨٣م.

٢- فهرس شيوخ القاضى عياض (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) ويُعرف بالغنية، وتوجد منه نسخة بالمكتبة الأهلية بمدريد تحت رقم ٢٠٧ فرعية ٦. ثم نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩١٣ تاريخ .

٣- فهرس ابن مسعود الخشنى (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)، وتوجد منه نسخة فى مكتبة الأسكوريال تحت رقم ١٩٤٢ .

٤- فهرسة أبى الحسن الرعينى (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م) مخطوط بالأسكوريال رقم ١٧٢٩، ويقع فى ٤٥ ورقة .

٥- برنامج ابن أبى الربيع (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٩١م) وقد نشره د. عبد العزيز الأهوانى، ١٩٥٥م .

٦- فهرسة أبى القاسم بن يوسف التجيبى (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) قام بتحقيقه عبد الحفيظ منصور، ١٩٨١م.

٧- فهرسة ابن جابر الوادى آشى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ١٩٨١م.

٨- فهرسة محمد المجارى الأندلسى (ت ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨م) تحقيق محمد ابو الأجفان، ١٩٨٢م.

٩- فهرسة أحمد بن على البلوى (ت ٩٣٨هـ / ١٥٣٧م) تحقيق عبد الله العمرانى، ١٩٨٣م(٩٣).

التصنيف :-

من المعروف أن التصنيف من أهم العمليات الفنية التى يمارسها العاملون فى المكتبات، وهو الدعامة الأولى فى تنظيم مقتنيات المكتبة تنظيماً سليماً بهدف الوصول إليها من جانب المترددين على المكتبة.

ويبدو أن المكتبات الإسلامية فى العصور الوسطى كانت مصنفة بطريقة منهجية من خلال ما أورده المؤرخون لمفهوم تصنيف العلوم ؛ فقد جعل طاش كبرى زاده التصنيف علماً قائماً بذاته وأطلق عليه علم تقاسيم العلوم ويعرفه بأنه " علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم، ولما كان أعم العلوم موضوعاً العلم الإلهى جعل تقسيم العلوم من فروعه ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر، ولكن الأول أسهل وأيسر"(٩٤).

ولم نعثر فيما اطلعنا عليه من المصادر والمراجع ما يشير إلى استخدام أحد نظم التصنيف فى أى من المكتبات الأندلسية لتنظيم مجموعاتها من الكتب؛ ولكننا نعتقد أن نظم تصنيف المعرفة البشرية كان يستخدم لتصنيف الكتب فى المكتبات وذلك لوجود أرض مشتركة بين تصنيف المعرفة وتصنيف المكتبات، فقد اهتم المفكرون بتصنيف المعرفة ككل إلى أقسام وبيان علاقة كل قسم بالآخر، وكان هذا التصنيف المعرفى هو الأساسى لعلم تصنيف الكتب ؛ ولذلك فإن تصنيف المكتبات هو عبارة عن تصنيف للمعرفة نفسها مع إجراء بعض التعديلات التى تفرضها طبيعة الكتب كوحدات مادية(٩٥).

وقد قام العديد من فلاسفة الأندلس بإعداد تصانيف للعلوم،ومن بين الذين عُنُوا بتصنيف العلوم " ابن فرحون الأندلسى " فى كتابة " جوامع العلوم "، وهو يرجع إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (منتصف القرن العاشر الميلادى) ويعد أقدم موسوعة عربية، وإن كانت نسبة هذا الكتاب إلى ابن فرحون محل جدل إلى الآن(٩٦).

ومن العلماء الذين اهتموا بتصنيف العلوم على بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م) فقد وضع كتاباً أسماه (فى مراتب العلوم)، وفيه قسم ابن حزم العلوم بصفة عامة إلى صنفين:-

الأول: علوم درست ولم يبق إلا اسمها ولا حاجة للاشتغال بها، ومنها :

١- علم السحر والطلسمات ٢- علم الموسيقى ٣- علم الكيمياء(٩٧).

الثانى :علوم بقيت وبقيت الحاجة إليها وتنقسم إلى سبعة أقسام عند كل أمة فى كل زمـ ومكان، وصنف ابن حزم هذه الأقسام السبعة إلى صنفين:

الصنف الأول :علوم تتميز فيها الأمم، وهى :

١- علم الشريعة ٢- علم الأخبار ٣- علم اللغة.

الصنف الثانى :علوم تتفق فيها كل الأمم، وهى :

١- علم النجوم ٢- علم العدد ٣- علم الطب ٤- علم الفلسفة(٩٨).

ثم ينتقل بعد ذلك إلى تفصيل فروع هذه العلوم السبعة وما يحتويه كل علم (٩٩) ثـ يستكمل خطته فى التصنيف فى مرحلة ثالثة ويبين مدى تعلق هذه العلوم بعضها ببعض(١٠٠)

ويتضح من دراسة هذا التصنيف ما يلى :

١- أن هذا التصنيف يعكس نظرة الأندلسيين للعلوم والحياة العقلية عندهم، ويوضح العلوم التى يشتغل بها أهل القرن الخامس الهجرى.

٢- أراد ابن حزم أن يعد تصنيفاً للعلوم ويبين مذهبه فى ترتيبها وليس إحصاء للعلوم كما ذهب الفارابى فى كتابه (إحصاء العلوم)(١٠١).

٣- أن هذا التصور لتصنيف العلوم يتسم بالمنهجية والتدرج، فقد قسم العلوم أولاً إلى صنفين ثم قسمها إلى سبعة علوم،ثم قسم هذه العلوم إلى فروعها وما يحتويه كل علم.

٤- أن ابن حزم فى هذا التصنيف الثنائى قد تأثر بتصنيف الخوارزمى، محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) فى كتابه (مفاتيح العلوم)(١٠٢). ذلك أن علوم العجم عند الخورازمى أصبحت عند ابن حزم علومًا تشترك فيها جميع الأمم، أما علوم الشريعة فهى علوم تتميز فيها الأمم عند ابن حزم.

وبالرغم من أنه لم يثبت بالدليل القاطع استخدام أى من تصانيف العلوم فى المكتبات الأندلسية، إلا أنه من المؤكد أن ابن حزم قد رتب مكتبته الخاصة وفق تصوره لتصنيف العلوم السابق،فقد كانت المكتبات الخاصة ترتب حسب رؤية صاحبها والمجالات التى يهتم بها ويقتنى فيها إنتاجًا فكريًا .

أما بالنسبة لمكتبات الخلفاء، فإن المصادر لم تزودنا بمعلومات عن كيفية ترتيبها وتنظيمها، فقد كانت المكتبات الخلافية ذات مجموعات ضخمة مما يستلزم استخدام تصنيف معين ييسر

الاستفادة من مجموعاتها. فلقد كانت مكتبة بنى أمية فى قرطبة بها فهارس موضوعية فى مجلدات، كل مجلد يختص بموضوع معين مما يؤكد استخدام أحد نظم التصنيف المعروفة فى وقتها، كما أن القائمين على ترتيب وتنظيم المكتبة وفقًا لرواية القاضى عياض كانوا جملة من الفقهاء والعلماء يعاونهم بعض الفتيان[١٠٣]. ولابد أنهم كانوا على علم ودارية بنظم التصنيف فى هذا الزمان.

التنضيد :

وآخر إجراء من الإجراءات الفنية هو تسكين الكتب فى أماكنها على الرفوف وهو ما يعرف بالتنضيد[١٠٤]، ولم يعرف المسلمون فى القرون الوسطى، طريقة الترفيف للكتب، وهو وضع الكتب بشكل رأسى بجوار بعضها، كما هو متبع الآن فى المكتبات،وكانوا يرتبون الكتب على الرفوف حسب نظام التنضيد، حيث يضعون الكتب بشكل أفقى على الأرفف مستلقية الواحد فوق الآخر[١٠٥].

وكانت هذه هى الطريقة الشائعة والمقبولة فى هذا الزمان سواء فى الشرق أو الغرب الإسلامى؛ والسبب فى ذلك اعتقادهم أن وضع الكتب بعضها فوق بعض يحميها من الأتربة ومن قراضة الكتب[١٠٦]. إلا أن هذه الطريقة ليست الأفضل فى عملية الحصول على الكتب من الرفوف.

ولقد اتبعت هذه الطريقة فى ترتيب الكتب بالمكتبات الأندلسية، وكانت مكتبة بنى أمية توضع فيها الكتب بعضها فوق بعض على الأرفف[١٠٧].

وقد زودنا ابن جماعة بقواعد وضع الكتب فى المكتبات بطريقة التنضيد حيث يقول": "يُراعى فى وضع الكتب باعتبار علومها، فيضع الأشرف أعلى الكل، فإن استوت الكتب فى فن فليراع شرف المصنف، فيجعله أعلى ثم يراعى التدرج،فإن كان فيها المصحف الشريف جعله أعلى الكل، ثم كتب الحديث، ثمّ تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو والتصريف، ثم أشعار العرب، ثم العَروُض .... ولا يضع ذوات القطع الكبيرة فوق ذوات الصغيرة كيلا يكثر تساقطها"[١٠٨].

ونخرج من النص السابق أن المسلمين عنوا بالكتب عناية كبيرة، ووضعوا قواعد لترتيبها حسب شرف العلوم، كما وضعوا أسساً لكيفية ترتيبها حسب الحجم؛ ذلك أن الكتب ذات الأحجام الكبيرة توضع أسفل الكتب ذات الأحجام الصغيرة حتى لا تختل فتسقط.

وترتب على هذه الطريقة أن عنوان الكتاب واسم مؤلفه كانا لا يكتبان على كعب الكتاب كما هو متبع حالياً، وإنما تكتب على أطراف الصفحات مجتمعة من الجهة الخارجية للرف فى مواجهة المطالع ليسهل العثور عليه، أما الكتب الثمينة فقد خصص لها صناديق فى حجم كل كتاب، ويكتب اسم المؤلف وعنوان الكتاب على جانب الصندوق(١٠٩).

وكانت رفوف الكتب مفتوحة، والكتب فى متناول الجميع، يستطيع أى مطالع أن يتناول الكتاب الذى يريده، وإذا لم يتمكن يستعين بالمناول فى ذلك. كما وجدت رفوف مغلقة للكتب النادرة مخافة تلفها ويُستفاد منها بمعرفة المسئول عن المكتبة(١١٠).

الإجراءات الفنية الخاصة بصيانة المجموعات

ويُقصد بها كافة الإجراءات التى تكفل المحافظة على الكتب فى حالة مادية جيدة، بحيث يمكن استخدامها والاستفادة منها، وهذه الإجراءات تشمل التجليد والتذهيب، والحفظ فى صوانات والتبخير والترميم .... إلخ.

أ- التجليد/ التسفير

يعد التجليد أول إجراء لصيانة الكتب والمحافظة عليها ضد عوامل التلف،كما أن من شأنه أن يضفى جمالاً على الكتاب.

والتجليد اختراع حبشى عرفه العرب مع اختراع الكتاب فى شكل الكراس codex، وهو الشكل الذى جعل حفظ محتويات الكتب بطريقة أكثر يسراً وجمالاً(١١١).

ولقد بلغ الأندلسيون فى تجليد الكتب (التسفير) شأواً عظيماً وقد رأينا من قبل كيف عثر العلامة الحضرمى على نسخة من كتاب كان يريده فى سوق قرطبة وسريه لحسن خطه وجودة تجليده(١١٢).

ومما يدل على اهتمام الأندلسيين بتجليد الكتب: وجود بعض المؤلفات التى وصل إلينا خبرها، والتى تصف هذه الصنعة، ومنها كتاب " صناعة تسفير الكتب وحل الذهب " تأليف الفقيه أحمد بن محمد السفيانى من أهل القرن الحادى عشر الميلادى فرغ منه فى ذى الحجة ٦٢٧هـ / ١٠٢٩م، وقام بنشره "ريكارد Ricard بفاس عام ١٩١٩م فى ٢٦ صفحة من القطع الصغير(١١٣).

ومن أغزر الكتب مادة وأوسعها نطاقاً فى هذا الموضوع كتاب " التيسير فى صناعة التسفير " لمؤلفه بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمى الإشبيلى (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) وهو

اديب شاعر، له رواية، وكان يتمذهب بالظاهر، وكان يحترف تسفير الكتب[١١٤]. وقد توفر على نشر هذا الكتاب عبد الله كنون فى مدريد سنة ١٩٥٩م ويضم واحدًا وعشرين بابا كلها فى طريقة التجليد، ويتضح منه مدى اهتمام الأندلسيين بهذه الصنعة ونوردها فيما يلى :

١-باب الأداة	٢-باب الأغرية
٣-باب التخريم وحكمه	٤-باب التقفية
٥-باب التسوية	٦-باب الحبك وحكمه
٧-باب التبطين	٨-باب البشر
٩-باب تركيب الجلد	١٠-باب العمل فى الأسفار البوالى ورد الكسا عليها.
١١-باب طبخ البقم	١٢-باب النقش
١٣-باب نقش الضرس	١٤-باب الأمثلة
١٥-باب العمل فى الأزرة والغرا	١٦-باب العمل فى أقرية المصاحف
١٧-باب العمل فى الأقرية المبنية	١٨-باب العمل فى الجوامع
١٩-باب فى النكث	٢٠-باب فى العيوب.

٢١- باب طرد الأرضة عن الكتب[١١٥].

ولقد وجدت صناعة التجليد فى الأندلس تربة خصبة حيث توافرت المواد الأولية المستخدمة فى تلك الصناعة من جلد وماء وذهب وألوان وخيوط وغراء، وغير ذلك من أصول هذه الصناعة[١١٦].

وكانت مالقة أكثر المدن الأندلسية براعة وإتقاناً فى صناعة الجلود عامة وتجليد الكتب تجليداً نفيساً على وجه الخصوص[١١٧] واشتهرت قرطبة بصناعاتها للجلود، وأطلق عليها الجلد القرطبى Cordovan وقد استعملوه فى تغليف الكتب[١١٨].

وقد اشتغل كثير من أهل الأندلس بصناعة التجليد ومن بينهم أبو القاسم البرجى الغرناطى وهو "فذ فى الانطباع، صناع اليد، محكم لعمل الكثير من الآلات العلمية ويجيد تسفير الكتب" [١١٩] والأديب الشاعر بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمى (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) وكان يحترف تسفير الكتب" [١٢٠].

وقد ازدهرت صناعة التجليد وتنوعت من مجرد كسوة الكتاب إلى زخرفته وتزويقه وتلوينه وتذهيبه، وقد اهتم الأندلسيون بتحلية المصاحف وتذهيبها وبخاصة المصاحف النادرة؛ فقد أمر المنصور بن أبى عامر بتحلية المصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان، وفى ذلك يقول أبو القاسم عبد الرحمن بن عياش :

ونقلتــه من كل ملك ذخيــرة　　كـأنهم كـانوا برسم مكاسبـه

فإن ورث الأمـلاك شرقـاً ومغـرباً　　فكـم قـد اخـلوا جاهلـين بواجبـه

وألبسته الـدر واليـاقـوت حليـة　　وغـيرك قد رواه من دم صاحبـه(١٢١)

وكانت الكتب التى بعثها الإمبراطور البيزنطى إلى الخليفة الناصر فى غاية الجمال من حيث التجليد والزخرفة، فقد كان كتاب ديسقوريدوس فى رق مصبوغ لوناً سماوياً مكتوب بالذهب، وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة بالفضة، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك، وصورة ولده، وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة الملك معمولة من الزجاج الملون البديع وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج"(١٢٢).

وقد اشتهر بعض الأندلسيين بتذهيب الكتب، كأبى جعفر احمد بن عتيق المعروف بابن الذهبى (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م) وقد عُرف بالذهبى لأن جده كان يشتغل بتذهيب الكتب(١٢٣). وأبى الحسن، يحيى بن محمد بن على القيسى القرطبى، وكان من أهل الخط والتذهيب(١٢٤).

وقد وجدت فئة من العاملين بالمكتبات للقيام بمهمة تجليد الكتب وتذهيبها ؛ ففى مكتبة الحكم الثانى وجد قسم للتجليد والتذهيب يعمل به أمهر المجلدين، فبعد أن ينتهى النساخ من عملهم تمر الكتب إلى قسم التجليد والتذهيب فابن خلدون يروى عن الحكم أنه " جمع بداره الحُذّاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والإجادة فى التجليد فأوعى من ذلك كله"(١٢٥).

وكان محمد بن فرج بن شقرال اللخمى (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) "ناظراً لخزانة الكتب السلطانية بقصر الحمراء، وكان حسن الخط صناع اليدين يرسم بالذهب ويجلد"(١٢٦).

وهكذا : يتضح أن مهمة التجليد والتذهيب من الأعمال المكتبية التى كانت توكل إلى العاملين بالمكتبات .

ب- الترميم:

فطن الأندلسيون إلى أهمية عمليات الصيانة والترميم؛ مما يعطى دليلاً على نضج الوعى المكتبى عندهم. فقد استخدم الأندلسيون خزائن للكتب النفيسة، فقد كان أبو جعفر، أحمد ابن الحصين بن عطاف العقيلى (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) "أعلى عصره همة فى اقتناء الكتب وأشدهم اعتناء بها ينتخبها ويتخذ لأعلاقها صوانات وحفائظ وجمع منها فى كل فن الكثير النفيس" (١٢٧).

وكان الأديب والجغرافى الكبير أبو عبيدة البكرى (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) " جميل الكتب مهتمًا بها يمسكها فى سبانى الشرب وغيرها إكراماً لها وصيانة " (١٢٨).

ويفهم مما سبق أن البكرى كان يعطر الكتب ويحفظها فى سبانى الشرب ـ وهو نوع من القماش الغالى ـ بهدف صيانتها والمحافظة عليها .

كما عُنى الأندلسيون بمعالجة الكتب التى بها عطب أو حشرات فنجد أنهم كانوا يقومون بعملية التبخير للمحافظة على الكتب وكإجراء علاجى للكتب، وذلك باستخدام أعضاء الهدهد وريشه فانه يقتل الأرضة والحشرات(١٢٩).

وكان الأندلسيون يلجؤون إلى نوع من التعويذة أو التحويطة التى يدونونها فى بداية الكتاب ونهايته لحمايته من الآفات وحشرات الكتب، فقد وجد فى بعض الصحاح أنه من كتب في أول ورقة من الكتاب وفى آخر ورقة هذه الأحرف فإن الأرضة لا تضره، وهى هذه "ياكيكتح" وهى صحيحة مجربة"(١٣٠).

وقد اتخذ الأندلسيون العديد من الوسائل للحفاظ على الكتب ضد عوادى الزمن، فقد كان الأندلسيون يكتبون بمداد لا يمكن أن تصيبه الأرضة بشىء، ولذلك فإننا نجد أن الأرضة تدخل إلى البياض بين السطور، ولا تصيب الكتابة، ويرجع ذلك إلى نوعية المداد المستخدم فى الكتابة والذى لم يُستطع اكتشاف سره إلى الآن والذى لا تؤثر عليه الأرضة(١٣١).

وهكذا تبين كيف قام الأندلسيون بتمية مجموعات كتبهم عبر قنوات التزويد المتعددة ما بين شراء ونسخ ووقف وتأليف وإهداء ومقايضة ومصادرة. كما قاموا بتنظيم تلك المجموعات تنظيماً دقيقاً عن طريق إعداد الفهارس وترتيب الكتب على الرفوف. وكذلك اتخذوا من التدابير ما يكفل المحافظة على الكتب وصيانتها، والهدف النهائى الذى من أجله تتم كل تلك العمليات والإجراءات هو إتاحة تلك المجموعات للقراء أى تقديم الخدمات لهم، وهو ما نعرض له الفصل القادم.

هوامش الفصل الثالث

(١) ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء فى طبقات الأنباء ، ص ٥١٧ ، ٥١٨.

(٢) انظر: الفصل السادس ، ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) ابن عبدون . ثلاث رسائل فى الحسبة ، ص٥٧.

(٤) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ،ص ١٦٧؛ السيد السيد النشار . تاريخ المكتبات فى مصر: العصر المملوكى ، ص ١٦١.

(٥) المقرى. نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٥.

(٦) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب - (٢) ، ص ٧٨.

(٧) المقرى . المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٦٣.

(٨) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ١٤ ؛ شكيب أرسلان . الحلل السندسية ، مج٢ ، ص٩٦.

(٩) ابن الأبار . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٥.

(١٠) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٣ ؛ ابن عبد الملك المراكشى. الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١ ، ص ١٠٩ .

(١١) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٢٧ ، ٢٨ ؛ابن الخطيب . الكتيبة الكامنة ، ص ٩٠؛ السيوطى . بغية الوعاة ، مج١ ، ص ٢٣٣ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢٤٤.

(١٢) ابن الأبار . تحفة القادم / تحقيق إحسان عباس .- بيروت : دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٦ ، ص ١٩٥ .

(١٣) ابن حجر العسقلانى . الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ ٤ ، ص ١٢٩.

(١٤) ابن سعيد . المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ٤٥ ؛ محمد عبد الوهاب الغسانى . رحلة الوزير فى افتكاك الأسير ، ص ٢٠ ؛ بروفنسال . الحضارة العربية فى إسبانيا ، ص ٦٢ ؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع١ ، ق١، ص ٢٨١، ٢٨٢.

(١٥) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤، ص ١٤٦ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٨٦.

(١٦) ابن الأبار . الحلة السيراء ، ص ٢٠٢ .

(١٧) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٨٦؛ لين بول. العرب فى إسبانيا ، ص١٣٢ ؛

Mackensen. R.S. Moslem libraries and sectrian propeganda. _ Amrican Journal and semtic languges literature .- vol 51, no2 (Jan. 1953) . _ P . 108; pinto, olga. The libraries of Arabes , p.214, 215.

ويؤكد البغدادى ذلك حيث يذكر أن الأصفهانى (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م) كان يرسل تصانيفه سراً إلى الأندلس قبل أن تظهر فى المشرق. (انظر : البغدادى. تاريخ بغداد . - بيروت: دار الكتب العلمية . مج ١١، ص ٣٩٨).

(١٨) عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ٧٣.

(١٩) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٣٨ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٧٨ ، ٧٩ ؛ محمد رستم ديوان . المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى ، ص ٢٨٨ ؛ Kabir. library Movement in the Muslim world. P. 313.

(٢٠) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٢٥ ؛ شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٢٧٦.

(٢١) الحميدى . جذوة المقتبس، ص ٣٢٠ ؛ ابن بشكوال . المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ؛ الضبى. بغية الملتمس ، ص ٤٣٣.

(٢٢) ابن الفرضى . تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٤٣.

(٢٣) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢، ص ١٩٧.

(٢٤) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٦ ؛ ابن القاضى . جذوة الاقتباس ، ق ٢ ، ص ٥٠٠.

(٢٥) ابن بشكوال. الصلة ، ص ٣١٠ ، ابن فرحون. الديباج المذهب ، مج١، ص ٤٧٨؛ ابن العماد الحنبلى. شذرات الذهب، جـ ٣ ، ص ١٦٣؛ شعبان عبد العزيز خليفة. الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى، ص ٢٦٩؛ Thompson. Moslem libraries, P. 372.

(٢٦) ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ، ص ٣١٢ ؛ ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ـ (٢) ، ص ٧٥.

المثقال: هو الدينار من الذهب. (انظر : ابن منظور لسان العرب، مج ١١، ص ١٨٧.

(٢٧) ابن الأبار . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢ ؛ ابن القاضى .جذوة الاقتباس ، ق٢ ، ص ٢٩٦.

(٢٨) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ١٧٦.

(٢٩) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ ؛ أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٦٨؛ بروفنسال الحضارة العربية فى أسبانيا ، ص ٨٩ ؛ هيسيل . تاريخ المكتبات ، ص ٥٤.

(٣٠) ابن الفرضى . تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٩٩.

(٣١) ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ١١١.

(٣٢) ابن الفرضى ، المصدر السابق ، جـ ١، ص ٤٩.

(٣٣) ابن بشكوال. الصلة ، ص ٣٠٩؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج ١ ، ص ٤٧٨ ؛ أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٦٨.

(٣٤) الضبى. بغية الملتمس ، ص ٣٧٩ ؛ Sibai. Mosque libraries, P. 97.

(٣٥) المقرى. نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٦٢.

(٣٦) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١ ، ص ٢٨، ٢٩.

(٣٧) المقرى . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٤.

(٣٨) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢١٥ ، ٢١٦.

(٣٩) المصدر السابق ، ص ١٥٥.

(٤٠) المصدر السابق، ص ٣٣٠.

(٤١) المصدر السابق، ص ٤٧٣.

(٤٢) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١ ، ص ٣٠٥.

(٤٣) ابن الزبير . صلة الصلة ، ص ٥٦.

(٤٤) المقرى. نفح الطيب ، جـ ٢، ص ٥٩٧.

(٤٥) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب - (٢) ، ص ٧٩ ؛ .Sibai . Mosque libraries, p . 55

(٤٦) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٨٠ ، ٨١؛ ريبيرا .المرجع السابق - (٢) ، ص ٩١.
Sibai . loc _ cit.

(٤٧) محمد محمد أمان. . الكتب الإسلامية ، ص ٥٩.

(٤٨) محمد عبد الحميد عيسى . تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٤٨٣ ؛ نقلاً عن : الجزيرى؛ أبو الحسن على ابن يحيى بن القاسم (ت ٥٨٥هـ) . كتاب الوثائق (مخطوط) مكتبة القرويين ، الورقة ، ٦٧.

(٤٩) محمد عبد الوهاب خلاف . تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الخامس الهجرى .- القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ، ١٩٩٢ ، ص ٦٠١.

(٥٠) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، مج٨ ، ص ٥١٨؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ١١٥.

(٥١) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٧٩.

(٥٢) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٧، ص ١٠٢ _ ١٠٥.

(٥٣) أحمد شلبى . موسوعة التاريخ الإسلامى ، جـ ٤ ، ص ٧٦.

(٥٤) أحمد شوقى بنبين. دراسات فى علم المخطوطات ، ص ٤٣ ، ٤٤.

(٥٥) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ٢ ، ص ٣٥، ٣٦.

(٥٦) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ،ص ١٨٥.

(٥٧) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٧٢.

(٥٨) ابن الفرضى. تاريخ علماء الأندلس، جـ ٢ ، ص ١١٣؛ ابن فرحون. الديباج المذهب ،مج٢ ، ص ٢١٢، ٢١٣ .

(٥٩) الحميدى . جذوة المقتبس ،ص ١٠٤ ؛ الضبى . بغية الملتمس ، ص ١٥١ ؛ ابن الأبار . الحلة السيراء ،مج١، ص٢٥٠.

(٦٠) الحميدى . المصدر السابق ، ص ٩٧ ؛ الضبى. المصدر السابق ، ص ١٤١ ؛ ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الثامن ، ق ٢ ، ص ٣٦٤.

(٦١) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٦٢٢.

(٦٢) ياقوت الحموى . معجم البلدان / تحقيق فريد عبد العزيز الجندى .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠ ،- جـ ٤ ، ص ، ٣٥٤

(٦٣) ابن بشكوال . المصدر السابق ، ص ٢٢ ؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج٢ ، ص ٢٣٦..

(٦٤) الحميدى . جذوة المقتبس ، ص ٢٥٢، ٢٥٣ ، ابن خاقان . مطمح الأنفس ، ص ٢٠٩.

(٦٥) أحمد فكرى . قرطبة فى العصر الإسلامى ، ص ٢٤٥.

(٦٦) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٣٨ ؛ الضبى . بغية الملتمس ، ص ٣١٩ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٧٨.

(٦٧) الضبى . المصدر السابق ، ص ٢٧١.

(٦٨) ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٨٤.

(٦٩) بالنثيا. تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٧٧.

(٧٠) ابن عبد الملك المراكشى. الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق١، ص ٢٣٦.

(٧١) الحميدى. جذوة المقتبس، ص ١٨٣ ؛ ابن بشكوال . الصلة ، ص ١٢٠؛ الضبى . بغية الملتمس ، ص ٢٥٢ ؛ ابن سعيد. المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٦٦ ؛ ياقوت الحموى . معجم الأدباء ، مج٤ ، جـ ٧ ، ص ١٣٥ ـ ١٣٨، السيوطى . بغية الوعاة ، مج١ ، ص ٤٧٨ ؛ نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ ؛ ١٩٠.

(٧٢) طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة ومصباح السيادة، جـ ١ ، ص ٩٠، ٩١.

(٧٣) ابن جلجل. طبقات الأطباء. ـ المقدمة ك؛ ابن أبى أصيبعة .عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٤٩٤؛ طاش كبرى زادة .المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ هونكة. شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٢٢ ؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع١ ، ق١ ، ص ٣ ٤٥، ٤٥٤ ، محمد ماهر حمادة . الوثائق السياسية والإدارية فى الأندلس وشمال أفريقية : دراسة ونصوص ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م ، ص ١٨٠.

(٧٤) ابن أبى أصيبعة. عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ص ٤٩٣؛ بالنثيا. تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٤٦٢، ص ,٤٦٣ ويعد كتاب ديسقوريدوس مفقود الأصل ، أما ترجمته العربية فمنها نسخة بدار الكتب المصرية منقولة بالتصوير على مخطوطة محفوظة فى خزانة جامع أيا صوفيا فى إسطنبول وهى مؤلفة من ٣٧٢هـ لوحة . انظر : الأمير مصطفى الشهابى. تفسير كتاب ديسقوريدوس لابن البيطار مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٣، جـ ١(مايو ، ١٩٥٧م) ، ص ١٠٧.

(٧٥) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب ـ (١) ، ص ٨٨ ؛ Thomposn. Moslem libraries, p. 372. وقد عثر جيبومو ليبرى على نسخة من الترجمة اللاتينية لتقويم الأسقف ربيع بن زيد، وقام بنشرها زيلاً على كتابه المسمى: (تاريخ العلوم الرياضية فى إيطاليا)، ونشره فى باريس سنة ١٨٣٨ م . كما عثر دوزى على مخطوطة عربية اللغة ولكنها مكتوبة بحروف عبرية . انظر : ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ١٥٩.

(٧٦) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ،ص ١٨٧.

(٧٧) بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٧٨.

(٧٨) محمد المنونى . العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٧٧.

(٧٩) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢، ص ٤٢.

(٨٠) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة . ـ بقية السفر الرابع ، ص ٣٠، ٣١.

(٨١) المصدر السابق ، السفر السادس ، ص ٢١٣.

(٨٢) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٨٨ ؛ الضبى . بغية الملتمس ، ص ٢٤٤ .

(٨٣) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ؛ محمد المنونى . العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص ٢٧٥، ٢٧٦ ؛ محمد عبد الله عنان. دولة الإسلام فى الأندلس ، ع ٣ ، ق ٢، ص ١٣٦؛ أحمد شوقى بنبين . دراسات فى علم المخطوطات ، ص ١٤٨.

(٨٤) شكيب أرسلان . الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، مج١ ، ص ٢٥٤.

(٨٥) للمزيد عن الفهرسة والفهارس انظر : شعبان عبد العزيز خليفة ، محمد عوض العايدى . موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات . ـ الرياض : دار المريخ ، ١٩٩٠م ، ص ١٨٣.

(٨٦) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى ، ص ٣٩٩.

(٨٧) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ١٥٤ ؛ محمد محمد أمان . الكتب الإسلامية ، ص ٦٢.

(٨٨) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٠؛ ابن الأبار . الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠٣.

(٨٩) ابن سعيد . المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨٦؛ ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ١، ص ٣٨٥ .

(٩٠) محمد محمد أمان. الكتب الإسلامية ، ص ٦٤.

(٩١) والجدير بالذكر أن الفهارس بدأت فى أقدم صورها على شكل قائمة جرد inventory ،ثم تطورت فيما بعد فى الوقت الحاضر كأداة استرجاع المعلومات (انظر: شعبان عبد العزيز خليفة ،محمد عوض العايدى . موسوعة الفهرسة الوصفية ، ص ١٨).

(٩٢) بالنثيا. تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٨١ ؛ عبد العزيز الأهوانى . كتب برامج العلماء فى الأندلس ، ص ٩٧، ٩٨؛ سيتفيتش . تاريخ الكتاب ، ق١ ، ص ٢٤٨.

(٩٣) انظر : عبد العزيز الأهوانى . المرجع السابق ، ص ٩١ ـ ١٢٠ ؛ شعبان عبد العزيز خليفة. البيليوجرافيا أو علم الكتاب دراسة فى أصول النظرية الببليوجرافية وتطبيقاتها . ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٦م ، ص ١٦٨/١٦٩ ؛ حامد الشافعى دياب . فهارس وبرامج الشيوخ . ـ مجلة دراسات عربية فى المكتبات وعلم المعلومات ، س٢ ، ع٣ ، (سبتمبر ،١٩٩٧م) ، ص ٧١ -٩٠.

(٩٤) طاش كبرى زادة . مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم . ـ جـ ١ ، ص ٣٢٤.

(٩٥) ملز ، ج . نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات :أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية/ ترجمة وتقديم عبد الوهاب أبو النور ؛مراجعة محمد البنهاوى. ـ القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ، ص ٨.

(٩٦) روزنتال. علم التاريخ عند المسلمين / ترجمة صالح أحمد العلى. ـ ط٢ . ـ بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، ص ٥٢ ـ ٥٤ ؛ عبد الوهاب أبو النور. نظم التصنيف فى الوطن العربى: المشكلات والحلول المقترحة .ـ القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٦م ، ص ٢٣.

(٩٧) وقد جعل ابن حزم علم الكيمياء ضمن العلوم التى لا حاجة للاشتغال بها ، لأن علم الكيمياء كان يهدف إلى تحويل فلز إلى فلز آخر ، كتحويل النحاس إلى ذهب ،وهذا باطل ولم يتحقق ساعة من الدهر . (انظر: ابن حزم. رسائل ابن حزم الأندلسى/ تحقيق إحسان عباس . ـ القاهرة : مكتبة الخانجى ، ص ٥٩ ، ٦٠).

(٩٨) المصدر السابق ، ص ٧٨.

(٩٩) المصدر السابق ، ص ٧٨ -٨١.

(١٠٠) المصدر السابق ، ص ٨١-٨٣.

(١٠١) فلم يكن هدف الفارابى ترتيب وتصنيف العلوم ،فقد استهل كتابه بقوله " قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علماً علماً ونعرف ما يشتمل عليه كل واحد منها أو أجزاء كل ما له منها أجزاء،وجمل ما فى كل واحد من أجزائه " ولم يرد أن يتعرض لمذهبه فى تصنيف العلوم. = انظر : الفارابى. إحصاء العلوم / تحقيق عثمان أمين. ـ ط٢ . - القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨، ص ٥٣.

(١٠٢) وقد رتب الخوارزمى تصنيفه على مقالتين:

المقالة الأولى : علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية وهى:

١- علم الفقه ٢-علم الكلام ٣- علم النحو

٤-علم الكتابة ٥-علم الشعر ٦-علم الأخبار

المقالة الثانية : علوم العجم، وهى :

١- علم الفلسفة ٢- علم المنطق ٣- علم الطب.

٤-علم العدد ٥-علم الهندسة ٦-علم النحو

٧- علم الموسيقى ٨- علم الحيل ٩- علم الكيمياء.

ثم يفرع كل موضوع من تلك الموضوعات إلى عدد من الفصول (راجع : الخوارزمى . مفاتيح العلوم .- ليدن: بريل ، ١٩٦٨م ، ص ٥ - ٢٩٩).

(١٠٣) عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٣٨.

(١٠٤) التنضيد : مصدر نضد ، ونضد الشيء جعل بعضه على بعض ، وغالباً ما يكون ذلك فى اتساق وانتظام (انظر:ابن منظور . لسان العرب ، مج٣ ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤).

(١٠٥) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ١٥٦.

(١٠٦) أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٤٩.

(١٠٧) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب - (١) ، ص ٨٨.

(١٠٨) ابن جماعة . تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ، ص ١٧٠-١٧٢.

(١٠٩) أحمد شلبى. تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٥٠ ؛ محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ١٥٧.

(١١٠) أحمد شلبى. المصدر السابق، ونفس الصفحة؛ محمد عجاج الخطيب. لمحات فى المكتبة والبحث. ص ٧٥؛ Pinto , Olga. The libraries of Arabs during the time of the Abbasides , p. 229

(١١١) محمد محمد أمان . الكتب الإسلامية ، ص ٣٩.

(١١٢) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٦٣.

(١١٣) انظر : أحمد بن محمد السفيانى . صناعة تسفير الكتب وحل الذهب .- القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٩م.

(١١٤) ابن القاضى. جذوة الاقتباس ، ق١ ، ص ١٦٩.

(١١٥) انظر: بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمى الإشبيلى. التيسير فى صناعة التسفير/ تحقيق عبد الله كنون.- مدريد : معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٥٩م ، ص ١- ٤١.

(١١٦) عبد الوهاب خلاف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٦٩.

(١١٧) أحمد شلبى. تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٧٠ ؛ عبد الستار الحلوجى . المخطوط العربى ، ص ٢٣٩؛ محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ١٨٣.

(١١٨) سعيد عبد الفتاح عاشور . فضل العرب على الحضارة الأوربية ، ص ٧٣.

(١١٩) المقرى. نفح الطيب ، جـ ٦، ص ٦٣.

(١٢٠) ابن القاضى . جذوة الاقتباس ، ق ١ ، ص ١٦٩.

(١٢١) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢، ص ١١٦ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٦٠٦، ٦٠٧.

(١٢٢) المقرى . المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(١٢٣) ابن سعيد . المغرب فى حلى المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٢١.

(١٢٤) ابن الزبير . صلة الصلة ، ص ١٨٢.

(١٢٥) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ ؛ أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٦٨ ؛ بروفنسال . الحضارة العربية فى إسبانيا ، ص ٨٩ ؛ هيسيل . تاريخ المكتبات ، ص ٥٤ ؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٨٦.

(١٢٦) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٢٢ _ ٢٥ ؛ السيوطى . بغية الوعاة ، مج١ ، ص ٤٥ /٤٦.

(١٢٧) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة بالسفر الأول ، ق١ ، ص ٩٨.

(١٢٨) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٨٧؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٣١٠؛ حسين مؤنس . تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ، ص ١٢٤.

(١٢٩) بكر بن إبراهيم الإشبيلى . كتاب التيسير فى صناعة التسفير ، ص ٤٠.

(١٣٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(١٣١) الخزانة الملكية فى المغرب : عشرون ألف مخطوط تنتظر التحقيق . - مجلة الأمة ، س ٢ ، ع٢ (أغسطس ١٩٨٣م) ، ص ٥٤ .

الفصل الرابع

الخدمات فى المكتبات الأندلسية

توطئة :

أوضحت فيما سبق أن المكتبات الأندلسية توافرت لها كافة العناصر الإدارية والمالية والنظم والعمليات الفنية، وهذه المقومات هيأت للمكتبات أن تؤدى رسالتها على أكمل وجه، وذلك لأن المحك الرئيس لنجاح أى مكتبة فى أداء رسالتها هو قدرتها على توفير ما يحتاجه الرواد من خدمات .

وتُعد الخدمات المكتبية المحصلة النهائية لكل العمليات والإجراءات التى تتم داخل المكتبة والتى تترجم إلى خدمات للمستفيدين .

هذا الفصل يتناول الخدمات المختلفة التى تقدم فى المكتبات الأندلسية ، ويعرض لفئات المستفيدين الذين تقدم لهم تلك الخدمات فى المكتبات الأندلسية على اختلاف أنواعها، كما يعرض أيضًا للدور العلمى للمكتبات فى المجتمع الأندلسى ، وأثر تلك المكتبات على نهضة أوروبا الحديثة .

المستفيدون :

أسهمت المكتبات الأندلسية بأنواعها المختلفة بدور فعال فى توفير الكتب وإتاحة استخدامها للجميع، فلم تكن من أجل التباهى أو لمجرد إرضاء هواية جمع الكتب، بل وجدت من أجل غاية وهدف أسمى، هو تثقيف المجتمع الأندلسى ونشر الثقافة بين طوائفه المختلفة؛ فالمكتبات الأندلسية لم تكن غاية فى حد ذاتها، وإنما وجدت لتحقيق أهداف محددة، ولخدمة الفئات المختلفة من المستفيدين .

فالمكتبات الخاصة مثلاً، جمعها أصحابها لاستخدامهم الخاص، إلا أنها كانت متاحة للمقربين والأصدقاء والمشاركين لهم فى مجالات اهتمامهم من الطلاب والعلماء؛ فقد كان القاضي محمد بن عبد الله المعافرى (ت ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م) يسمح لأصدقائه باستخدام مكتبته والاستفادة منها، قال القاضى أبو القاسم : "كنا نبيت معه فى منزله بقرطبة وكانت الكتب عن يمين وعن شمال" [١]. وكان ابن الخطاب الأزدى على مثل تلك الحال، يقول ابن سعيد "وصرت فيمن انتفع بكتبه ومجلسه" [٢].

ونفس الشيء بالنسبة للمكتبات الخلافية، فقد كانت مكتبة الحكم الثانى (٣٥٠هـ - ٣٦٦هـ) ينتفع بها كثير من الحاشية والمقربين منه من مشاهير العلماء الذين يرتادون القصور الخلافية، مثل أبى على القالى صاحب الأمالى[٣]. وأبى بكر المعيطى، وأبى عمر المكوى[٤]. وعبد الله ابن مغيث المعروف بابن الصفار[٥]. والفقيه منذر بن سعيد البلوطى، وأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى صاحب أخبار النحويين ومختصر كتاب العين[٦] وغيرهم من أعلام النابهين .

ومعنى ذلك أن مكتبات الخلفاء - وإن كانت أقل عمومية من المكتبات العامة - كانت مفتوحة ليستفيد منها كبار العلماء والأدباء ممن يترددون على القصور الخلافية .

وكانت المكتبات العامة تفتح أبوابها لكافة الناس على اختلاف طبقاتهم وميولهم من العلماء والأدباء، وطلاب العلم وعامة الناس، وكانت الكتب فى متناول الجميع دون رسوم أو قيود، فقد وجد بالأندلس ٣٥ مكتبة عامة منفتحة الأبواب لجميع الناس[٧]. وتذكر هونكة "أنه وجد فى كل حى مكتبة عامة فى متناول الجميع" [٨].

وكانت الكتب الموقوفة على المساجد ينتفع بها جميع المسلمين لأنها وقف عام، أما الوقف الخاص فكان يقتصر على فئة معينة مثل طلبة العلم فقط؛ وممن وقف كتبه على طلاب العلم الفقيه محمد عيسى بن إسحاق التجيبى (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) "الذى وقف كتبه على طلاب العلم بالعدوة" [٩].

وهذا وقف خاص لأن هذه الكتب حبُست على طلاب العلم من أهل العدوة، فربما تُنقل إلى هناك أى العدوة أو تظل فى الأندلس، ويطلع عليها طلاب العدوة الوافدون .

ومن العلماء الذين وقفوا كتبهم على طلبة العلم كذلك، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى الحميدى(ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) (١٠). ومحمد بن على بن ياسر الأنصارى الجيانى (ت ٥٦٣ هـ/ ١١٦٨م)(١١)و محمد بن محمد بن محارب الصريحى المالقى (ت ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م) (١٢).

أما المكتبات الملحقة بالمدارس والمؤسسات التعليمية، فقد كان ينتفع بها أهل تلك المدرسة من الأساتذة والشيوخ والطلبة . وربما تمتد الخدمة لتشمل المستفيدين المحتملين من أفراد المجتمع .

الخدمات فى المكتبات الأندلسية :

إن المبرر الأساسى لوجود المكتبات، هو تقديم الخدمة وجعل الكتب فى متناول القراء وتحت تصرفهم، فإذا كانت المكتبة هى " مجموعة من الكتب هُيِّئت لها الظروف لكى تحدث أثرها "(١٣)، فإن الهدف الأساسى من وجود المكتبة هو ذلك الأثر الذى يقصد به الخدمة التى تقدمها المكتبة .

ولقد فطن الأندلسيون إلى أن المكتبات ليست مجرد مبان لحفظ الكتب ولكنها مؤسسات ثقافية تخدم المجتمع، فقاموا بتنظيم المكتبات بشكل يضمن لها تقديم الخدمات إلى جميع الرواد بسرعة ويسر، ذلك أنه بدون استخدام الكتب تصبح المكتبة مخزناً لا مبرر لوجوده .

ولقد تفاوتت الخدمات التى تقدم للرواد فى المكتبات من مكتبة إلى أخرى، وهذه الخدمات هى:

١- خدمة القراءة والنسخ :

وتُعد هذه الخدمة من أولى الخدمات التى تقدمها المكتبات على اختلاف أنواعها وأحجامها، وقد قامت المكتبات العامة والخاصة على السواء بتقديم تلك الخدمة، وتَطلَّب تقديم تلك الخدمة توفير مكان مريح، وتجهيز المكتبات بالأثاث الكافى والمناسب للمطالعة والنسخ، وكذلك تقديم أدوات ومواد الكتابة كالحبر والأوراق والأقلام مجاناً.(١٤)

وقد تضمنت الوقفيات إتاحة الكتب للقراءة والنسخ . فقد حرص الواقفون على إتاحة الكتب للجميع، مثل "لتعار الكتب للنسخ والمقابلة والدراسة"(١٥). أو "لتعار لمن يريد أن يقرأ فيها" (١٦).

وقد أسهم أولو الأمر فى تيسير تلك الخدمة من خلال إنشاء المكتبات العامة فى المدن المختلفة وإتاحتها للجميع، فقد أنشأ الحكم الثانى فروعاً لمكتبته فى المدن لتيسير الاطلاع على العلم [١٧].

ولما كانت تلك الخدمة تقدم داخل المكتبة، فقد كانت تتم دون تدخل من موظفى الإعارة، وكان ارتياد المكتبات للقراءة والنسخ ميسراً دون أية تعقيدات .

وكانت مكتبات الخلفاء تتاح بها خدمة الاطلاع الداخلى (القراءة) لمن يرتاد القصور الخلافية من العلماء والأدباء والمشاهير والمقربين، ففى مكتبة بنى أمية فى قرطبة قام العالم الأندلسى ابن فرناس بالاستئذان للاطلاع على كتاب العَرُوض للخليل بن أحمد لما علم بوجوده، فأذن له الأمير عبد الرحمن الأوسط[١٨].

وكان الحكم الثانى كثير المطالعة فى مكتبته بقصر الخلافة، فقد كان "كثير التهمم بها والتصحيح بها والمطالعة لفوائدها، وقلما نجد له كتاباً فى خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر فى أى فن من فنون العلم"[١٩].

وقد سمح الحكم لبعض العلماء دخول مكتبته ومطالعة كتبها وخاصة فى حال تكليفهم ببعض الأعمال العلمية، ومن هؤلاء الذين سمح لهم الحكم بالاطلاع على مكتبته الفقيهان :أبو بكر المعيطى، وأبو عمر المكوى. يقول القاضى عياض إن " الحكم لما أراد استكمال كتاب الاستيعاب سأل قاضيه ابن السليم هل يوجد من يكمله ؟! فقال له : نعم بشرط إباحة أمير المؤمنين خزانة كتبه للبحث عن أقوال مالك، فقال له الحكم : أفعل ذلك على ضنانتى بها حرصاً على إكمال الفائدة . فسمى له الفقيهين أبا بكر المعيطى القرشى، وأبا عمر بن المكوى، وقاما بتأليف كتاب الاستيعاب الكبير فى مائة جزء"[٢٠] .

وقد شغف الأندلسيون كثيراً بمطالعة وقراءة الكتب، فقد كان قاضى القضاة تقى الدين ابن دقيق العيد لديه خزانة كتب تعلو موضع جلوسه للمطالعة، وكان بها القصائد والدواوين يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها والنظر فيها[٢١]. وكان أبو الحسن على بن عبد الله الأنصارى ابن النعمة (ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١م) "يبيت الليالى الطوال فى بيت كتبه باحثاً وممحصاً" [٢٢].

وكان موسى بن سعيد (ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) شغوفاً بمطالعة الكتب لا يتركها حتى فى أيام الأعياد، وكان يرى فى ذلك الراحة، فقد حكى ابنه على بن سعيد قائلاً: " لم أره يوماً

يتخلى عن كتاب أو كتب ما يخلده، حتى فى أيام الأعياد لا يخليها من ذلك . ولقد دخلت عليه فى يوم عيد، وهو فى جهد عظيم من الكتب فقلت له: يا سيدى، أفى هذا اليوم لا تستريح! فنظر إلى غاضباً وقال : اظنك لا تفلح أبداً، أترى الراحة فى غير ذلك ؟ والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها. ولوددت أن الله يضاعف عمرى حتى أتم كتاب المغرب على غرضى" (٢٣).

وحكى ابنه على بن سعيد أيضاً قائلاً : إنه بعد أن ولاه ابن هود الجزيرة الخضراء " أعلمه شخص أن عند أحد المنسوبين إلى بيت نباهة كراريس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تحتوى عليهم دولة عبد المؤمن فأرسل إليه راغباً فى استعارتها بعض الوقت، فأبى صاحب الكراريس وقال : علىَّ يمين ألا تخرج من منزلى، وإن كانت له حاجة فليأت على رأسه - وكان جاهلاً - فضحك والدى وطلب منى أن أسير معه إليه فقلت : ومن يكون حتى نمشى إليه على هذه الصورة ؟ فقال: أنا لا أمشى إليه ولكن أمشى إلى الفضلاء الذين تضمنت الكراريس أشعارهم وأخبارهم، واستطرد قائلاً : أتُراهم لو كانوا أحياء مجتمعين فى موضع أنفت أن أمشى إليهم ؟ فقلت: لا. فقال : إن الأثر ينوب عن العين " فمشينا إلى منزل الرجل وأطلعنا على الكراريس، ولما قضينا منها الغرض صرفها إليه والدى وشكره، وقال له : "هذه فائدة لم أجدها عند غيرك فجزاك الله خيراً "، ثم قال : " ألم تعلم يا بنى أننى سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية، وإن هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها " (٢٤).

ونخرج من النص السابق بما يلى : -

أ- أن بعض أصحاب المكتبات الخاصة كانوا يسمحون بالاطلاع على كتبهم النادرة داخل المكتبة فقط، وعدم السماح بإعارتها خوفاً عليها من الضياع .

ب- كما تبين حرص العالم " موسى بن سعيد " على الاطلاع على الكتب والاستفادة منها مهما كلفه هذا من عناء وسفر، ذلك أنه لم يتأثر بموقف صاحب المكتبة؛ لأنه يتوجه إلى الفضلاء الذين تضمنت الكراريس والكتب أخبارهم وأشعارهم .

جـ- من آداب الاطلاع تقديم الشكر بعد الاطلاع على الكتب .

وقد قدم بعض أصحاب المكتبات الخاصة خدمة النسخ مقابل عدم خروج الكتب من المكتبة، فقد كان القاضى عبد الرحمن بن فطيس " لا يعير كتاباً من أصول البتة :، وكان إذا سأله أحد ذلك وألح عليه أعطاه للناسخ وقابله ودفعه إلى المستعير فإن صرفه وإلا تركه " (٢٥).

٢- خدمة الإرشاد والتوجيه :

وترتبط هذه الخدمة بخدمة الاطلاع والنسخ، وتتلخص فى إرشاد القراء إلى موضع الكتب على الرفوف أو إحضار هذه الكتب إلى قاعات المطالعة والقراءة؛ أى تسهيل مهمة المستفيدين - على اختلاف ميولهم - إلى ما يناسبهم من كتب ومساعدتهم فى إيجاد الكتب التى يريدونها.

وكان هناك من العلماء من يقومون بتقديم تلك الخدمة فى المكتبات الإسلامية سواء فى المشرق أو المغرب الإسلامى(٢٦).

٣- خدمة الإعارة الخارجية :

تُعد خدمة الإعارة الخارجية من أوجه التيسير التى تقدمها المكتبات لروادها، وبخاصة أولئك الذين لا تسمح لهم ظروفهم بشراء الكتب أو نسخها؛ ويقصد بها عملية إتاحة الكتب للمستفيدين لاستخدامها خارج المكتبة فى المكان والزمان المناسب لهم، مما يعمل على تنشيط تداول الكتب بين الناس .

وكانت استعارة الكتب معروفة بين أهل العلم وشاعت منذ القرن الثانى للهجرة، ولقيت تشجيعاً عليها من علماء المسلمين لأنها من أعمال الخير، قال القاضى وكيع : " أول بركة العلم إعارة الكتب " (٢٧).

وكانت إعارة الكتب من الأعمال الحميدة الحسنة، وهو أمر استحسنه الأولون والآخرون لما فيه من نشر العلم خاصة، وإفادة الناس عامة، حتى عُد من صفات العلماء المحمودة (٢٨).

وقد أورد ابن جماعة عدة ضوابط وآداب لإعارة الكتب، وهذه الضوابط تنطبق على الكتاب المستعار من شخص أو من مكتبة خاصة أو عامة، وهى :

١- ينبغى للمستعير أن يشكر للمعير ويجزيه خيراً.

٢- لا يحبس الكتاب (لا يمتنع عن رده) إذا طلبه المالك .

٣- لا يجوز إصلاح الكتاب بدون إذن صاحبه .

٤- لا يكتب فى بياض الكتاب وفواتحه وخواتمه إلا إذا أذن له صاحبه .

٥- لا يجوز للمستعير أن يعير الكتب لغيره .

٦- لا ينسخ منه بغير إذن صاحبه (٢٩).

وكان أبو عبد الله محمد بن الفرج الصواف الطليطلى (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) من العلماء الأندلسيين وقد لخص بعض آداب الاستعارة، يقول :

يا مستعير كتابى إنه علق　　　بمهجتى وكذاك الكتب بالمهج

فأنت فى سعة إن كنت تنسخه　　　وأنت من حبسه فى أعظم الحرج [٣٠].

وقد تجاوزت المكتبات الأندلسية خدمة الاطلاع الداخلى إلى خدمة الإعارة الخارجية سواء المكتبات العامة أو الخاصة، وانتشرت الاستعارة فى الأندلس على نطاق واسع حتى إن بعض العلماء اكتفوا باستعارة الكتب ولم يجدوا ضرورة لشرائها، فهذا هو ابن حيان الغرناطى [٣١] ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) لم يشتر كتاباً واحداً استغناء بالاستعارة من مكتبات الأوقاف يقول : "أنا أى كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف وقضيت حاجتى" [٣٢].

وقد شاعت إعارة الكتب بين العلماء الأندلسيين، فقد كان عبد الملك الشذونى أحمد المتحققين بعلمَى الطب وأحكام النجوم يستعير كتب الطب والأحكام من أبى الحجاج يوسف المرانى، وكانت عنده منها جملة كبيرة وقعت إلى أبيه فى أيام الفتنة بالأندلس[٣٣]. ويحكى المقرى عن القاضى عبد الرحمن بن فرفور " أنه كانت تضيق يده عما يريد، وكان يستعير الكتب من بعض إخوانه، وعندما أبطأ بجزء استعاره من أحد إخوانه كتب إليه معتذراً :

أبطأت فى ذا الجزء يا سيدى　　　كتابة من جور دهر بغيض"[٣٤].

وكان لسان الدين ابن الخطيب يعير إخوانه ما يحتاجونه من كتب، وحدث أن استعار منه سعيد بن محمد الغرناطى الغسانى كتاباً، فأرسله إليه وعلى ظهره أبيات من الشعر تدل على وجود أخطاء كثيرة فى الكتاب[٣٥].

ويبدو أن سعيد الغرناطى بعد إطلاعه على الكتاب وجد أنه دخله التحريف والتصحيف من قبل المؤلف والناسخ، ولذا فإنه يرى أنه لا حيلة فى إصلاحه،وينصح ابن الخطيب بعدم الاعتماد على ما فى الكتاب من معلومات، وذلك يوضح الدور الفعال الذى ساهمت به إعارة الكتب فى الاتصال العلمى بين العلماء وما ينجم عن ذلك من استفادة علمية كبيرة.

وكان الأندلسيون يسمحون بإعارة الكتب لطلبة العلم إعانة لهم على تحصيل العلم وحرصاً على نشره، فقد كان أبو العباس أحمد بن مفرج الأموى المعروف بابن العشاب (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) كثير الكتب، جماعاً لها فى كل فن من فنون العلم سمحاً لطلبة العلم، وربما وهب

منها لملتمسه الأصل النفيس الذى يعز وجوده احتساباً وإعانة على التعليم "(٣٦). وعلى بن محمد بن يحيى العافقى (ت ٦٤٩هـ / ١٢٥١ م) فقد كان محباً فى العلم وطلابه سمحاً لهم بأعلاق كتبه قوى الرجاء فى ذلك "(٣٧).

وربما تلطف أحدهم بشعر رقيق لطلب كتاب من صاحبه، فقد حدث أن منذر بن سعيد أراد استعارة كتاب من أبى علىّ القالى، قال : كتبت إلى أبى على البغدادى أستعير منه كتاباً من الغريب، وقلت :

بحق ريم مـهـفـهف وصـدغـه المتـعطف

ابعث إلىَّ بجـزء من الغـريب المصنف

فقضى حاجتى، وأجاب بقوله :

وحق در تـألَّف بفـيك أىَّ تـألُّف

لأبعـثن بما قـد حـوى الغـريب المصنف

ولو بعثت بنفسى إليك ما كنت أسرف(٣٨).

ومن أظرف ما يُحكى فى الإعارة أن أبى بكر عتيق بن أحمد بن ميسرة الفرغليطى استعار من أبى العباس بن بقى (مشرف إشبيلية) كتاباً وجال فى خاطره ليلة أن يذم الرجل، فسود ذلك فى ورقة، فكان من ذلك : والعجب من هذا المشرف المسرف الخائن الحائن، أنه يدعى الانتهاض فى شغل السلطان والأمانة، ومرتبه فى الشهر عشرون ديناراً، ولقد أعطانى مرة ثلاثين ديناراً، فمن أين تلك العشرة ؟ وما أنفق فى ذلك الشهر ؟ ثم أخذ فى ذمه، وذكر وخيم منشئه، وكيف تدرج إلى أن ولى الأعمال وداس رقاب الرجال . ثم نسى، وجعل تلك الورقة بين ورق الكتاب المستعار، ورده إلى أبى العباس فوجدها وقرأ ما فيها، وكاد يخرج من عقله من شدة الحنق، ثم استدعاه وأوقفه عليها وأنَّبه، فقال له غير مكترث هذه عادة أهل الأدب . فأمر غلمانه فصفعوه، وقال : يا فقيه! وهذه عادة خدام السلطان، والأيمان تلزمنى لا خرجت من الثقاف (الحبس)، حتى لا يبقى عليك مما أعطيتك درهم واحد، فما خرج من حبسه حتى قبض منه ثلاثين ديناراً" (٣٩).

وكان بعض العلماء يضعون شروطاً معينة لإعارة الكتب توخياً للحفاظ على الكتب من التحريف والتلف، فهذا هو عبد الله بن محمد بن أسد الجهنى الطليطلى (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م) كان " لا يعير كتاباً إلا لمن يتيقن أمانته ودينه حفظاً للرواية " (٤٠).

فى بعض الأحيان تُحدد فترة يلتزم فيها المستعير برد الكتاب دون تجاوز هذا الوقت، فابن خلدون سجل فى الوثيقة التى أهدى بها "كتابه العبر" إلى مكتبة جامع القيروان، أنه لا يجوز إعارة الكتاب إعارة خارجية إلا لثقة أمين برهن وثيق، وأن يرد الكتاب فى مدة لا تتجاوز شهرين"(٤١) وهى المدة التى تتسع لنسخ الكتاب المستعار أو مطالعته.

وقد وجد نفر من العلماء يمنعون الإعارة، ويضنون بإعارة كتبهم خوفًا عليها، ومنهم القاضى عبد الرحمن بن فطيس إذ " كان لا يعير كتاباً من أصوله البتة: وكان إذا سأله أحد ذلك وألحف عليه أعطاه للناسخ فنسخه وقابله ودفعه إلى المستعير"(٤٢)؛ فالقاضى ابن فطيس كان يحتفظ بالأصل ولا يسمح بإعارته فى مقابل السماح بإعطاء نسخة للمستعير.

وكان أبو الحسن بن الربيب على نفس الصورة من منع الإعارة والاحتفاظ بالكتب، فابن سعيد يحكى "أنه كان كثيراً ما يستعير الكتب فإذا طلبت منه فكأنها ما كانت، فذكر لبعض أصحابه أن عنده نسخة جليلة من تاريخ عريب(٤٣). الذى لخص فيه تاريخ الطبرى، واستدرك عليه ما هو من شرطه. وذيل ما حدث بعده، فأرسلت إليه فى استعارتها فكتب إلىَّ : يا أخى، سدد الله آراءك، وجعل عقلك أمامك لا وراءك، ما يلزمنى كونك مضيعاً أن أكون كذلك، والنسخة التى رمت إعارتها هى مؤنسى إذا أوحشنى الناس وكاتم سرى إذا خانونى، فما أعيرها إلا بشىء أعلم إنك تتأذى بفقده، إذا فقد جزء من النسخة، وأنا الذى أقول: أنسى أخى الفضل كتاب أنيق"(٤٤). وكان محمد بن على بن ياسر الأنصارى الجيانى (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م) فيه "عسر فى الرواية والإعارة معاً"(٤٥).

٤- الخدمات الببليوجرافية :

تُعتبر الخدمات الببليوجرافية من أهم الخدمات الفنية فى المكتبات لتيسير وصول القراء إلى الكتب والتعرف عليها قبل الاطلاع عليها .

وقد أسهمت الفهارس التى أعدتها المكتبات بما تقتنيه من كتب فى تقديم هذا النوع من الخدمات داخل المكتبات، فقد كانت مكتبة الحكم الثانى يوجد بها فهرس لكل موضوع على حدة، واشتمل فهرس للدواوين الشعرية على ٤٤ مجلدًا فى كل مجلد.

كما أسهمت فهارس الشيوخ التى برع فيها الأندلسيون فى تسهيل مهمة المستفيدين وتزويدهم بالمعلومات الببليوجرافية التى يحتاجونها للوصول إلى الكتب .

وتُعد تلك الفهارس أول نوع من البيبليوجرافيات ظهر عند المسلمين، وهى عمل إسلامى خالص خرج من بطن علم الحديث ، ولم يكن لها وجود لدى الأمم السابقة؛ فقد ظهرت على استحياء فى القرن الثانى الهجرى، وأصبحت نوعاً فريداً من البيبليوجرافيات النوعية عند العرب اعتباراً من القرن الثالث وانسلخت تماماً عن علم الحديث(٤٦). وكانت فهارس الشيوخ تُرتب فى عدة طرق :

الطريقة الأولى: ترتب حسب الشيوخ أو الأشخاص الذين درس عليهم، والمدخل الرئيسى فى هذه الفئة من الفهارس هو اسم الشيخ، وفيها تكون المعلومات البيوجرافية هى الغالبة بينما تأتى المعلومات البيبليوجرافية فى المرتبة الثانية(٤٧). وهذا النوع من الفهارس يفيد من يرغب فى التعرف على كتاب أو مجموعة كتب لمؤلف معين؛ ومن أمثلة هذه الفهارس فهرس ابن عطية (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) وبدأ فيه بأقربائه، وفهرس الشيخ القاضى عياض (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) المعروف بالغنية حيث رتبه حسب الشيوخ وبدأ بالمحمدين، وبرنامج الرعينى (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م) وفيه رتب الشيوخ على موضوعات الدراسة فبدأ بمن قرأ عليهم القرآن ثم الحديث، وبرنامج المجارى (ت ٨٢٦ هـ / ١٤٥٨ م) ورتب شيوخه جغرافياً حسب البلدان التى استقى فيها العلم .... إلخ.

الطريقة الثانية: وترتب حسب الكتب التى درسها، ويكون المدخل هنا هو اسم الكتاب؛ ويغلب على تلك الفهارس البيانات البيبليوجرافية ، وتقل المعلومات البيوجرافية والتى تأتى فى المرتبة الثانية(٤٨)؛ وهذه الفهارس تفيد من يريد كتاباً معيناً أو موضوعاً محدداً .

ومن الأمثلة الدالة على هذه الفئة : فهرس ابن خير الإشبيلى (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م)، وكذلك فهرس التجيبى (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م) .

الطريقة الثالثة: وهى تجمع بين الطريقتين السابقتين، إذ ترتب مرة حسب أسماء الشيوخ، ومرة حسب أسماء الكتب(٤٩)؛ وهذه الفهارس هى أكثر إفادة من النوعين السابقين، حيث تقدم جميع الاحتمالات للمستفيد سواء أكان يرغب فى معرفة مؤلفات شخص بعينه أو كتاب معين أو موضوع محدد؛ ومن أمثلتها : برنامج الوادى أشى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)، وبرنامج ابن أبى الربيع (ت٦٨٨ هـ / ١٢٩١ م) حيث قسما الفهرس إلى جزءين، هما : الأول: رتَّبه بأسماء الشيوخ، والثانى: رتبه بعناوين الكتب.

٥-خدمة تبسيط وتلخيص الكتب "خدمة الاستخلاص":

ويقوم بتقديم هذه الخدمة العلماء المتخصصون، وذلك بهدف التيسير على المستفيدين والرواد وتوفيراً للوقت والجهد، وخاصة لمن تعوقهم ظروفهم الاطلاع على الكتب ذات الأحجام الكبيرة فيجعلونها فى حجم أصغر تكون فى متناول تلك الفئات . وهو ما تقوم به بعض المكتبات الكبرى فى عالمنا المعاصر وتعرف تلك الخدمة بخدمة الاستخلاص.

وكانت مكتبة بنى مروان بقرطبة يوجد بها ديوان يعرف بديوان الاختصار، يتولى تقديم تلك الخدمة، وكان يعمل بهذا الديوان علماء منهم ابنا إبان بن عيسى بن محمد بن دينار، " وهما من جملة فقهاء قرطبة ندبها الحكم إلى اختصار الكتب المبسوطة، فاختصراها وقرباها " (٥٠).

وفى عصر الدولة النصرية (٦٢٥ هـ ـ ٨٩٧هـ) انتشرت عادة اختصار الكتب حتى يتمكن الناس من قراءتها؛ نظراً لانشغالهم بحياة الجهاد ضد الإسبان، وكثرت الكتب المختصرة فى مكتبات هذا العصر وقام كبار العلماء بمهمة اختصار الكتب وتلخيصها(٥١).

الدور العلمى للمكتبات الأندلسية :

إن وجود المكتبات بأنواعها المتعددة فى الأندلس من أقوى الشواهد على تقدير العلم من جانب الدولة والأفراد، فلقد أسهمت المكتبات بدور علمى فريد فى تثقيف وتنوير المجتمع الأندلسى، وفى إثراء الثقافة الأندلسية بكل جديد ومفيد، كما ساهمت المكتبات فى اختفاء الأمية حيث كانت مكاناً للبحث والدرس والتعليم، كما ساعدت على نشر الوعى الدينى، فعرف الناس أمور دينهم، كما كان لها دورها المتميز على الصعيد الاجتماعى والسياسى .

١- الدور المعرفى والتثقيفى :

فقد كانت المكتبات أماكن للتزود من الثقافة والمعرفة لجميع أفراد الشعب، وفتحت أبواب المعرفة أمام الجميع، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على كتب وعلوم جديدة لم تكن متاحة لعدد كبير من الناس .

ولقد لعبت المكتبات الخاصة دوراً فى تثقيف أصحابها ونبوغهم العلمى، إذ جعلت منهم المفكرين والأدباء والعلماء؛ وأمدتهم بما يحتاجون إليه فى تأليف كتبهم فى تخصصاتهم المختلفة. ومن هؤلاء العلماء والمفكرين. عبد الملك بن حبيب (٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م)(٥٢). وابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م)(٥٣). وابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) (٥٤)

وإبراهيم بن عبد الله المعروف بابن النوالة[٥٥]. وابن الرومية أحمد بن مفرج الأموى (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) [٥٦]، وابن سعيد على بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٧٤ م)[٥٧].... وغيرهم.

وكذلك استفاد الخلفاء والأمراء من المكتبات، فقد أثرت مكتبة الحكم فيه فجعلته من علماء عصره المشهورين وأصبح حجة لدى علماء عصره، يقول ابن الأبار : " إنه جمع من الكتب ما لم يجمعه خليفة فى الإسلام ... فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفادته، وكان فى المعرفة بالرجال والأنساب والأخبار أحوذياً نسيج وحده، يعترف له بالرسوخ من أهل عصره ... وقلما نجد له كتاباً ولا ديواناً من خزائنه إلا وله فيه قراءة ونظر فى أى فن كان من فنون العلم يقرؤه ويكتب فيه بخطه - إما فى أوله وآخره أو فى تضاعيفه - نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به، ويذكر أنساب الرواة له، ويأتى من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن، وكان موثوقاً به مأموناً عليه، صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم، ينقلونه من خطه ويحاضرون به " (٥٨).

وقد استفاد المظفر بن الأفطس ملك بطليوس من مكتبته استفادة كبيرة لدرجة أنه أصبح من المؤلفين الحقيقيين؛ فقد ألف الكتاب المظفرى فى خمسين مجلداً وهو يشتمل على فنون و علوم ومغازٍ وسيَر ومثل وخبر وجميع ما يختص به علم الأدب[٥٩]. وهذا الكتاب يعد موسوعة تاريخية عظيمة انتفع فى تصنيفه بسائر ما تحتويه خزائنه بنفائس الكتب إلا أنه لم يصل إلينا منه سوى شذور قليلة (٦٠).

٢- الدور التعليمى والتربوى :

لم تكن المكتبات مجرد خزائن كتب، وإنما كانت مؤسسات تعليمية وتربوية، فقد كانت أشبه ما تكون بالمدارس والجامعات؛ فقد كان مسجد قرطبة ومكتبته جامعة بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ، كما كانت مكتبة مسجد طليطلة ملجأ للدارسين والعلماء، وكانت أحد مصادر التعليم فى القرن الثالث عشر الميلادى[٦١].

ولم يكن إنشاء المكتبات ترفاً فكرياً، بل كانت المكتبة تمارس الأنشطة التعليمية، ولعل من أهمها الاستفادة من مؤلفات السابقين، ذلك أن المؤلفات التى يصنفها العلماء ما هى إلا نتيجة استفاداتهم من المواد التى توافرت لديهم فى مكتباتهم؛ فإن الأبار مثلاً يشير فى مقدمة كتابه (التكملة لكتاب الصلة) أنه استفاد كثيراً من مؤلفات من سبقوه[٦٢]. وهذا من مظاهر الاتصال العلمى بين العلماء.

كما تغرس المكتبات مهارات تعليمية مثل الاعتماد على المصادر المكتوبة (الذاكرة الخارجية)، فكثيراً ما يتعرض العلماء أثناء إلقاء دروسهم إلى أسئلة لا يتمكنون من إجابتها فى وقتها اعتماداً على ذاكرتهم، فيلجؤون إلى مكتباتهم باحثين عن إجابة لهذه الأسئلة، ومن ذلك مثلاً أن عبد الله بن الحسن الأنصارى القرطبى (ت ٦١١ هـ / ١٢١٥ م) تعرض أثناء شرحه لأحد الكتب لمناقشة من أحد تلاميذه حول مسالة من مسائل علم العروض، وطال الجوار بينهما واكتشف ابن القرطبى أن لديه قصوراً فى الإحاطة بها، وبعد أن عاد إلى منزله طالع كتب علم العروض فى مكتبته باحثاً عن هذه المسألة وغيرها، ولم يكتف بالقراءة، بل دون ما استفاده من هذا العلم فى كتاب ليكون مرجعاً للمهتمين بهذا العلم (٦٣) .

ولم يقتصر دور المكتبات على ذلك، فقد أسهمت بنصيب وافر فى الاهتمام بالعملية التعليمية فكانت مكاناً لعقد حلقات الدرس والمحاورات والمناقشات بين العلماء وأهل العلم، فمن العلماء من يبيت فى مكتبته بصحبة بعض الطلاب الملازمين له (٦٤). مما يتيح الفرصة للطلاب لعرض الأسئلة والاستفسارات وتلقى الإجابة عنها .

وهذا يؤكد أن المكتبة فى الأندلس كانت تقوم بمهمة المعاهد العلمية بالإضافة إلى ما تؤديه من خدمات للمترددين، وهذا ما جعل المستشرق الهولندى دوزى Dozy يرى أن كلمة مدرسة فى الأندلس لم تكن تعنى مكاناً علمياً، وإنما كانت تعنى مكتبة (٦٥). ذلك أن المكتبة كانت تحتوى كل مرافق المدرسة وتُعقد بها حلقات للدروس ... إلخ .

وكذلك قامت المكتبات بأنواعها المختلفة بدور تربوى لا يقل أهمية عن دور المسجد والمدرسة فى الأندلس من خلال مساندتها للعملية التعليمية فى هذه المؤسسات ، فكانت كل مؤسسة من هذه المؤسسات مزودة بمكتبة غنية بمراجعها وكنوزها التى تتيح للمتعلمين الحصول على ما يريدونه من معلومات تسهل لهم سبل التعلم، ومن أجل هذا تعهد سلاطين غرناطة بإمداد المدرسة النصرية بالكتب المختلفة لاستفادة طلاب العلم (٦٦).

وكان من أسباب نجاح المكتبات فى دورها، ما كانت عليه المكتبات من الجو والمكان المناسب للقراءة والاطلاع، وتوفير الكتب التى يحتاجها المطالعون وتنظيمها بحيث يسهل الإفادة منها، فضلاً عن أمناء المكتبات الذين كانوا على درجة عالية من الثقافة، مما ساعد على تأدية هذا الدور على أكمل وجه. وهكذا استطاعت المكتبات الأندلسية أن تضطلع بدورها التعليمى والتربوى، وكانت وسيلة فعالة فى العملية التعليمية فى حدود الإمكانات المتاحة لها وقتها، وهى

فى ذلك فاقت مثيلاتها من المكتبات فى العصر الوسيط، وكانت المكتبة شيئاً أساسياً فى عملية التربية والتعليم فى الأندلس .

٣- الدور الدينى:

ويُعد الدور الدينى من أبرز الأدوار التى قامت بها المكتبات الأندلسية، إذ عملت على نشر التوعية الدينية، عن طريق توفير المؤلفات الدينية فى فروع الدين المختلفة، ذلك أن مكتبات المساجد من أول أنواع المكتبات ظهوراً من خلال ما أوقفه العلماء على المساجد من كتب ومؤلفات لإتاحة الفرصة لجميع المسلمين لمعرفة أمور دينهم .

كما كان للمكتبات فى الأندلس دور أساسى وفعال فى إعداد الكوادر الدينية من العلماء والدعاة، الذين يقع على عاتقهم مهمة نشر الدين الإسلامى، أمثال: الفقيه ابن حبيب، وابن منذر البلوطى، وابن سعيد الداتى، وبقى بن مخلد، وابن عبد البر، وابن زرب ... إلخ .

ولما أرادت الدولة لمذهب مالك الاستمرارية تحقق لهم ما أرادوا من خلال قوة الكتاب فى نشر الفكر عند عامة الناس، فكانت المكتبات الأندلسية تعج بالمؤلفات فى المذهب المالكى دون غيره من المذاهب، وشجعت الدولة الاطلاع على المؤلفات التى تعالج هذا المذهب، يروى المقدسى عن الأندلسيين قولهم: " لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك، فإن ظهروا على حنفى أو شافعى نفوه، وإن عثروا على معتزلى أو شيعى أو نحوهما ربما قتلوه " (٦٧).

هكذا استطاعت الأندلس أن تحقق وحدتها الدينية عندما اختارت المذهب المالكى لتعتمده مذهباً رسمياً للدولة، وقد لعبت المكتبات بما تحتويه من مؤلفات فى هذا المذهب دوراً فعالاً فى تحقيق هذه الوحدة الدينية؛ مما جنب الأندلس التمزق الدينى .

٤- الدور الاجتماعى :

وقد ظهر الدور الاجتماعى للمكتبات بوضوح حيث أتيحت الكتب والمكتبات لجميع القراء، ولم يكن هناك تفرقة فى دخول المكتبات والاطلاع على الكتب والاستفادة منها .

وكانت المكتبات متاحة للجميع رجالاً ونساء دون اعتبار للعمر أو الجنس أو الدين أو اللون أو الثقافة، كما كفل المجتمع الأندلسى للجميع حق امتلاك الكتب والاستفادة بما تقدمه المكتبات من أنشطة وخدمات.

وكانت الأندلس كما أشرت من قبل تتألف من عدد من العناصر المختلفة(٦٨). إلا انه بفضل سياسة التسامح التى اتبعها العرب مع رعاياهم من النصارى واليهود، انصهرت تلك

العناصر فى بوتقة واحدة، وظهر من غير المسلمين علماء ومفكرون فى جميع المجالات واقبلوا طواعية على تعلم اللغة العربية، والثقافة العربية، وشاركوا مشاركة فعالة فى الحياة الثقافية الأندلسية، حتى برع من بينهم كثير من المترجمين والنساخ والمجلدين، واقتنى معظمهم مكتبات ضخمة تعج بالمؤلفات العربية (٦٩). ويؤكد ذلك ما جاء فى شكوى (القس ألفارو القرطبى) من ان كثيرًا من النصارى يجيدون اللغة العربية وآدابها ويطالعون كتب العرب بشغف ويجمعون مكتبات كبيرة من تلك الكتب (٧٠). وكان ابن نغرالة اليهودى لديه "خزانة كتب جليلة، من كتب اشتات العلوم الإسلامية، وكان له وراقون ينسخون له الكتب بالنفقات والمرتبات" (٧١).

وهكذا كان انتشار المكتبات فى الأندلس بأنواعها المختلفة إنعكاساً لحاجة المجتمع الأندلسى وثمرة من ثمرات هذا المجتمع المثقف .

٥- الدور السياسى :

لم تكن المكتبات الأندلسية أماكن للثقافة والتعلم فقط، وإنما كانت تتأثر وتؤثر فى السياسة؛ فالعلاقات بين حكام الأندلس وغيرهم من ملوك الدول الأخرى، كان من ثمراتها الحصول على بعض الكتب القيِّمة النادرة؛ فقد سمع ملك الهند "ملو" أن الخليفة الناصر متطلِّبٌ للعلوم الإلهية والحكمية، فأرسل إليه كتاب " كليلة ودمنة " و كتاب " سفر آدم عليه السلام فى علم الحروف " وكتاب " الحروف المنزلة على آدم عليه السلام " (٧٢). وكذلك هاداه ملك القسطنطينية " أرمانيوس " بهدايا جليلة من جملتها كتاب " ديسقوريدوس مصور الحشائش " وكتاب " هروشيش صاحب القصص " (٧٣).

وعندما عقد السلطان أبو يوسف يعقوب الموحدى (٥٨٠هـ - ٥٩٥ هـ) معاهدة الصلح مع ألفونسو التاسع ملك قشتالة سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م، كان من جملة الشروط أن يرد الإسبان كتب العلم التى غنموها من المسلمين، فرد منها ألفونسو التاسع ثلاثة عشر حملاً من المخطوطات (٧٤).

وكما أثرت المكتبات على صعيد السياسة الخارجية بين الأندلس والدول الأخرى، تأثرت المكتبات بالسياسة الداخلية للأندلس، ومما يدلنا على تدخل السياسة فى حركة المكتبات، وتطويع المكتبات لخدمة السياسة ما قام به المنصور بن أبى عامر، عندما استولى على السلطة وعمل على استمالة رجال الدين إلى جانبه فقام بحرق كتب الفلسفة والعلوم القديمة الموجودة فى مكتبة الحكم الثانى أمام نفر من العلماء كالأصيلى وابن ذكوان والزبيدى، ليظهر للناس

غيرته على الدين، وإرضاء للعامة والفقهاء [٧٥]. وكذلك ما قام به الخلفاء والأمراء من حرق كتب بعض العلماء لاستمالة العامة مثل حرق كتب ابن مسرة، وابن حزم، والغزالى .. وغيرهم [٧٦]. مما أثر بالسلب على حركة المكتبات.

كما يبرز الدور السياسى للمكتبات، فى أن امتلاك مكتبة كان من ضمن أسباب اختيار بعض الولاة، فقد كان من أسباب ولاية أبى عبد الله محمد بن أبى إبراهيم على غرناطة "مشاركته فى الأدب وهمته العالية فى اقتناء الكتب وانتساخها حتى اجتمعت له منها خزانة عظيمة" [٧٧].

الأثر الحضارى للمكتبات الأندلسية على أوروبا :

لا يمكننا الحديث عن تأثير المكتبات الأندلسية على أوروبا إلا من خلال منظور تأثير الحضارة الأندلسية عامة، وذلك لصعوبة فصل المكتبات عن الحضارة بوصفها أحد جوانبها المتميزة .

ولما كانت الأندلس جزءاً من العالم الإسلامى من جهة وقطعة من القارة الأوروبية من جهة أخرى، فإن هذا الوضع جعلها المعبر الرئيسى الذى عبرت منه الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، فقد كان الوجود العربى الإسلامى فى الأندلس ماثلاً محسوساً طيلة ثمانية قرون على الأقل، وهى مدة كافية لكى يترك العرب رواسب حضارتهم وتأثيراتهم فى أوروبا [٧٨]. مما جعل الأندلس واحدة من أبرز وأهم قواعد انطلاق النهضة الأوروبية الحديثة .

وكان دخول الإسلام الأندلس نجاة لها من التخلف والجهل الذى ران على أوروبا فى العصور الوسطى، ويعترف المنصفون بأنه لولا جهود العلماء العرب والمسلمين لتأخرت النهضة الأوربية عدة قرون [٧٩]. وقد اختفت الأُميَّة تماماً من الأندلس إبان الحكم العربى الإسلامى، يقول دوزى: "إنه لم يكن يوجد فى الأندلس رجل أمى، بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة فى أوروبا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس [٨٠]. وبينما كان شارلمان ونبلاؤه يحاولون تعلم كتابة أسمائهم كانت الأندلس تحمل إمامة العلم والثقافة فى العالم [٨١].

وفى الوقت الذى عرفت فيه الأندلس المكتبات بأنواعها المختلفة، وكانت مستودعاً أميناً لتراث الإنسانية وحوت مئات الآلاف من الكتب فى مختلف حقول المعرفة الإنسانية ـ كما أوضحت فيما سبق ـ كان الغرب المسيحى لا يعرف سوى مكتبات الأديرة [٨٢] والتى تحتوى على عدد متواضع من الكتب.

وقد أورد " آدم متز Adam Mez " بعض ما كان فى خزائن الكتب فى الغرب فى تلك الفترة على سبيل المقارنة، فقال: وكان فى مكتبة الكاتدرائية بمدينة كنشتانز فى القرن التاسع الميلادى ثلاثمائة وستة وخمسون كتاباً، وفى مكتبة دير البندكتين عام ١٠٣٢م ما يزيد على المائة بقليل، وفى خزانة كتب الكاتدرائية فى مدينة بامبرج سنة ١١٣٠م ستة وتسعون كتاباً فقط [٨٣] .

وكانت المكتبات فى أوروبا محتوياتها لا تتجاوز بضع مئات من الكتب، يغلب عليها الطابع الدينى ويُذكر أن ملك فرنسا شارل الحكيم لم يستطع أن يجمع فى مكتبة فرنسا الملكية سوى تسعمائة مجلد، وأن ثلث هذه المجلدات فى علم اللاهوت[٨٤] .

ووجد فى مكتبة كاتدرائية "دورهام" durham حوالى ٦٠٠ مجلد فى القرن الثانى عشر الميلادى، وكانت الكتب تسلسل بالسلاسل لمنع خروجها من المكتبة[٨٥].

وربما يكون أكبر عدد من الكتب ضمته مكتبة فى أوروبا فى العصور الوسطى تلك التى يعود تأسيسها إلى البابا نيقولا الخامس الذى أسسها فى أواخر القرن الخامس عشر، حيث بلغ مجموع كتبها ١١٠٠ كتاب[٨٦]. وتذكر هونكة أن متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربى، فى القرن العاشر الميلادى كان أكثر مما تحويه كل مكتبات الغرب مجتمعة[٨٧].

إلا أن هذه الصورة المظلمة التى كانت عليها أوروبا فى العصور الوسطى لم تدم، وتغيرت مع الزمن نتيجة احتكاك الأوروبيين بالحضارة الإسلامية عامة، والحضارة الأندلسية بصفة خاصة، وأسهم العرب فى نهضة أوروبا إسهامات واضحة؛ ومن أهم تلك الإسهامات النافعة التى قدمها العرب لأوروبا صناعة الورق التى ساعدت على انتشار الكتب والمعارف بين الناس؛ فقد دخلت صناعته إلى أوروبا عن طريق الأندلس، وتعلموا صناعة الورق فى المصانع الإسلامية بالأندلس حيث أُسست عدة مصانع بها، كان أولها عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م بمدينة شاطبة وكانت تصدره إلى أوروبا[٨٨].

وقد تعلم الأوروبيون صناعة التجليد من العرب، وتأثروا بهم فى طريقة تجليد الكتاب وزخرفته وتزيينه، ومن المؤكد أن الأوربيين أخذوا عن العرب كذلك طريقة تزويد جلدة الكتاب بلسان لحماية الأطراف الخارجية للمخطوطات. وكذلك عرف الأوربيون عن العرب طريقة تذهيب المجلدات بإذابة صفائح ذهبية فى الفراغات الناتجة عن ضغط الزخارف وكبسها، وكانت هذه هى الطريقة التى ابُتكرت فى قرطبة التى كانت ولا تزال مشهورة بصناعة الجلود، وانتقلت طريقة التذهيب إلى أوروبا وشاع استخدامها منذ القرن الخامس عشر الميلادى[٨٩].

كما أخذ الغرب المسيحى فكرة المكتبات فى العصور الوسطى عن المسلمين، فلقد كانت لهم صلات وثيقة بالعالم الإسلامى فهذا هو فريدريك الثانى يأمر بترجمة الآداب العربية وإنشاء مكتبات على غرار المكتبات الإسلامية فى طليطلة وغرناطة(٩٠).

وهكذا أفاق الغرب من سباته العميق يلتمس العلم على يد المسلمين، واتخذ عدة وسائل لنقل التراث العربى الإسلامى إلى أوروبا، فقاموا بإرسال البعثات التعليمية إلى مدارس المسلمين وجامعاتهم، وبدأ طلاب العلم من مختلف أنحاء أوروبا يُهرعون إلى مراكز الحضارة الإسلامية بالأندلس ويعودون إلى بلادهم محملين بكتب وعلوم المسلمين ؛ فقد أرسل الإمبراطور (أوتو الكبير) بعثة إلى الأندلس فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٢ هـ/ ٩٥٣ م، وكان فيها (جان غورتز) الذى مكث فى الأندلس مدة ثلاث سنوات تعلم فيها اللغة العربية ورجع إلى ألمانيا سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م . وجلب معه حمل حصان كتباً عربية فى فروع العلم المختلفة (٩١).

ومن أشهر المتأثرين بالعلوم العربية "جربرت" Gerbert الذى أصبح بابا روما سنة ٩٩٩ م باسم سلفستر الثانى، فقد أسس مكتبة حوت علوم الديانة وآداب القدماء وبعض الكتب العلمية متأثراً فى هذا بما رآه فى الأندلس؛ إذ أمضى أربع سنوات من شبابه يدرس فى جامعات طليطلة وقرطبة الإسلامية وتعلم فى معاهدهما وشاهد مكتباتهما، وأوصى بمكتبته عند موته إلى كاتدرائية رمس فى فرنسا(٩٢).

وتُعتبر الترجمة من أهم وسائل نقل التراث العربى الإسلامى إلى أوروبا، ولما كانت اللغة العربية هى لغة العلم والحضارة فى العصور الوسطى كان من الطبيعى أن تكون حركة الترجمة منها إلى اللغة اللاتينية والإسبانية .

وقد تشبع النصارى بالحضارة العربية لدرجة أنهم هجروا لغتهم وتكلموا اللغة العربية، ولذا عُرفوا باسم المستعربين Mozarabes وكان لهم دور مهم فى نقل الحضارة العربية إلى الممالك المسيحية، وقاموا بترجمة كثير من المؤلفات العربية .

وكذلك قام اليهود بدور كبير فى ترجمة المصنفات العربية إلى اللاتينية؛ مما جعل الفقيه الإشبيلى ابن عبدون يدعو إلى " أن لا يباع من اليهود، ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان فى شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم وهى من تواليف المسلمين "(٩٣). وقد ساعدهم على القيام بهذا الدور تمكنهم من اللغة العربية ومعرفة بعضهم باللغات الأخرى كاللاتينية والإسبانية مما جعل مساهمتهم فى حركة الترجمة مساهمة فعالة.

وقد ازدهرت حركة الترجمة فى الأندلس وأضحى لها مراكز متخصصة فى الترجمة، وقامت بترجمة الكثير من كتب الطب والفلك والرياضيات والفلسفة إلى اللغة اللاتينية، ومن اهم تلك المراكز: طليطلة التى سقطت بيد الفونسو السادس ملك قشتالة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م، وقام الأسقف (ريموند) بإنشاء مدرسة طليطلة الشهيرة للترجمة والتى عمل بها كثير من العلماء المسلمين والأوروبيين، واستمرت إسهاماتهم فى ترجمة الأعمال العربية حتى عهد الفونسو العاشر [٩٤].

وبلغ الاهتمام بنقل علوم العرب إلى أوروبا النصرانية ذروته فى عهد ألفونسو العالم، فقد التف نفر من النصارى والمسلمين واليهود المتخصصين فى شتى العلوم حوله، وأشرف بنفسه على توجيه أعمال الترجمة، وأنشأ فى مدينة مرسية معهداً للدراسات بمساعدة الرقوطى الفيلسوف المسلم، ثم نقله إلى إشبيلية وأنشأ فيها مدرسة، وأمر بنقل كثير من الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية ومنها القرآن الكريم وكتاب (كليلة و دمنة[٩٥]).

وهكذا استطاع الأوربيون نقل التراث المكتبى الإسلامى إلى مكتباتهم، وارتوت أوروبا من العلم والحضارة الإسلامية، وبنوا أساس تقدمهم على ما أخذوه من العرب واستقوا صناعة الورق والتجليد من العرب، كما تأثروا بالمكتبات الإسلامية فى الأندلس وأنشؤوا مكتبات على غرارها، واقتبسوا الوعى المكتبى من أساتذتهم المسلمين .

وبدأت الصحوة الأوروبية وأصبح التراث العربى والإسلامى - بل والعالمى - تحت تصرفهم، وانتشرت المكتبات فى أوروبا بأنواعها المختلفة وامتلأت بالمخطوطات والكتب العربية مما كان له أكبر الأثر فى نهضة أوروبا الحديثة .

وبعد هذا العرض للمكتبات الأندلسية والتعرف على أنواعها المختلفة، وما وفره الأندلسيون من مبنى وتجهيزات، وموارد مالية، ومجموعات، وقاموا بتنظيم المجموعات، مما أتاح لهذه المكتبات تلبية حاجات المستفيدين وتقديم خدمات لهم .

وهكذا قامت المكتبات الأندلسية بأداء رسالتها على أكمل وجه، وكان لها الفضل فى حفظ التراث الإسلامى، بل والتراث الإنسانى القديم مترجماً إلى اللغة العربية، وبقى الآن أن نتعرف المصير الذى آلت إليه المكتبات الأندلسية، وهذا ما سنتناوله فى الفصل القادم .

هوامش الفصل الرابع

(١) الضبى . بغية الملتمس ، ص ٩٤ .

(٢) ابن سعيد .اختصار القدح المعلى ، ص ١٤٦ .

(٣) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٣ ، ٧٢ ؛ ريبيرا ، المكتبات وهواة الكتب ـ (١) - ، ص ٨٧ .

(٤) عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج٢ ،جـ ٤ ، ص ٦٣٤ .

(٥) الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ . ابن خاقان ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس / دراسة وتحقيق محمد على شوابكة . - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٩٠ .

(٦) محمد جبر أبو سعدة. مكتبة الأمويين فى قرطبة.ـ مجلة الأزهر ، جـ ١ ، س٤ ، (فبراير ، ١٩٦٩ م) ، ص٨١٨ .

(٧) عاطف الجندى . تاريخ المكتبات الإسلامية فى الأندلس ، ص ٧٠ .

(٨) هونكة . شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٠٠ .

(٩) ابن بشكوال .الصلة ، ص ٥٥٨ .

(١٠) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١١٥ ؛ ابن الأثير. الكامل فى التاريخ ، مج ٨ ، ص ٥١٨ .

(١١) المقرى . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

(١٢) ابن الخطيب .الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(١٣) أحمد أنور عمر . المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ .ـ ط ٢ .ـ القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٩٧٠ م ، ص٣ .

(١٤) انظر: الفصل الثالث .

(١٥) محمد عبد الحميد عيسى. تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٤٨٣ ؛ ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس، ص١٤٢ .

(١٦) محمد عبد الوهاب خلاف . تاريخ القضاء فى الأندلس ، ص ٦٠١ .

(١٧) عبد الحميد العبادى . المجمل فى تاريخ الأندلس ، ص ١٤٣ .

(١٨) الزبيدى . طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(١٩) ابن الأبار .الحلة السيراء ، ص ٢٠١ .

(٢٠) عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٣٤ . ابن فرحون ، الديباج المذهب، مج ٢ ، ص٢٢٦ .

(٢١) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٣٧٠ .

(٢٢) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ق ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢٣) بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٤٣ .

(٢٤) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٩ ؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢٥) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٣١١ .

(٢٦) أحمد شلبى ، تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٧٦ ـ ١٧٨ .

(٢٧) حسين محمد سليمان. التراث العربى الإسلامى: دراسة تاريخية مقارنة .ـ القاهرة : مؤسسة دار الشعب ، ١٩٨٧م ، ص ١٧٣ .

(٢٨) ابن جماعة. تذكرة العالم والمتعلم ، ص ١٦٨ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ؛ السيد السيد النشار. تاريخ المكتبات فى مصر : العصر المملوكى ، ص, ٢٠٣ .

(٣٠) الحميدى . جذوة المقتبس ، ص ٨٧ ؛ ابن بشكوال . الصلة ، ص ٥٢٩ ؛ الضبى . بغية الملتمس ، ص ١٢٣ .

(٣١) ابن حجر العسقلانى . الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ ٤ ، ص ٣٠٩ المقرى. نفح الطيب ، جـ ٢، ص ٥٤٣ . بالنثيا. تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٨٨ ؛ .The Libraries of the Arabs . Pinto,Olga. P.23

(٣٢) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٣٨ ؛ محمد المنونى . العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٧٥ .

(٣٣) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٢٢ .

(٣٤) المصدر السابق، جـ ٦، ص ,١٢٨

(٣٥) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق ٢ ، ص ٥١٢ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

(٣٦) ابن الخطيب . المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ .

(٣٧) ياقوت الحموى . معجم الأدباء ، مج ٤ ، جـ ٧ ، ص ٢٢ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٢٠.
والغريب المصنف كتاب فى غريب الحديث لأبى عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى (ت ٢٠٦ هـ / ٨٢٢ م) واختصره : محمد بن على اللخمى اللغوى (ت ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) وسماه حلية الأدب .

(٣٨) انظر : حاجى خليفة . كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، مج ٢ ، ص ١٢٠٩ .

(٣٩) ابن سعيد . اختصار القدح المعلى ، ص ١٧٣ .

(٤٠) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٤٦ .

(٤١) أحمد شلبى، تاريخ التربية الإسلامية ، ص ١٥٦ ، أحمد شوقى بنبين. دراسات فى علم المخطوطات، ص ٤١ .

(٤٢) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٣١١ ؛ متز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ص ١٤٦ .

(٤٣) وهو عريب بن سعد القرطبى من بيت من الموالى يعرفون ببنى التركى ، وكان أديباً شاعراً تاريخياً .

(٤٤) انظر: ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الخامس ، ص ١٤١ -١٤٣ .

(٤٥) المقرى . نفح الطيب . جـ ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٤٦) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٣١ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٥٧ .

(٤٧) شعبان عبد العزيز خليفة ، الببليوجرافيا أو علم الكتاب ، ص ١٦٧ .

(٤٨) المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٥٠) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٥١) عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج ٢ ، جـ ، ص ٥٥٧ .

(٥٢) أحمد الطوخى. مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة ، ص ٣٠٦ .

(٥٣) ابن الخطيب. الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٥٤٩ .

(٥٤) الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص ٢٥٤ ؛ ابن بشكوال . الصلة، ص ٢٥١ .

(٥٥) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٤٧ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٨٣ .

(٥٦) ابن سعيد . المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٧١ .

(٥٧) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق ٢ ، ص ٥١٢ ؛ ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

(٥٨) ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج ٢ ، ص ١١٢ ، ١١٣ ؛ المقرى . نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

(٥٩) ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ؛ ابن الأبار . الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ ، المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٩٥ .

(٦٠) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٧٥ ؛ ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ ، المقرى. المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٨٠ .

(٦١) محمد بن عبد الله عنان . دول الإسلام فى الأندلس ، ع ٢ ، ص ٨٧ .
Arnold, Thomas (Editor. p.55). The Legacy of Islam.

(٦٢) ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ، ص ٧ _ ٩ .

(٦٣) ابن عبد الملك المراكشى. الذيل والتكملة . بقية السفر الرابع ، ص ١٩٦ .

(٦٤) الضبى . بغية الملتمس ، ص ١٩٦ .

(٦٥) محمد عبد الحميد عيسى . تاريخ التعليم فى الأندلس ، ص ٢٨١ .

(٦٦) المقرى . أزهار الرياض ، جـ ١ ، ص ٥٥ .

(٦٧) المقدسى . أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ٢٣٦ .

(٦٨) انظر: الفصل التمهيدى ، .

(٦٩) محمد إبراهيم زغروت . مكتبة الأمويين فى قرطبة وتأثيرها الفكرى فى شعوب غرب أوروبا ـ مجلة البحوث الإسلامية ، ع ١٧ (يوليو / أكتوبر ، ١٩٨٦) ، ص ٢٤٨ .

(٧٠) بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٤٨٥ ؛ لين بول . العرب فى إسبانيا ، ص ٧٩ ؛ ديورانت . قصة الحضارة ، جـ ١٣ ، ص ٢٩٧؛ جرونيباوم. حضارة الإسلام ، ص ٨٢ ؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس . ق١، ص ٢٦٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٤١ .

(٧١) ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ .
(٧٢) طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .
(٧٣) ابن جلجل . طبقات الأطباء . _ المقدمة ك ؛ ابن أبى أصيبعه. عيون الأنباء ، ص ٤٩٤ ؛ طاش كبرى زاده . المصدر السابق ، ص ٢٩١ .
(٧٤) فيلبب دى طرازى . خزائن الكتب العربية فى الخافقين ، مج ١، ص ٢٣٢ .
(٧٥) صاعد الأندلسى . طبقات الأمم ، ص ٨٨ ، ٨٩ ؛ بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٦٥ .
(٧٦) انظر : الفصل السادس ، ص ١٩٤، ١٩٥
(٧٧) ابن صاحب الصلاة . المن بالإمامة ، ص ٢٢٢ .
(٧٨) اليونسكو . أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية . ـ القاهرة : الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٨٧م ، ص٢٤ .
(٧٩) المرجع السابق ، ص ١٨٠ .
(٨٠) عبد الرحمن على الحجى . الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، ص ٢٨ .
(٨١) المرجع السابق ، ٢٩ .
(٨٢) هيسيل . تاريخ المكتبات ، ص ٥٤ .
(٨٣) متز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ص ٢٤٤ .
(٨٤) لوبون . حضارة العرب ، ص ٤٦١ .
(٨٥) محمد ماهر حمادة . مقدمة فى تاريخ الكتب والمكتبات ، ص ٨٧ ؛ سيتفتش. تاريخ الكتاب ، ق١ ، ص ٢١٤ ـ ٢١٨ .
(٨٦) محمد ماهر حمادة . المرجع السابق ، ص ٩٤ ؛ هيسيل . تاريخ المكتبات ، ص ٧١ .
(٨٧) هونكة . شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٣٨٨ .
(٨٨) أبو بكر الهوش ، مبروكة محيريق . دراسات فى المكتبات ـ طرابلس : المنشأة الشعبية ، ١٩٨١ م ، ص ١٢٤؛ أمين توفيق الطيبى . دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص ٣٣٢ .
(٨٩) اليونسكو ، أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ، ص ٤١٠ .
(٩٠) شعبان عبد العزيز خليفة . أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات . ـ القاهرة : العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م ـ مج ١ ، ص ١٧٠ .
(٩١) محمد ماهر حمادة. المكتبات فى الإسلام ، ص ٢١٢ ؛ عبد الرحمن على الحجى . الحضارة الإسلامية فى الأندلس، ص ٣٥ .
(٩٢) محمد ماهر حمادة . مقدمة فى تاريخ الكتب والمكتبات . ، ص ٨٣ .
(٩٣) ابن عبدون . ثلاث رسائل فى الحسبة ، ص ٥٧ .
(٩٤) محمد ماهر حمادة . المكتبات فى الإسلام ، ص ٢١٣ ؛ Carrion 330. Spain Libraries
(٩٥) بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٥٧٣ .

الفصل الخامس

مصائر المكتبات الأندلسية

توطئة:

بعد الحديث عن جوانب النهضة المكتبية، والتى تُعد صفحة من أجمل وأروع صفحات الحضارة الإسلامية فى الأندلس. ومعرفة مدى اهتمام الأندلسيين بالكتب والمكتبات بوصفها أداة ثقافية، وانتشار المكتبات فى طول البلاد وعرضها، وقيام الأندلسيين بتوفير جميع العناصر لتقديم الخدمات المكتبية، من موارد مادية وبشرية ونظم وإجراءات فنية، مما جعل المكتبات تؤدى رسالتها على أكمل وجه .

يتم فى هذا الفصل التعرف على المصير الذى آلت إليه المكتبات الأندلسية وعوامل زوالها، سواء العوامل الخارجية المتمثلة فى الحروب والغزوات الخارجية أو عوامل داخلية تتمثل فى الفتن والاضطرابات الداخلية، والحرق، والغرق، وانتقال الكتب إلى المغرب، وكذا التعرف على مصير ما تبقى من التراث الفكرى الأندلسى .

مصير المكتبات الأندلسية :

تخضع المكتبات كسائر المخلوقات لسُنَّة الحياة والموت، فإن النهضة المكتبية الرائعة التى حدثت فى الأندلس ما لبثت أن تدهورت، وتعرضت المكتبات لكل أنواع الدمار والتخريب، من حرق ونهب وسرقة، وتبددت محتوياتها شذر مذر، وزالت هذه المؤسسات من الوجود، وكان من أسباب زوالها عوامل خارجية تتمثل فى الغزو والحروب الخارجية، وعوامل داخلية تتمثل فى الفتن الداخلية والاختلافات المذهبية والصراع على السلطة، ونعرض لها فيما يلى :

أولاً : العوامل الخارجية :

وتمثَّل ذلك فى الحروب والغزوات الخارجية التى خاضتها الأندلس مع جيرانها النصارى الإسبان فيما يُسمى بحركة الاسترداد المسيحية، ذلك أنه لما فتح المسلمون الأندلس تركوا الجزء الشمالى الغربى، وكان جزءاً وعراً يسكنه بعض النصارى الأجلاف فتركهم المسلمون ولم يعبأوا بهم، وانطلقت من هذه المنطقة أولى الحركات المناهضة للإسلام، فقد قوى هؤلاء النصارى شيئاً فشيئاً واستغلوا ضعف المسلمين وانصرافهم إلى المنازعات الداخلية بينهم، فى الاستيلاء على المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى حتى وقعت الأندلس كلها فى قبضة أيديهم (١).

وكان الإسبان فى حروبهم التى خاضوها لاسترداد المدن يعيثون فى الأرض فساداً وعلى المكتبات نهباً وتدميراً، ففى الاضطراب الذى سبق إمارة عبد الرحمن الناصر، وفى مطلع عهد هذا الحاكم انتهز المسيحيون بالشمال الفرصة فزحفوا على المناطق الإسلامية، وكان المسيحيون قساة فى انتصاراتهم، فقد دمروا وقتلوا الأسرى، وهدموا المساجد وأحرقوا الكتب (٢).

وقد استولى المسيحيون الأسبان على كثير من الكتب الإسلامية، ونهبوا العديد من المكتبات الخاصة للعلماء، فقد ذكر صاحب الذيل والتكملة معلقاً على خروج مصحف عثمان من قرطبة سنة (٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) إلى العدوة فى أيام محمد بن عبد المؤمن بن على وبأمره قائلاً: " ولو كوشف - رحمه الله - بحال قرطبة من بلاد الأندلس وسواها وانتهاك عبدة الصليب محوط حماها، واستيلائهم على ما اشتملت عليه من كثير من المصاحف غير ذلك المصحف الكريم وابتذالهم ما عند أكابر العلماء بصيانته من ذخائر ودواوين العلم على العهد القديم، لسر بإخراجه عن قرطبة واحتماله، أعان بالتخصيص نصحاً له على انتقاله، إنقاذاً له من أيدى المشركين، واستدامة لبقائه فى كلاءة المسلمين"(٣).

وكان من عادة الإسبان كلما استولوا على إحدى المدن يتم تحويل مسجدها إلى كنيسة إشارة إلى انتصار النصرانية على الإسلام وتدمير كل البيوت وحرق الكتب الإسلامية، فبعد سقوط طليطلة (٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م) وسيطرة ألفونسو عليها أعلن نفسه إمبراطوراً على الملتين، ولكن مسعاه لتبنّي المسلمين قد انهار إذ لم يحفظ للمسلمين عهده بالمحافظة على حرمة المساجد فى المدينة، حيث اتخذ الإسبان من مسجد طليطلة اصطبلاً لخيولهم، وأحرقوا خزائن الكتب العربية، على عادة العصر ولم يسلم منها إلا القليل مما حُمل إلى أوروبا أو هاجر مع المسلمين إلى المغرب(٤).

ولما استولى السيد الكنيبطور على بلنسية (٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م) جمع أعيان بلنسية وقتل عدداً كبيراً، وعاث فى بلنسية وأحرق المدينة حتى صارت خراباً، وفيها يقول الشاعر ابن خفاجة الأندلسى:

عاثت بساحتك الظبى يا دار ... ومحا محاسنك البِلَى والنار

فإذا تردد فى جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها ... وتمخضت بخرابها الأقدار

كتبت يد الحدثان فى ... عرصاتها لا انت أنت، ولا الديار ديار(٥).

ولا بد أنه دمر ضمن حملة التخريب هذه من الكتب والمكتبات الكثير، فقد كان فى بلنسية فى هذا الوقت الكثير من عشاق الكتب، ولعل من أشهرهم عبد الله بن حيان الأروشى (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) الذى كانت له همة عالية فى اقتناء الكتب(٦).

وفى عهد ألفونسو السابع (٥٢٠هـ / ١١٢٦ م - ٥٥٢هـ / ١١٥٧ م)، تعمد الجنود قتل جميع الأئمة فى منطقة مدينة شريش وإحراق المساجد والكتب الدينية بها(٧).

وتقص الرواية النصرانية قصة غزوة قام بها القشتاليون سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣ م، على مقربة من قرية قرطبة وقاموا بانتساف الحقول حتى وصل الجيش النصرانى فى زحفه إلى أحواز إشبيلية وهو يحرق المزارع والقرى ويدمر المساجد ويحرق المصاحف (٨).

وعندما دخل النصارى قرطبة سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) امتنع ابن غانية فى المدينة، يدافع النصارى فى صبر وجَلَد، عاث القشتاليون فى شرقى قرطبة واستباحوا المسجد الجامع وأخذوا ما كان فيه من النواقيس ومزقوا المصاحف ؛ ومنها فيما زعموا مصحف عثمان(٩).

وعندما سقطت قرطبة سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م في يد الملك فرديناند الثانى دخل الإسبان المسجد الجامع وأتلفوا ما به من الكتب الدينية والمصاحف(١٠).

كما دمر الإسبان (النصارى) المكتبات الخاصة كمكتبة اللغوى أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء اللخمى القرطبى (ت ٥٩٢هـ / ١١٩٦ م) وكان قد أكثر من اقتناء الكتب والروايات وله اسمعة كثيرة، إلا أنه فيما يقول ابن القاضى امتُحن بضياعها عند استيلاء الروم على المرية (١١).

وقد ظل القاضى ربيع بن عبد الرحمن بن ربيع الأشقرى (ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) آخر القضاة بقرطبة بها حتى استولى الروم عليها فتحول إلى إشبيلية وبها تُوفى إثر انتقاله إليها، ويقال أن ما هاله عظيم الرزء من مفارقه المال والوطن عند الحاجة إليها مع سن الشاخة ولا بلغ لديه شىء من ذلك مبلغ الرزء فيما تلف له من كتبه (١٢).

كما استولى الإسبان على الكتب التى وجدوها فى مدينة سبتة عندما سقطت المدينة فى أيديهم، فقد كان فى سبتة خزانة كتب العلوم ولما استولى الإسبان عليها (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) حملوا منها كل ما وجدوه فيها حتى كتب العلم وكانت كثيرة (١٣).

إلا أن أكبر نكبة حلت بالمكتبات الأندلسية وقعت عقب انتهاء الوجود العربى الإسلامى وسقوط غرناطة آخر المعاقل الإسلامية فى الأندلس عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢م، فقد عكس أعداء الإسلام حقدهم على الكتب والمكتبات فأبادوا منها الكثير.

وقد نصت معاهدة تسليم غرناطة على السماح للمسلمين بالاحتفاظ بأملاكهم وثقافتهم وكتبهم وأن يقضى بينهم حسب شريعتهم(١٤)، إلا أن الإسبان ما لبثوا أن تنكروا لعهودهم، وطغى التعصب للدين المسيحى، وتم إرغام المسلمين على التنصر بشتى الوسائل، وكان الإسبان يرون أن الكتب العربية والثقافة الإسلامية من أهم عوامل تمسك المسلمين بدينهم، ولذلك رأى الكاردينال خمنيس (ت ١٥١٧ م) أن يقضى على تراث هذه الأمة ليحرمهم من قوتهم الروحى والعقلى، ففى عام ١٥٠٠ م أمر بجمع الكتب والمكتبات العربية من غرناطة وغيرها من المدن، وجعلها أكداساً مكدسة فى ساحات غرناطة واحتفل بإحراقها، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة كتاب من كتب الطب والعلوم، وهبت لجامعة " الكالا " (القلعة) دى هنارس(١٥).

وتختلف الروايات حول عدد الكتب التى أُحرقت فى ميدان غرناطة، فيقدرها بعضهم بأكثر من مليون كتاب أمثال الكونت سيركوز، والمستشرقة هونكة، ودى روبلس(١٦)، فى حين يقدرها البعض الآخر بثمانين ألف كتاب مثل كوندى، ولوبون(١٧)، وربما كان هذا التقدير هو الأقرب

إلى الصواب. ولقد أدان الكثيرون هذا العمل ووصفه الكاردينال (ريشيلو) بأنه " أكثر ما عرفه التاريخ فى جميع عصوره من أعمال القسوة والبربرية والجرأة والطغيان " (١٨).

ويصف أحد الباحثين الإسبان، هذه الجريمة البشعة بقوله: "أن أكبر عمل همجى وحشى وقع فى العالم بأسره منذ خلق الله الدنيا إلى الآن العمل الذى قام به الكاردينال خمنيس بإحراق الكتب الإسلامية، والذى كان سبباً فى ضياع الكثير من الكتب التى نسمع عنها ولا سبيل للعثور عليها" (١٩).

ومن الغريب أن هذا العمل الذى يشين أى مجتمع متمدن، والذى يندد به كثير من أقطاب الفكر الأوربى، يصفه بعض بين العلماء الإسبان المحدثين بأنه عمل بطولى ويشيد بنتائجه مثل سيمونت، وريبيرا(٢٠). والواقع أن هذا الأمر ما هو إلا صورة لاستمرار الحقد المسيحى على الحضارة الإسلامية فى الأندلس.

واستمرت إسپانيا النصرانية فى تعقب وإحراق ما تبقى من الكتب الإسلامية؛ ففى عام ١٥١١م فى عهد الملكة دونيا خوانا (١٥٠٤ ـ ١٥١٦ م) أصدرت مرسوماً بموجبه أُجبر الموريسكيون(٢١) أن يقدموا إلى السلطات الإسپانية كل ما فى حوزتهم من الكتب العربية فى مدة لا تتجاوز خمسين يوماً لفحصها على أن تعاد لهم كتب الفلسفة والطب والتاريخ، وأن تحرق كتب الفقه والتشريع ويعاقب من يخالف ذلك بمصادرة أملاكه(٢٢).

ومنذ هذا التاريخ أصبحت محاكم التفتيش الإسپانية تختص بحرق الكتب العربية وعقاب من توجد فى حوزته، ويلاحظ أن السلطات الإسپانية لم تكن تعيد أى كتب إلى أصحابها وخاصة بعد قيام محاكم التفتيش التى شنت حملة شعواء على كل ما هو إسلامى وعربى فى إسپانيا بقصد الإبادة والتدمير (٢٣).

وفى أغسطس ١٥٨٤م كان قائد منطقة ألتيه Altea عائداً إلى القلعة فاصطدم فى طريقه بموريسكى يحمل جوالاً من المصاحف مكتوبة بحروف مذهبة حمراء، وأنها تخص على حد قوله عمه المسمى شنقر، وهو فقيه تلك المنطقة فتم اعتقاله وقدم إلى محكمة التفتيش (٢٤).

وفى سنة ١٥٧٢م، أصدر فيليب الثانى مرسوماً بحظر استعمال اللغة العربية(٢٥) على الموريسكين وفرضت عليهم اللغة القشتالية؛ حيث "صدر قرار كنسى باعتبار اللغة العربية لغة جافة لشعب غير مؤمن حقير"(٢٦). ثم صدر القرار بطرد العرب نهائياً من الأندلس عام ١٦٠٩م (٢٧).

وهكذا لم يبق من تراث الأندلس الفكرى إلا القليل، فلقد تعمد الأسبان حرق هذا التراث ليقطعوا صلة الأندلسيين بماضيهم وتاريخهم ولغتهم، إلا أن ما تركه العرب من الآثار يكفى لتخليد اسمهم على مر العصور، ولقد جنت إسبانيا ثمرة تعصبها وحقدها على التراث الأندلسى، حيث تراجع المجتمع الإسبانى ثقافياً وحضارياً بعد انتهاء الوجود العربى الإسلامى وقيام الإسبان بحرق الكتب والمكتبات الإسلامية.

ثانياً: العوامل الداخلية :

١ - الفتن والاضطرابات الداخلية :

ساهمت الفتن الداخلية والاضطرابات التى حدثت فى الأندلس فى تدمير بعض المكتبات، ومن أهم هذه الفتن، الفتنة البربرية والحروب الأهلية التى امتدت طوال ربع قرن منذ اندلاعها عام ٣٩٩هـ / ١٠٠٨ م حتى سقوط الخلافة عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م[٢٨]. وفى صدر المائة الخامسة للهجرة أثناء هذه الفتنة قام البربر بحصار قرطبة، وأخرجت معظم محتويات المكتبة الأموية خلال الحصار " وبيع أكثرها، وأمر بإخراجها وبيعها الحاجب " واضح " وكان من موالى المنصور بن أبى عامر، ثم نهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم إياها عنوة . وهكذا تبددت محتويات المكتبة الأموية العظيمة التى تعاقب الخلفاء على إنشائها وتكوينها.

وفى أثناء هذه الفتنة أيضاً تعرضت مكتبات كثيرة للسرقة والنهب ومنها مكتبة العلامة الحافظ عمر بن عبد الله الذهلى المعروف بالزهراوى (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م)، فقد حاول أن ينجو بمكتبته من البربر إلا أنه لم يستطع أن يحقق غايته، يقول ابن بشكوال : حدثنى الزهراوى قال : "شددت فى دارى بالربض الغربى ثمانية أحمال من الكتب لإخراجها إلى مكان غيره أكثر أمناً، ولم يتم لى العزم حتى انتهبها البربر"[٢٩].

كما لم تنج المساجد وكتبها من النهب، حيث قام البربر بنهب مدناً بكاملها كالزهراء، "ونهبوا جامع الزهراء حتى قناديله ومصاحفه وصفائح أبوابه" [٣٠].

وفى عهد دول الطوائف (٤٢٢هـ / ١٠٣١م ـ ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) الذى اتسم بالتفكك والانقسام السياسى، وتعاظم النزاع الداخلى بين ملوك الدويلات وحاول كل منهم الاستيلاء على إمارة جاره، ونشبت الحروب بين الحكام المسلمين، وبسبب هذه الحروب دمُرت الكثير من المكتبات، ومن أهمها مكتبة الوزير ابن عباس (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) التى استولى عليها خصمه ملك غرناطة باديس بن حبوس.

وعندما وقع ابن عباس فى الأسر، صرح أن أَخْوَف ما يخاف عليه مكتبته، واستفسر عما حل بها ثم التفت إلى الجند الماضين به إلى باديس وقال لهم: "الله الله فى حمولتى ... قولوا لمولاكم باديس يحتاط عليها حتى لا تتخرم فإن فيها دفاتر لا كفاء لها، ولما مثل فى حضرة باديس قال متبسماً: يا أبا مناد أرأيت أى كأس أدرتها لك على هؤلاء الكلاب ويشير إلى الموالى العامريين، ثم قال : أريد أن تتقدم إلى حفظ دفاترى فإنها أهم ما على"(٣١).

وفى فترة السيادة المغربية على الأندلس والتى تتمثل فى عصر المرابطين والموحدين نهبت كثير من المكتبات، ومنها مكتبة أبى بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى (ت ٥٤٣ هـ/ ١١٤٧م) فقد انتهبت أمواله وكتبه (٣٢). وقام القاضى أبو الحكم بن حسون أمير مالقة (ت ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) بحرق كتبه عند ثورة الرعية عليه، "فقد أغار عليه المرابطون حتى ألجأه ذلك لاستدعاء جيوش الروم ولزمه المال فأضاق الرعية بما كرهوه لأجله وشرعوا فى التدبير عليه ... ولما أيقن ابن حسون بالهلكة سد على نفسه القصر وذهب إلى قتل من فى بيته من بناته غيرة عليهن، فامتنعن منه فى الغرف، واشتد الأمر فأطلق النار فى كتبه وذخيرته، فأحرقها، ثم شرب سماً " (٣٣).

كما نُهبت مكتبة أبى بكر عبد الرحمن بن أحمد بن أبى ليلى الأنصارى (ت ٥٦٦هـ / ١١٧٠ م) "وكان عدلاً خياراً عارفاً بالنقل موصوفاً بالإتقان وصحة التقييد مع السماع متصلاً منقبضاً عن الناس بضاعته حمل الآثار مع مشاركة فى الأدب وغيره، أحد الفضلاء الجلة الأثبات، وقد كتب لأبى إسحاق بن تاشفين، وامتحن معه لما نكب بإشبيلية وسلبت كتبه"(٣٤).

وتعرضت مكتبة أبى العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الصقر الخزرجى (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣ م) لأنواع الدمار والتخريب من غرق ونهب فى فتنة وقعت أيام مقامه بغرناطة، كما نهبت كتبه بمراكش، لما دخل الموحدون مراكش وانتزعوها من يد المرابطين فقد "اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى ما نسخه بخطه الرائق، وامتحن فيها مرات بضروب من الحوائج كالغرق والنهب بغرناطة، فقد استصحب إليها من مراكش خمسة أحمال، ولما فصل عنها تركها مع ما صار له فيها مدة مقامه بها، فأتى عليها النهب فى الكائنة على أهل غرناطة عند قيامهم على لمتونة بقصبتها، وما دار بينهم من القتال إلى أن تغلب أهل القصبة على أهل البلد، وتمكنوا من البلد تمكن عنوة واستباحوه استباحة قهر وفر معظم الناس عن منازلهم فكان ممن فر عن منزله عيال أبى العباس هذا، وبعض ولده الذين تركهم بها حين توجه إلى مراكش فنهب ما كان

بداره من كتب وغيرها، كذلك نهبت كتبه بمراكش حين دخلها عبد المؤمن سنة ٥٤١هـ / ١١٤٧م" (٣٥).

ومن المكتبات الخاصة التى تعرضت للنهب والسرقة: مكتبة عبد الله بن سليمان بن حوط الأنصارى (ت ٦١٢هـ / ١٢١٦ م): "فقد امتُحن بالتجول فذهبت أصوله وضاعت كتبه فى بعض أسفاره"(٣٦). ومكتبة أبى الخطاب بن دحية البلنسى (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٥ م)، وكانت لديه مكتبة، إذ إنه قد خلف معظم كتبه فى المغرب وسطا عليه لصوص البحر فى الطريق ونهبوا ما بقى له منها"(٣٧). ومحمد بن غليون بن عمر الأنصارى (ت٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢ م) "وكانت له خزانة مملوءة أصولاً عتيقة ودفاتر أنيقة ضاعت لاختلاله قبل وفاته بمدة وبيع أكثرها وهو لا يشعر" (٣٨).

هذا ولم يخل عصر بنى نصر (٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م ـ ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢م) من حوادث نهب الكتب، فقد نُهبت مكتبة أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) وكان قد نشأت بينه وبين المتغلب بمالقة من بنى أشقيلولة (٣٩) وحشة أكدتها سعاية رجل ممخرق من بنى الشعوذة فتعقبوا ابن الزبير حتى بلغ به النياحة، فرحل إلى غرناطة ودهموا منزله لحينه واستولت الأيدى على ذخائر كتبه وفوائد تقييده عن شيوخه مما سبب له حسرة بالغة (٤٠). وكذلك نهبت مكتبة ذى الوزارتين ابن الحكيم اللخمى الرندى (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨ م) يوم وفاته، فقد أفرط فى اقتناء الكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها وأثرت أنديته عن ذخائرها ويوم قتله استولت أيدى الغوغاء على ما لديه ونهبوه، وكان شيئاً كثيراً من الكتب والفرش والمتاع ما لا يعلم قدرها إلا الله (٤١).

٢ - الحرق :

ولعل الحرق من أفظع الكوارث التى حاقت بالكتب الأندلسية وأشدها هولاً، وأبلغها ضرراً فقد التهمت النيران ألوفاً لا تحصى من المجلدات، وأفنتها عن بكرة أبيها، يقول هنرى لامنس: "إنه ليس هناك بلد حفظت له تواريخ العرب من إحراق المكتبات ما حفظته للأندلس" (٤٢).

وقد وقعت كثير من حوادث حرق الكتب قضاء وقدراً ؛ وممن احترقت كتبه فأصاب العلم باحتراقها خسارة فادحة، سراج الدين عمر بن على الأنصارى الأندلسى المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ/ ١٤٠١ م)، فقد ذكر مترجموه أنه "كان أكثر اهل زمانه تصنيفاً، فقد بلغت مصنفاته نحو ثلاثمائة مصنف، وكان جمّاعة للكتب جداً، ثم احترقت غالبها قبل موته وكان ذهنه مستقيماً قبل أن تحترق كتبه، ثم تغير حاله بعد ذلك"(٤٣).

وذكر القاضى إبراهيم بن معاذ (من أهل لاردة) قال : كانت بلاردة دار وقعت فيها النار فاحترق جميع ما كان فيها، وكان لى فى جملة متاعها خزانة عليها مصحف، فاحترقت بما كان فيها مع المصحف، وإذا على الخزانة إضبارة بقيت من المصحف فيها مكتوب : كان ذلك فى الكتاب مسطوراً"(٤٤).

كما كان يتم حرق الكتب تقرباً للعامة لكسب تأييدهم ـ وخاصة الكتب الفلسفية ـ وذلك لأنها من العلوم المذمومة، يقول المقرى: " وكل العلوم لها عندهم خط واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لها حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه. فإن زل فى شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت، وبذلك تقرب المنصور لقلوبهم أول نهوضه" (٤٥). فعندما استولى المنصور بن أبى عامر على السلطة، كان فى حاجة ماسة إلى التأييد الشعبى، لكى يمحو جريمة استيلائه على السلطة. وليبعد عنه شبهة اشتغاله بالفلسفة فأمر بإخراج كتب الفلسفة من مكتبة الحكم الثانى وإحراقها، وفى ذلك يقول صاعد الأندلسى: "عندما تولى هشام بن الحكم بعد أبيه، وهو يومئذ غلام لا يحتلم بعد فتغلب على تدبير ملكه بالأندلس حاجبه ابن أبى عامر، وعمد أول تغلبه عليه إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها، وأبرز ما فيها من ضروب التأليف بمحضر خواص أهل العلم بالدين وأمرهم بإخراج ما فى جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة فى علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل حاشا كتب الطب والحساب، فلما تميزت من بيان الكتب المؤلفة فى اللغة والنحو والأشعار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباحة عند أهل الأندلس، إلا ما أفلت منها فى أثناء الكتب وذلك أقلها، أمر بإحراقها وإفسادها، فأحرق بعضها وطرح بعضها فى آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة وتميزت بضروب من التغايير، وفعل ذلك تحبباً إلى عوام الأندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم " (٤٦). وتم حرق تلك الكتب بحضور كبار العلماء والفقهاء ومنهم الأصيلى، وابن ذكوان، والزبيدى وغيرهم (٤٧)، وهكذا استطاع ابن ابى عامر أن يكسب الفقهاء والعامة إلى جانبه، وأن يوضح لهم تدينه وتقواه. بهدف أن يظل فى موقعه من السلطة.

ومن ذلك أيضاً ما فعله المنصور الموحدى (٥٨٠ هـ / ١١٨٤م ـ ٥٩٥ هـ / ١١٩٩م) حينما أمر بحرق كتب ابن رشد تقرباً للعامة ؛ ذلك أنه لما اراد الجواز إلى الأندلس لقتال الإسبان

انبرى الفقهاء له، ثم جعلوا يثبّطون الناس عن الانضمام إلى جيش سلطان يقرب إليه الفلاسفة ويشتغل بعلومهم المخالفة للدين، فاضطر المنصور إلى إرضاء الفقهاء والعامة فقام بنفى الفيلسوف ابن رشد إلى إليسانه ـ تقع بالقرب من غرناطة ومعظم أهلها من اليهود ـ ثم تقدم إلى الناس بترك هذه العلوم وأمر بإحراق كتب ابن رشد وغيره من الفلاسفة إلا ما كان فى الطب والحساب وعلم النجوم(٤٨). وأصدر منشوراً قال فيه: "إحذروا وفقكم الله ـ هذه الشرذمة على الإيمان ـ حذركم من السموم السارية فى الأبدان، ومن عثر على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التى يعذب بها أربابه وإليه يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه.." (٤٩).

كما وجدت فى الأندلس عملية إحراق الكتب والمكتبات بسبب اختلاف المذهب مما تسبب فى ضياع كثير من الكتب والمكتبات، وكان هذا نوعاً من الرقابة الفكرية من قبَل الدولة وفقهاء المالكية، حيث كان يتم إحراق الكتب المخالفة للمذهب المالكى ـ المذهب الرسمى للدولة ـ وسط احتفال وابتهاج من العامة ؛ ذلك أنه بالرغم من شغف الناس بالكتب وتقديرها إلا أن حريق المخطوطات العربية، كان من ألذ ما تتمتع به العامة، ولم يكن هذا احتقاراً للعلم ولكنه كان بسبب الحماس الزائد والحب للمبادئ العليا. ومنع انتشار مذاهب خطيرة (٥٠) تؤثر بالسلب على الوحدة الدينية للأندلس.

وقد استطاعت الأندلس تحقيق وحدتها الدينية، فقد أصبح المذهب المالكى المذهب الوحيد المعترف به رسمياً فى الأندلس، يقول المقدسى عن الأندلسيين إنهم " لا يعرفون إلا كتاب الله و موطأ مالك فإن ظهروا على حنفى أو شافعى نفوه، وإن عثروا على معتزلى أو شيعى أو نحوهما ربما قتلوه " (٥١).

وكان توحيد المذهب يمثل مصالح مشتركة بين الدولة والفقهاء المالكين ؛ فقد كانت الدولة تنتظر من الفقهاء تأييدها فى حالة ظهور خارج عن سلطانها، وكذلك كان شيوخ المالكية ينتظرون من الدولة أن تؤيدهم على أى مذهب مخالف لمذهبهم الفقهى، وكانت حجة الفقهاء فى ذلك واضحة، وهى أن الوحدة العقائدية للبلاد جزء من وحدتها السياسية، وأن أى بلبلة مذهبية يكون لها قطعاً أثر فى الوحدة السياسية واجتماع الناس على الطاعة لبيت الحكم(٥٢).

وقام الفقهاء المالكيون باضطهاد كل من يتبع مذهباً فقهياً يخالف مذهبهم، بل ويتهمونه بالزندقة كما حدث مع بقى بن مخلد (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) الذى أراد أن ينشر المذهب

الشافعي. وأحيانًا يقومون بحرق كتبه كما فعلوا مع خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الغفلة ـ وكان معاصراً لبقى بن مخلد ـ ذلك أنه لما مات خليل هذا أتى أبو مروان بن أبى عيسى وجماعة من الفقهاء فأخرجوا كتبه وأحرقوها، إلا ما كان فيها من كتب المسائل، وكان خليل مشهورا بالقدر لا يتستر به"[٥٣]. ويُستشف مما سبق أن أحداً لم يتعرض لخليل الغفلة فى حياته بأذى، ولكن بعد موته، حيث اقتحم الفقهاء بيته وأحرقوا كتبه، وتُعد تلك الواقعة الأولى من نوعها ؛ فهى أول مرة تُحرق فيها كتب على أرض الأندلس فيما وصل بين أيدينا.

ومن الذين أُحرقت كتبهم أتباع ابن مسرة، فقد تولى القاضى ابن زرب إحراق كتب ومؤلفات كل من يشك فى أنه من أتباع ابن مسرة أمام المسجد الجامع بقرطبة، وفى ذلك يقول النباهى: "اعتنى ابن زرب بطلب أصحاب ابن مسرة والكشف عنهم واستتابه من علم أنه يعتقد مذهبهم،وأظهر للناس كتاباً حسناً، ووضعه فى الرد على ابن مسرة، وقُرئ عليه وأخذ عنه. وكان سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١ م) استتاب جملة جئ بهم إليه من أتباع ابن مسرة، ثم خرج إلى جانب المسجد الجامع الشرقى، وقعد هناك فأحرق ما بين يده ما وجد عندهم من كتبه وأوضاعه وهم ينظرون إليه فى سائر الحاضرين" [٥٤].

ويبدو أن هناك تحريفًا أو تصحيفًا وقع فيه الناسخ بشأن تحديد تاريخ هذا الحادث، لأن محمد بن يبقى بن زرب لم يكن قاضياً فى تلك الفترة ؛ فقد ولى منذر بن سعيد البلوطى القضاء سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠ م وظل قاضياً حتى توفى سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م، ثم تبعه القاضى محمد بن إسحاق بن السليم منذ سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م وظل قاضياً حتى وفاته سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧ م، ثم تبعه محمد بن يبقى بن زرب المتوفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩٢ م[٥٥].

وبناء على ذلك يكون الأصح أن إحراق كتب ابن مسرة حدث فيما بين عامَىْ (٣٦٧هـ / ٩٧٧م ـ ٣٨١هـ / ٩٩٢م) وهى الفترة التى شغل فيها بن زرب القضاء وليس عام ٣٥٠هـ / ٩٦١م كما ذكر النباهى. وهذا هو الأوفق لأن ابنْ زرب كان قاضياً على عهد المنصور بن أبى عامر والذى شهد عصره اضطهاداً حقيقياً لكل من يخالف الشريعة والمذهب المالكى.

وقد أُحرقت مكتبة ابن حزم الأندلسى (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) لمخالفته مذهب الإمام مالك: فقد استُهدف من جانب الفقهاء لتأييده فى البداية للمذهب الشافعى، ثم عدل فى الآخر إلى أقوال أصحاب الظاهر، وتعصب له مما ألب عليه الفقهاء وحذروا سلاطينهم وعوامهم من فتنته فأبعدوه عن البلاد حتى انتهى به المطاف إلى بلده لبله، وظل يدرس للطلبة ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف، حتى بلغت مصنفاته فى فنون

العلوم وقر بعير، وتم إحراق كتبه فى إشبيلية بأمر من المعتمد بن عباد ومُزقت علانية، وفى ذلك يقول ابن حزم معزياً نفسه ومندداً بالإحراق:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى   تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى   وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى
دعونى من إحراق رق وكاغد   وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
وإلا فعودوا فى المكاتب بدأه   فكم دون ما تبغون لله من ستر(٥٦).

ويبدو أن الفقيه المالكى أبا الوليد الباجى كان سبباً مباشراً فى حرق كتب ابن حزم ؛ فابن سعيد يذكر أن الباجى ناظَر ابن حزم بميورقة(٥٧)، ففل من غربه (أى نال منه وظهر عليه) وكان سبباً لإحراق كتبه"(٥٨).

ومن أسباب حرق كتب ابن حزم أيضًا، غضب الأمراء منه حيث كان يدو ن ما لا يبغون ويكتب بعباراته ما يراه ولا يخشى فى ذلك لومة لائم ويسجل فضائحهم، فهو يذكر فى نقط العروس: " أخلوقة لم يقع فى الدهر مثلها ظهر رجل حصرى بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام المؤيد، وادعى أنه هو، وخطب له على جميع منابر الأندلس وسُفكت الدماء وتصادمت الجيوش فى أمره " (٥٩).

كذلك قام المرابطون بتتبع كتب أبى حامد الغزالى وإحراقها ولا سيما كتاب (إحياء علوم الدين) لاشتماله على كثير من المسائل الكلامية، وكراهية المالكية لهذه العلوم، ومن ثَم طالبوا ولى الأمر بمصادرة كتبه، وقد استجاب لهم وأمر بإحراقها، غير أنه بجانب هذا السبب الظاهر للإحراق كانت هناك أسباب خفية تتعلق بهؤلاء العلماء الذين طالبوا بإحراق كتب الغزالى، ومن ذلك ما وجدوه فى كتاب الإحياء من هجوم على علماء الفروع الذين يتخذون من العلم والدين مطية لتحقيق أطماع دنيوية (٦٠). فقد أمر على بن يوسف بن تاشفين عام ٥٠٢هـ / ١١٠٩ م بإجماع قاضى قرطبة ابن حمدين وفقهائها على حرق كتاب الإحياء، فأحرق على الباب الغربى من رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتاً بمحضر جماعة من أعيان الناس، ووجه كتبه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه " (٦١).

وقد استمرت الدولة المرابطية فى مصادرة كتب الغزالى وحرقها طيلة عهدها، فقد جاء فى الرسالة التى وجهها تاشفين بن على بن تاشفين إلى أهل بلنسية سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٣م ما نصه " ومتى عثرتم على كتاب بدعة وخاصة ـ وفقكم الله ـ كتب أبى حامد الغزالى فليتتبع

أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها ويبحث عنها وتغلظ الإيمان على من يتهم بكتمانها" (٦٢). إلا أن عملية إحراق كتب الغزالى وجدت معارضة واستنكاراً من بعض العلماء وقالوا ببطلانها ؛ فقد أفتى على بن محمد بن عبد الله الجزامى (من أهل المرية) " بتأديب محرقها وتضمينه قيمتها لأنها مال مسلم" (٦٣).

وفى العصر الموحدى دارت الدائرة على مذهب مالك، فقد تعرض المذهب المالكى لمحاولة القضاء عليه من جانب الموحدين، الذين أدركوا أن الفتاوى الشرعية التى تصدر عن فقهاء الأندلس لا تعتمد على القرآن والسنّة مباشرة، وإنما تعتمد على مذهب الإمام مالك فحسب، مما أدى إلى منع دراسة كتب الفقه المالكى،وفيما بعد أمروا بإحراق كل ما وجدوه منها، وذلك بهدف محو مذهب مالك وإزالته.

فقد أمر أبو يعقوب بن يوسف (٥٨٠هـ / ١١٨٤ م ـ ٥٩٥هـ / ١١٩٩م) بإحراق كتب المذهب المالكى، فأحرق منها جملة فى سائر البلاد كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبى زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبرادعى، وواضحة بن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها، وكانت يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويُطلق فيها النار " (٦٤).

ومن الذين أحرقت كتبهم ابن الأبار البلنسى (ت ٦٨٥ هـ /١٢٨٦ م) نكاية فيه من خصومه ـ ومنهم الغسانى ـ فقد روى الزركشى عن سبب نكبته "أنه جرى يوماً فى مجلس المنتصر حاكم تونس، ذكر الواثق ابن الخليفة فلما كان من الغد أتى ببطاقة يعرف بها ساعة المولود والطالع فلما وقف المنتصر عليها، قال هذا فضول ودخول فيما لا يعنيه من أمورنا، وأمر الغسانى وهو من خصومه بجمع كتبه وتقاييده من بيته فوجد فى تقاييده أبياتاً منها :

طغى بتونس خلف سموه ظلماً خليفة

فلما أطلع عليها السلطان أمر بضربه مرشوماً بالرماح وأُخذت كتبه وتقاييده، وأُحرقت فى موضع قتله وكانت نحو خمسة و أربعين تأليفاً " (٦٥).

كما أُحرقت كتب ابن الخطيب الغرناطى (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤ م) حيث اتهم بالزندقة والخروج عن الشريعة وتولى صوغ الاتهام عدو ابن الخطيب (القاضى أبو الحسن النباهى)، والذى أفتى بوجوب حرق كتبه والتى هى موضوع الشبه والاتهام، وتم إحراقها بالفعل بحضرة غرناطة عام ٧٣٢هـ / ١٣٣٢ م " بمحضر من العلماء والفقهاء لما تضمنه الكتب المذكورة من المقالات التى أوجبت ذلك عندهم وحققته لديهم" (٦٦).

وهكذا يتضح أنه على الرغم من اتخاذ مذهب مالك مذهباً وحيداً فى الأندلس، وفر على الأندلسيين متاعب الصراع المذهبى وجنبها التمزق الفكرى الذى أصاب بلاد المشرق، إلا أن ازدياد نفوذ رجال الفقه المالكى، بحيث صاروا يتدخلون فى شئون الدولة والحكم بصورة كبيرة، مما جعلهم يقومون بحرق الكتب التى تخالف هذا المذهب، وكذلك حرق كتب الفلسفة والفلك التى يعترضون عليها مما كان سبباً فى خسارة علمية فادحة.

٣ - الغرق :

وكذلك ابتُليت المكتبات الأندلسية بالغرق , ومن هذه المكتبات على سبيل المثال مكتبة أبى موسى عبد الرحمن بن موسى الهوارى من أهل أستجه (٦٧) "فإنه لما صدر من سفره عطب ببحر (تدمير) (٦٨) فذهبت كتبه، وقصده الشيوخ يهنئونه بقدومه ويعزونه عن ذهاب كتبه فقال لهم : ذهب الخرج، وبقى الدرج (يعنى ما فى صدره) أنا شعبى زمانى فليسألنى من شاء " (٦٩)، والشىء نفسه حدث مع أبى يحيى أفلح (ت ٣٥٨هـ / ٩٦٩م) من موالى الخليفة الناصر، من أهل قرطبة، والذى " ذهبت كتبه فى البحر " (٧٠).

ومما حكاه ياقوت الحموى فى ترجمة أبى العلاء صاعد بن الحسين البغدادى (ت ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) "أنه دخل الأندلس، واتصل بالمنصور بن أبى عامر فأكرمه واستوزره، ألف للمنصور كتاب سماه (الفصوص) على نحو كتاب النوادر لأبى على القالى، واتفق لهذا الكتاب حادثة غريبة وهى أن أبا العلاء لما أتمه دفعه لغلام له يحمله بين يديه عبر نهر قرطبة فزلت قدم الغلام فسقط فى النهر هو والكتاب، فقال فى ذلك ابن العريف وكان بينه وبين أبى العلاء شحناء ومناظرات :

قد غاص فى البحر كتاب الفصوص   وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون ولم يرع ذلك صاعداً وقال : على البديهة مجيباً لابن العريف.

عاد إلى معدنه إنما   توجد فى قعر البحار الفصوص" (٧١).

ويذكر ابن بشكوال أن السبب فى إغراق كتاب الفصوص، هو "أن صاعد البغدادى كان يُتهم بالكذب فرفض الناس كتابه، ولما تبين المنصور بن أبى عامر كذبه فى قوله وعدم تثبته رماه فى النهر لأنه قيل له إن جميع ما فيه لا صحة له" (٧٢).

ومن الكتب التى غرقت أيضاً مصحف عثمان الشهير "الذى كان فى منبر جامع قرطبة، ونُقل سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧ م من قرطبة إلى مراكش فى عهد أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على، وظل المصحف بيد السلاطين يعتنون به ويحملونه فى أسفارهم متبركين به حتى أصبح فى حوزة السعيد بن على بن يعقوب الملقب بالمعتضد بالله، وبعد قتل السعيد سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٧م قريباً من تلمسان نُهب المصحف، فعثر عليه ملوك عبد الواد أصحاب تلمسان، وحرصوا عليه كل الحرص فى خزائنهم ولبثوا محتفظين به ريثما افتتح أفريقيا السلطان أبو الحسن المرينى، فاستولى حينذاك على المصحف وحمله معه تبركاً فى رحلاته وفتوحاته، واتفق أنه عندما عاد بحراً من تونس إلى المغرب سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م حدث فى البحر هيجان عظيم أغرق المراكب بما فيها من نفوس وما فيها من نفائس يعز وجود نظيرها، وأخصها وأثمنها مصحف الخليفة عثمان فكان ذلك آخر العهد به " (٧٣) .

٤ - انتقال الكتب إلى المغرب :

انتقل إلى شمال أفريقية وإلى المغرب خاصة كثير من الكتب والمكتبات الأندلسية على امتداد عصوره، فقد جاء بعض المغاربة إلى الأندلس لتلقى العلم، وعادوا معهم الكثير من الكتب مثل يصلتن بن داود الأغماتى (ت ٣٧١ هـ / ٩٨١ م) "الذى قدم إلى قرطبة طالباً وجمع كتباً عظيمة وخرج منصرفاً إلى بلده"(٧٤)، وصنع مثله محمد بن عبد الحق بن سليمان أبو عبد الله الكرمى التلمسانى (ت ٦٢٥ هـ/١٢٢٨م)(٧٥).

وفى مطلع القرن الخامس الهجرى أثناء فتنة البربر هرب كثير من العلماء الأندلسيين مصطحبين معهم كتبهم ومؤلفاتهم، ونزل أكثرهم مدينة فاس، كما هاجر عدد كبير إلى المغرب والمشرق فى أعقاب حرب الاسترداد المسيحية(٧٦).

وفى عصر السيادة المغربية على الأندلس انتقل كثير من التراث الأندلسى إلى المغرب، فمكتبة عائلة ابن ملجوم المغربى - وأصلها من شرق الأندلس - كانت تحتوى على مخطوطات قيمة ونادرة جمعها صاحبها فى الأندلس (٧٧).

وقد حاول بعض ملوك المغرب استرداد الكتب العربية التى استولى عليها الإسبان أثناء الزحف المسيحى وسقوط المدن الأندلسية، فقد تمكن السلطان يعقوب المنصور المرينى(٧٨) سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٥ م من استرداد بعض الكتب العربية عقب انتصاره على الإسبان وطلبهم الصلح ؛ فقد أراد شانجة الرابع ملك قشتالة أن يقدم هدية للمنصور فطلب منه الكتب العربية

التى استولى عليها النصارى من القواعد الأندلسية، فأرسل إليه ثلاثة عشر حملاً منها، وارسلها السلطان المنصور إلى فاس فكانت نواة المكتبة السلطانية(٧٩). وهذا يعكس حرص الملوك المسلمين على التراث العربى الإسلامى والمحافظة عليه، والعمل على استرداده من النصارى.

كما ذهبت كثير من الكتب الأندلسية إلى شمال أفريقيا والمغرب، وخاصة بعد سقوط غرناطة حيث تسربت كثير من المخطوطات الأندلسية التى نجت من الحرق والتدمير إلى المغرب مع من هاجر إليه من أبناء الأمة المغلوبة، واستقروا فى عدد من مدنه مثل: تطوان، مراكش، وفاس وقد حمل كثير منهم كتباً ومخطوطات لا تزال موجودة فى الخزانة الملكية وغيرها من الخزانات(٨٠).

وخلاصة القول أن أعداء الإسلام من النصارى الإسبان، إلى جانب الفتن الداخلية وحوادث الحرق والغرق أهلكت جانباً كبيراً من الكتب والمكتبات الأندلسية، وكانت الكتب الأسعد حظاً هى التى انتقلت إلى بلاد المغرب العربى أو ما تم الاحتفاظ به فى المكتبات الإسبانية.

مصير المجموعات الباقية :

على الرغم مما تقدم ذكره من مصائب ومحن ورزايا مُنيت بها المكتبات الأندلسية، فقد نجا بعضها من هذه المحن ويتمثل هذا فى المكتبات التى تتوزع بين أوروبا والمغرب العربى، كما توجد أعداد ضخمة من الكتب الأندلسية فى مكتبات إسبانيا ومن أهمها:

١- مكتبة الأسكوريال :

انتهى الوجود العربى السياسى مع إبرام معاهدة تسليم غرناطة إلا أن الوجود الحضارى لم ينته بعد، إذ نجده متمثلاً فى العمارة والفنون والآثار التى تركها العرب بالإضافة إلى ما خلفه العرب من تراث فكرى، والذى يعد ثروة ينبغى العناية بها والمحافظة عليها؛ وتعد أكبر مجموعة كتب عربية فى إسبانيا تلك التى توجد فى مكتبة الأسكوريال(٨١). والمكتبة تقع فى الجناح الأيمن من مبنى الأسكوريال وتضم بهواً شاسعاً ضخماً تعرض فيه طائفة المخطوطات النفيسة النادرة التى تحتويها المكتبة، ومنها نسخة أندلسية ملوكية من القرآن الكريم زينت صفحاتها بنقوش ذهبية رائعة(٨٢).

وتضم المكتبة فى القسم العربى نحو ألفىْ مخطوط عربى بعضها غاية فى النفاسة، وهذه المجموعة العربية هى البقية الباقية من مجموعة أكبر منها ترجع إلى أصلين :

أ- بقايا المكتبات الأندلسية :

التى سلمت من الحروب والتلف الذى أصاب الكتب العربية بعد سقوط غرناطة عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م آخر الحواضر الإسلامية على يد الكاردينال خمنيس، والتى بلغت حسب بعض التقديرات مليون مخطوط عربى، هذا عدا ما كان محفوظاً فى غيرها من المدن الإسلامية الأخرى التى اقتحمها الإسبان فى هذا الوقت من وادى أشى ومالقة والمرية ورندة وغيرها؛ فضلاً عما جمعه الإسبان من الموريسكيين فى ظل محاكم التفتيش وفى عهد فيليب الثانى جُمعت كل تلك المكتبات والمجموعات الخاصة وحُملت لتودع فى المكتبة الملكية فى الأسكوريال لاكتراث عقلى ينتفع به، ولكن كغنيمة من غنائم النصر الإسپانى (٨٣).

ب- الاستيلاء على خزانة السلطان مولاى زيدان السعدى عام ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م :

فقد كانت هذه الخزانة تحتوى على كثير من المخطوطات الأندلسية التى انتقلت إلى المغرب عقب سقوط غرناطة، وعندما وقع خلاف بين مولاى زيدان سلطان المغرب (١٠١٢ هـ - ١٠٣٧ هـ) وبين إخوته، اضطر إلى مغادرة مراكش إلى إقليم (سوس) فى جنوب المغرب، فاستأجر سفينة فرنسية تحمله هو وأهل بيته وكتبه، ولما وصلت السفينة وقع خلاف على الأجرة المستحقة، فما كان من ربان السفينة إلا أن هرب بالسفينة وما تحتويه إلى عرض البحر، فاعترضه القراصنة الإسبان واختطفوا السفينة وصناديق الكتب ظناً منهم أنها مملوءة بالذهب، ولما فتحوها لم يجدوا بها إلا الكتب التى بلغت ثلاثة آلاف مجلد، وقدموها هدية إلى الملك فيليب الثالث (١٥٩٨م - ١٦٢١ م) الذى أمر أن توضع فى مكتبة الأسكوريال. وهكذا زادت المجموعات العربية فى مكتبة الأسكوريال حتى بلغت نحو عشرة آلاف مخطوط معظمها من التراث الأندلسى (٨٤).

وفى عام ١٦٧١، أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس الفكرى محنة جديدة، فقد وقع حريق بمبنى الأسكوريال وامتد إلى المكتبة، وأتت النار على معظم المخطوطات العربية ولم يبق منها سوى ألفى مخطوط ومازالت المكتبة تحتفظ بها إلى الآن (٨٥).

وقد حاول ملوك المغرب استعادة هذه الكتب، وبذلوا فى سبيل استردادها غير محاولة رسمية إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل (٨٦).

وكانت الحكومة الإسبانية تحرص كل الحرص على إخفاء الآثار العربية عن نظر كل باحث ومتطلع كأنما كانت تخشى أن تتسرب روح التفكير الإسلامى إلى تفكير إسبانيا النصرانية، وكان الكتاب الإسبان يعالجون تاريخ إسبانيا إبان الحكم العربى الإسلامى من خلال المصادر النصرانية فقط(٨٧).

ولم تفكر الحكومة الإسبانية فى تنظيم تراث الأندلس والتعريف به قبل عام ١٧٤٩ م عندما انتدبت العالم اللبنانى ميخائيل الغزيرى Casiri ت١٧٩١ م فكان أول من يدرس محتويات القسم العربى ووضع لها فهرساً باللغة اللاتينية ونُشر بين سنتىْ ١٧٦٠ ـ ١٧٧٠ م بعنوان: المكتبة العربية الإسبانية فى الأسكوريال: Bibliotheca Arabico Hispana Es-curialensis (٨٨).

والمحاولة الثانية قام بها المستشرق الفرنسى هارتفج درنبورج بتكليف من وزارة المعارف الفرنسية بدراسة هذه المجموعة العربية، وصدر عمله فى جزأين بين عامىْ (١٨٨٤م ـ ١٩٠٣ م) بعنوان: المخطوطات العربية فى الأسكوريال: les Manuscripts Arabes de la Escurial وتمكن درنبورج من العثور على مائة مخطوط عربى أخرى، لم يذكرها الغزيرى، وتُوفى درنبورج سنة ١٩٠٥ م ولم يكمل عمله، وقام بإتمام هذا العمل مستشرقان فرنسيان، الأول : ليفى بروفنسال الذى أصدر الجزء الثالث فى باريس عام ١٩٢٨ م، والثانى المستشرق رينو، الذى أصدر الجزء الرابع سنة ١٩٤١ م (٨٩).

وحديثاً قام الإسبانى خوستيل بدراسة المخطوطات العربية فى مكتبة الأسكوريال وصدر هذا العمل فى طبعته الثانية سنة ١٩٨٧م بعنوان : مكتبة الأسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية La Real Bibliotheca De el Escorial sus Manscritos Arabes. (٩٠) هذا وتوجد الكثير من المخطوطات العربية فى عديد من المكتبات الإسبانية الأخرى، مثل :

١- المكتبة الوطنية بمدريد.

٢- مكتبة أكاديمية التاريخ الوطنية : وتضم مجموعتين: الأولى مجموعة كوديرا، والثانية مجموعة جونيجس.

٣- مكتبة دير ساكرمونتى بغرناطة. وقد قام (أسين بلاثيوس) بإصدار فهرس لها(٩١).

٤- مكتبة جونا أو غوتا (لا خوانتا: La Junta) وهى اختصار لجمعية التوسع فى الدراسات، وقد أُلحقت بمكتبة مدرسة الأبحاث العربية بمدريد وغرناطة فى مدريد(٩٢).

هوامش الفصل الخامس

(١) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) أحمد شلبى . موسوعة التاريخ الإسلامى ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٣) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ـ السفر الأول ، ق ١ ، ص ١٥٩ .

(٤) عائشة عبد الرحمن . تراثنا بين ماض وحاضر ، ص ٢٧ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم . فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٩٠.

(٦) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٨٨ ؛ الضبى . بغية الملتمس ، ص ٣٤٣ .

(٧) عادل بشتاوى . الأندلسيون المواركة ، ص ٢١١ .

(٨) محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع ٢ ، ق ١ ، ص ١٤١ .

(٩) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية ـ (١) ، ص ٩٦ ؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع ٢ ، ق ١ ، ص ٣١٤ .

(١٠) Sibai. Mosque Libraries, p. 55.

(١١) ابن القاضى . جذوة الاقتباس ، ق ١ ، ص ١٤٢.

(١٢) النباهى . تاريخ القضاة فى الأندلس ، ص ١١٨ .

(١٣) فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية فى الخافقين ، مج ١ ، ص ٢٣٨ .

(١٤) محمد عبد الله عنان . نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستتصرين . ـ ط ٢ . ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م ، ص ٢٤٥ ؛ شاك ؛ فون . الفن العربى فى إسبانيا وصقلية / ترجمة الطاهر احمد مكى . ـ ط ٢ ـ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٥ ، ص ١٢٤ ؛ محمد ماهر حمادة . الوثائق السياسية والإدارية ، ص ٥٢٩ .

(١٥) محمد عبد الله عنان . نهاية الأندلس ، ص ٢١٦ ؛ محمد عبد الله عنان . الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٢٤٦ ؛ شاك، فون . الفن العربى فى إسبانيا وصقلية ، ص ١٢٦ ؛

Mackensen . Moslem Libraries , p . 83 , 84 ; Sibai . Mosque Libraries , p . 118 .

(١٦) محمد عبد الله عنان . نهاية الأندلس ، ص ٣١٦ ؛ هونكة. شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٣٥ ؛ أسعد حومد . محنة العرب فى الاندلس . ـ ط ٢ . ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٨٨ م ، ص ٢٧٧.

(١٧) محمد عبد الله عنان. مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام. ـ ط ٢ . ـ القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤، ص٢٠٥ ؛ لوبون . حضارة العرب ، ص ٢٩٤ .

(١٨) أسعد حومد . محنة العرب فى الأندلس ، ص ١ .

(١٩) الخزانة الملكية فى المغرب . ـ مجلة الأمة . س ٢ ، ع ٢ . (أغسطس، ١٩٨٢) ، ص ٥٨ .

(٢٠) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية - (٢) ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ؛ محمد عبد الله عنان . الآثار الأندلسية ، ص ٢٤٧ .

(٢١) الموريسيكيون : Los Morscos أو المدجنون اسم يُطلق على جميع من بقى فى الأندلس من المسلمين بعد سقوط غرناطة وهو صفة من لفظ Moro الذى يطلق على مسلمى المغرب والأندلس ، وأصل هذا الأخير اللاتينى Mauri , Maurus ويعنى سكان جبال المغرب وبهم سمى الإقليم موريتانيا Mauretania (انظر : بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٥٠٧).

(٢٢) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية - (٢) ، ص ٩٩ ؛ حسين يوسف دويدار . المسلمون المدجنون فى الأندلس . ـ القاهرة : مطبعة الحسين ، ١٩٩٣ م ، ص ٣٨ .

(٢٣) حسين يوسف دويدار ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٢٤) ريبيرا . المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٢٥) وقد أدى هذا المرسوم بالموريسكيين إلى استخدام لغة خاصة بهم تُسمى (الخيمادو) وهى كتابة اللغة الرومانية القشتالية بحروف عربية، وهى تحريف إسبانى لكلمة الأعجمية Aljamiado وظلوا يستعملونها حتى تم طردهم من الأندلس نهائياً .
(انظر: حسين يوسف دويدار . المرجع السابق ، ص ٥٠).

(٢٦) دوزى . المسلمون فى الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ ؛ محمد عبد الله عنان . الآثار الأندلسية ، ص ١٤٧ .

(٢٧) عادل بشتاوى . الأندلسيون المواركة ، ص ١٨٣ ؛ حسين يوسف دويدار . المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٢٨) أحمد فكرى . قرطبة فى العصر الإسلامى ، ص ١٢١ _ ١٢٩ .

(٢٩) ابن خلدون . العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ ؛ المقرى . نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، جـ ١ ، ص ٣٨٦ ؛ دوزى . المسلمون فى الأندلس ، جـ ٢ ، ص١٨٣ Mackensen . Moslem Libraries , p . 110 111; Pinto , Olga . The Libraries Of Arabes during the time of the Abbaside, p . 238 , 239

(٣٠) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٤٠٠ ؛ الذهبى . تذكرة الحفاظ ، مج ٢ ، جـ ٣ ، ص ١١٢٧ .

(٣١) ابن عذارى المراكشى .البيان المغرب ، جـ ٣ ، ٩٥ ؛ أحمد فكرى . قرطبة فى العصر الإسلامى ص ١٢٢ .

(٣٢) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، مج ٢ ، ص ٦٦٧ ؛ دوزى . المسلمون فى الأندلس ، جـ ٣ ، ص ٢٨ ؛ دوزى . ملوك الطوائف ، ص ٥٩ .

(٣٣) ابن بشكوال. الصلة ، ص ٥٩٠ ؛ محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) ، ق ١ ، ص ٤٥٦.

(٣٤) ابن الخطيب . أعمال الإعلام ، ص ٢٥٥ .

(٣٥) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٢٨ .

(٣٦) ابن عبد الملك المراكشى . الذيل والتكملة ، السفر الأول ، ق ١ ، ص ٢٢٩ ؛ ابن فرحون . الديباج المذهب ، مج ١ ، ص ٢١٣؛ محمد المنونى . العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٨٦ .

(٣٧) ابن الأبار . التكملة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨ ؛ ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ١٩٥ .

(٣٨) بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢٨٤ .

(٣٩) ابن الأبار . المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب فى إسپانيا الإسلامية - (٢). ص٨٩ ؛ شكيب ارسلان . الحلل السندسية ، مج ٣ ، ص ٤٩١ ، ٤٩٢ .

(٤٠) فقد استولى محمد بن يوسف بن نصر ، أول ملوك بنى نصر (٦٣٥ هـ - ٦٧١ هـ) على مالقة ، وندب صهره أبا محمد بن أشقيلولة لحكمها ، وظل ابو محمد يحكم مالقة حتى توفى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧ م فتملكها أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه (٦٧١هـ - ٧٠١ هـ) .

(انظر : السيد عبد العزيز سالم . فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص ١٢٩) .

(٤١) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ١٩٠ - ١٩٣ .

(٤٢) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٤٧٤ ، ابن حجر العسقلانى . الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٤٩٥ ؛ المقرى . نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، جـ ٢ ، ص ٦١٨ ، فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية ، مج ٢ ، ص ٧٣٩ .

(٤٣) فيليب دى طرازى . المرجع السابق ، مج ٣ ، ص ٩٨٤ .

(٤٤) ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤٥) ابن الأبار . التكملة ، جـ ١ ، ص ١١٧ .

(٤٦) المقرى . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢٢١ .

(٤٧) صاعد الأندلسى . طبقات الأمم ، ص ٦٦ ؛ بروفنسال . الحضارة العربية فى إسپانيا ، ص ٩١ ، ٩٢؛ .Mackensen . Moslem Libraries, p110

(٤٨) ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ؛ دوزى . المسلمون فى الأندلس ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ .

(٤٩) عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٣٠٦ ؛ ابن ابى أصيبعة. عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ص ٥٢٣ ؛ ديورانت . قصة الحضارة ، جـ ١٣ ، ص ٢٧٥ ؛ عمر فروخ . تاريخ الأدب العربى ، جـ ٥ ، ص ٢٧٠ .

(٥٠) محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع ٢ ، ق ٢ ، ص ٢٧٧ ؛ محمد ماهر حماده . الوثاق السياسية ، ص ٤١١ .

(٥١) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب فى إسپانيا الإسلامية - (٢) ، ص ٩٤ ؛ فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية ، مج ٣ ، ٣٨٤ .

(٥٢) المقدسى . أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ٢٣٦ .

(٥٣) حسين مؤنس. شيوخ العصر فى الأندلس ، ص ٥٢ .

(٥٤) ابن الفرضى. تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، بالنثيا . تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٣٢٥ ؛ بروفنسال . الحضارة العربية فى إسپانيا ، ص ١٦٧ .

(٥٥) انظر : الخشنى القروى. قضاة قرطبة . ـ القاهرة :الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م . ـ ص ١١٢٠ النباهى. المصدر السابق ، ص ٧٥ ـ ٧٩ .

(٥٦) ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، مج ١ ، ص ١٦٧ ـ ١٧١ ؛ ابن الخطيب . الإحاطة فى اخبار غرناطة ، جـ ٤ ، ص ١١١ ـ ١١٥ ؛ الذهبى . تذكرة الحفاظ ، مج ٢ ، ص ١١٤٦ ، ١١٤٧ ؛ المقرى . نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٥٧) ميورقة : جزيرة فى شرقى الأندلس (انظر : ياقوت الحموى . معجم البلدان ، مج ٥ ، ص ٢٤٦).

(٥٨) ابن سعيد. المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ ؛ ابن بسام . الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، ق ٢، مجا ، ص ٩٦ .

(٥٩) ابن حزم . نقط العروس فى تواريخ الخلفاء / تحقيق شوقى ضيف . ـ مجلة كلية الأداب . ـ جامعة القاهرة (ديسمبر ، ١٩٥١) . ـ مج ١٣ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ .

(٦٠) محمد عبد الله عنان . دولة الإسلام فى الأندلس ، ع ٣ ، ق ١ ، ص ٧٩ ؛ حسن على حسن . الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ٤٥٢.

(٦١) عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ١٧٣ ؛ ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب ، جـ ٤ ، ص ٥٩ .

(٦٢) حسين مؤنس . نصوص سياسية عن فترة الانتقال بين المرابطين والموحدين . ـ مجلة المعهد المصرى بمدريد ، مج١، ع ١ (١٩٥٥م) ، ص ١١٢ ، ١١٣ ؛ محمد ماهر حمادة . الوثائق السياسية ، ص ٢٢٧ .

(٦٣) ابن الأبار . المعجم فى أصحاب القاضى الإمام أبى على الصدفى ، ص ٢٨٤ .

(٦٤) عبد الواحد المراكشى . المعجب ، ص ٤٠٠ ؛ ريبيرا .التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ٣٠ .

(٦٥) ابن الأحمر . كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة / تحقيق محمد التركى التونسى ؛ مراجعة محمد بن تاويت التطوانى . ـ تطوان : منشورات جامعة محمد الخامس ، ١٩٦٤ ، ص ٨٧ ؛ المقرى . أزهار الرياض فى اخبار القاضى عياض ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ؛ المقرى . نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، جـ ٢ ، ص ٥٩٠ ، ٥٩١ .

(٦٦) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ص ٣٦ ؛ النباهى . تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢٠٢ .

(٦٧) أستجه : اسم لكورة بالأندلس على نهر غرناطة وبينها وبين قرطبة عشرة فراسخ وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة (انظر : ياقوت الحموى . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٠٧).

(٦٨) تدمير : كورة بالأندلس تتصل بأجوار كورة جيان وهى شرقى قرطبة (انظر : ياقوت الحموى .المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢).

(٦٩) الزبيدى. طبقات النحويين ، ص ٢٥٣ ؛ ابن الفرضى. تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ؛ عياض . ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ .

(٧٠) ابن الفرضى . المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨٣ .

(٧١) ياقوت الحموى . معجم الأدباء ، جـ ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٧٢) ابن بشكوال . الصلة ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ حاجى خليفة . كشف الظنون ، مج ٢ ، ص ١٢٦١ .

(٧٣) الإدريسى . نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ص ٢١٠ ؛ المقرى . نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، جـ ١ ، ص ٦٠٦ ؛ فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية ، مج ٣ ، ص ١٠٢٩ .

(٧٤) ابن الفرضى . تاريخ علماء الأندلس ، جـ٢ ، ص ٢١٠ .

(٧٥) ريبيرا . المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية - (٢) ، ص ٩٣ .

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٧٧) حامد الشافعى دياب. الكتب والمكتبات فى الأندلس. ص ١٤٢،١٤١.

(٧٨) يرجع الفضل فى نشأة دولة بنى مرين إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى (٦٥٦ هـ - ٦٨٥ هـ) حيث قام بتوحيد المغرب، ثم امتدت جهوده إلى مساعدة أهل الأندلس وألحق بالإسبان هزائم متعددة إلا أن بنى الأحمر كانوا يخافون على ملكهم من المرينيين فكانوا فى أكثر الأحيان يمالئون الملك النصرانى على السلطان المسلم .

(انظر : عمر فروخ . تاريخ الأدب العربى ، جـ ٦ ، ص ٣١).

(٧٩) ريبيرا . التربية الإسلامية فى الأندلس ، ص ٢٠٢ ؛ محمد عبد الله عنان . نهاية الأندلس ، ص ١٠٦ ؛ عمر فروخ. تاريخ الأدب العربى ، جـ ٦ ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٨٠) محمد عبد الله عنان . أندلسيات ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ؛ الخزانة الملكية فى المغرب ، ص ٥٦ ؛

Carrion , Manual . Spain Libraries in , p . 330 , 331 .

(٨١) ويعتبر الأسكوريال من أعظم الصروح الملكية فى أوروبا فهو يضم ديراً وكنيسة وقصراً ومكتبة ومدفناً ملكياً، ويقع بالقرب من مدريد فى وادٍ عميق تحف به الجبال ، ويشغل هذا البناء بضعة أفدنه ، وله خمسة عشر مدخلاً ، وبه سبعة أبراج وحوالى اثنى عشر ألف نافذة وباب ، وقد شيده الملك فيليب الثانى سنة ١٥٥٧ م تخليداً لذكرى انتصاره على الفرنسيين فى موقعة (سان كنتيان) وتنويهًا بذكرى القديس " لورنزو " الذى استمد منه العون والنصر فى تلك الموقعة.

انظر : عبد الحميد العبادى. صور وبحوث من التاريخ الإسلامى ، ص ٢٠٥ ؛ محمد عبد الوهاب الغسانى . رحلة الوزير فى افتكاك الأسير، ص ٩٥؛ حسن محمد جوهر ، مصطفى حسن شر . إسبانيا فردوس العرب المفقود .- القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٦ م ؛ ص ١١٢ ؛ محمد عبد الله عنان . الآثار الأندلسية ، ص ٣٤٨.

(٨٢) محمد عبد الله عنان . المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ؛ عبد الحميد العبادى . صور وبحوث من التاريخ الإسلامى ، ص ٢٠٦ .

(٨٤) محمد الغسانى. رحلة الوزير فى افتكاك الأسير ، ص ٧ ؛ محمد عبد الله عنان . نهاية الأندلس ، ص ٣٩٢؛ شكيب أرسلان . الحلل السندسية ، ص ٣٥٨ ؛ عبد الله الطباع . القطوف الدانية من ثمار جنة الأندلس ، ص ٢٥٦.

وهذا الاختطاف أدى إلى خلق مشكل دبلوماسى بين ست دول، هى " المغرب ، إسبانيا ، فرنسا ، والبرتغال ، هولندا، والدولة العثمانية " ولم يكن حلها بالشىء اليسير .(انظر : أحمد شوقى بنبين . دراسات فى علم المخطوطات ، ص ١٠٠ ، ١٠١).

(٨٥) محمد الغسانى . المرجع السابق ، ص ٩٩ ؛ محمد عبد الله عنان . الآثار الأندلسية ، ص ٣٤٩ ؛ فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية ، مج ١ ، ص ٤٢٣.

(٨٦) وكانت أول تلك المحاولات عام ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م حيث أرسل مولاى إسماعيل الوزير محمد بن عبد الوهاب الغسانى إلى كارلوس الثانى ملك إسبانيا للاتفاق على تبادل الأسرى والعمل على استرداد الكتب العربية، فزعم الإسبان أن الحريق الذى وقع عام ١٦٧١م أتى على سائر الكتب العربية وأخفوا عنه حقيقة ما تبقى .

- وفى سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٦م بعث مولاى محمد بن عبد الله ملك المغرب كاتبه أحمد بن المهدى بسفارة مماثلة إلى كارلوس الثالث ملك إسبانيا ، واستطاع السفير المغربى أن يصل إلى اتفاق بموجبه حصل على حوالى ٣٠٠ كتاب جمعت له من مدريد وغرناطة .

- وفى محاولة أخرى مع كارلوس الثالث لاستعادة المخطوطات العربية بمكتبة الأسكوريال اعتذر لأنها تخص البابا وصارت وقفاً على الدير .

(انظر : محمد عبد القادر أحمد . المخطوطات العربية فى المغرب . - مجلة المورد ، ع ١ ، مج ١ (١٩٧٩)، ص١١٤؛ محمد عبد الله عنان . أندلسيات ، ص ١٧١ ؛ الخزانة الملكية فى المغرب ، ص ٥٧).

(٨٧) محمد عبد الله عنان . الآثار الأندلسية ، ص ٣٤٩ .

(٨٨) محمد عبد الله عنان . أندلسيات ، ص ٢١٤ ؛ محمد ماهر حمادة . رحلة الكتاب العربى إلى ديار الغرب : فكراً ومادة . - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢ م . - ص ٣٠٦ .

- وقد ترجم هذا العمل إلى اللغة العربية أمام المولى سليمان العلوى سنة ١٨١٥م باقتراح من الأديب الوزير المغربى محمد بن عبد السلام السلوى ، وتوجد منه نسخة فى الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٦٧٩٢ .

(انظر : أحمد شوقى بنبين . دراسات فى علم المخطوطات ، ص ٨٣ ، ١٢٥).

(٨٩) محمد عبد الله عنان . الآثار الأندلسية ، ص ٣٥٠ ؛ أحمد شوقى بنبين . دراسات فى علم المخطوطات ، ص ١٢٦ .

(٩٠) خوستيل براليو . مكتبة الأسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية : نظرة تاريخية ووصفية . - ط ٢ . - مدريد : المعهد الإسبانى العربى للثقافة ، ١٩٨٧ م .

(٩١) صالح أبو رقيق . تقرير عن بعثة معهد المخطوطات إلى إسبانيا . _ مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج ١٩ ، جـ١ ، (١٩٧٣م) ، . ٢١٣ _ ٢١٩ . .

Carrion , Manual . Spain Libraries in , p . 331 .

(٩٢) محمود على مكى (أستاذ الأدب الأندلسى بجامعة القاهرة) محادثة شفهية - (يناير ، ٢٠٠٠) .

الخاتمــة

إن تاريخ المكتبات الإسلامية هو فى الواقع تاريخ للفكر الإسلامى فى مسيره ومصيره ، ذلك لأن الدور الذى لعبته المكتبات فى تاريخ الحضارة الإسلامية جدٌ خطير ، فقد قامت بنشر الثقافة بين المسلمين وتوطيد الصلات العلمية بين العلماء ، مما ساهم فى التقدم والنهضة ، ومن هنا كانت أهمية دراسة المكتبات فى الأندلس للتعرف على أهم دعائم الحضارة الإسلامية فى الأندلس فى العصر الوسيط.

وقد أوضحت هذه الدراسة أن المسلمين فى الأندلس قد أولوا تلك المؤسسات الثقافية ما تستحقه من اهتمام وعناية، وكان ذلك ثمرة من ثمرات الإسلام العظيم وحضه على العلم ونشر المعرفة . وانتشرت المكتبات بأنواعها المختلفة ، وحرص الأندلسيون على تزويدها بالكتب القيمة ، وتوفير المخصصات المالية لذلك ، كما اعتنوا بتنظيم تلك المكتبات تنظيماً دقيقاً ليسهل الاستفادة من مجموعاتها ، ولعل فى ذلك باعثًا لنا فى العصر الحالى لتقصى آثار السلف فى العناية بالمكتبات والاهتمام بها ، ولم يكن هدفنا من هذه الدراسة استعراض مفاخر الماضى وأمجاده ـ وإن كان ذلك مما يحسن الوقوف عليه ، واستيعابه دائماً ـ ولكن لنقرر قبل كل شىء إنه ليس من المستحيل أن ينعكس الماضى على مرآة الحاضر. وإن أمتنا الإسلامية التى ساهمت فى هذه النهضة ، يجب ألا تدخر وسعاً فى مسايرة ركب الحضارة الحالى لاستدراك ما فاتها من ضروب التقدم العلمى.

ولعل من أهم النتائج التى خرجت بها من هذه الدراسة:

١- أن الأندلس عرفت أنواعاً متعددة من المكتبات، فقد وجدت بها المكتبات الخلافية، والخاصة والعامة، والملحقة بالمساجد والمدارس، وتأصلت هواية جمع الكتب فى نفس الشعب الأندلسى كله: حكاماً ومحكومين .

٢- أن المكتبات الخاصة كانت أول أنواع المكتبات فى الأندلس ظهوراً وأكثرها انتشاراً بحيث لم يشتهر إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية بما فيه من مكتبات خاصة بقدر ما اشتهرت به الأندلس ، وخرجت منها المكتبات العامة ومكتبات المساجد من خلال نظام الوقف الإسلامى.

٣- أن الأندلسيين اهتموا بمبانى المكتبات وتجهيزاتها المناسبة، وزودوها بالكتب القيمة، ووفروا لها الميزانيات الملائمة ، كما فطنوا إلى أن الإشراف على المكتبة ليس عملاً إدارياً فحسب وإنما هو عمل علمى فى المقام الأول ، ولذا فقد كان يُختار المشرف على المكتبة من مشاهير العلماء والأدباء وكانت مهنة المكتبات من الوظائف الكبرى فى الأندلس.

٤- أن المكتبات نالت قسطاً وافراً من الاهتمام والعناية بمجموعاتها وتعددت مصادر تزويدها بالكتب ما بين شراء ونسخ ووقف وتأليف وإهداء ومصادرة ، وكانت تجارة الكتب تجارة رائجة ومنظمة ولها أسواقها فى كل مدينة من المدن الأندلسية ، ويتم فيها بيع الكتب عن طريق المزاد العلنى، وكان يقوم عليها العلماء والوراقون.

٥- أن المكتبات الأندلسية كانت على درجة عالية من التنظيم والترتيب؛ مما ساعد على نجاحها فى تأدية رسالتها على أكمل وجه ، وتقديم الخدمات وتنشيط استعمال الكتب، كما كان للمكتبات دورها المتميز فى المجتمع الأندلسى فى نشر العلم والمعرفة، حتى أضحى المجتمع الأندلسى أكثر مجتمعات أوروبا ثقافة وحضارة ، فضلاً عن دور تلك النهضة المكتبية وتأثيرها فى الغرب المسيحى.

٦- وأوضحت الدراسة أن ما قام به العرب فى الأندلس من نهضة مكتبية ، كانت نهضة عربية خالصة ولم تكن تُتاح لولا وجود العرب ؛ ذلك أنه قبل الفتح العربى اقتصرت المكتبات فى إسبانيا على مكتبات الأديرة ، التى لم يستفد منها سوى الأساقفة مما يعنى عدم قيامها بالدور المنوط بها.

٧- كما قمنا بموازنة عادلة وصحيحة بين حركة المكتبات فى الأندلس وغيرها من البلاد الأوروبية فى العصور الوسطى ليتجلى الفرق بين الأحوال فى عصر واحد ؛ واتضح من

خلال هذه الموازنة أن المكتبات الإسلامية فى الأندلس فاقت غيرها من المكتبات فى العصور الوسطى من حيث الحجم والتنظيم وتقديم الخدمة.

ومن المحزن بعد سقوط غرناطة وانتهاء الوجود السياسى للعرب فيها ، وقيام الإسبان بحرق الكتب والمكتبات الأندلسية بدافع تعصبهم الدينى ، هوت إسبانيا فى حضيض التخلف مرة أخرى، فبعد أن كانت توجد فى قرطبة إبان الحكم الإسلامى العربى مكتبة بها ٤٠٠,٠٠٠ مجلد فى القرن العاشر الميلادى افتقدت إلى مكتبة عامة واحدة فى عاصمة إسبانيا بعد ثمانية قرون من ذلك[1] ؛ مما يعنى أن إسبانيا لم تصل إلى هذه النهضة الحضارية فى العصور الوسطى إلا من خلال العطاء الثقافى الإسلامى .

وهكذا، فإن أمتنا العربية الإسلامية لم تبلغ تلك المكانة المرموقة فى العصر الوسيط إلا بالعلم والكتب والمكتبات. وعندما انحسرت علاقتنا بالكتاب وانقطعت صلتنا بالمكتبات تخلفنا فى شتى ميادين الحياة، وبدأنا نأخذ من غيرنا بعد أن كنا نعطيه.

وهنا يجب أن أشير إلى أن أخطر التحديات التى تواجهنا فى هذا العصر ، هى تحديات ثقافية فى المقام الأول ؛ ذلك أن نسبة الأمية فى الوطن العربى وفق بعض التقديرات تصل إلى ٦٠ ٪؛ ومعنى ذلك أن ٦٠ ٪ من الشعب العربى لن يكون قادراً على التعامل بكفاءة مع عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ، ومع حقبة ثورة الاتصالات الكبرى ، ونشوء مجتمع المعلومات العالمى[2].

وبالرغم من أن الدراسات التاريخية لا تستوجب تقديم مقترحات وتوصيات ، إلا أننى بعد فراغى من هذه الدراسة ، وجدت بعض النقاط التى تحتاج إلى معالجة فى دراسات منفصلة وبعض التوصيات التى يمكن الاستفادة منها والأخذ بها، ولعل من أهمها :

- دراسة موضوع الوراقة فى الأندلس إبان الحكم العربى الإسلامى ؛ حيث لم يتعرض لدراستها أحد ، على الرغم من وجود مادة علمية وفيرة فى هذا الموضوع.
- دراسة عن المخطوطات العربية فى المكتبات الأندلسية : دراسة تحليلية والتعرف على ملامح وفنون المخطوط الأندلسى.
- دراسة مقومات صناعة الكتاب الأندلسى من حيث أدوات ومواد الكتابة والخط الأندلسى - والقيام بمسح شامل للمخطوطات الأندلسية وأماكن وجودها فى كافة بلدان العالم .

- دراسة فترة ما بعد سقوط غرناطة من الناحية الحضارية والفكرية ، حتى طرد جميع الموريسكيين من الأندلس ، وتأثير ذلك على إسبانيا ، لعدم وجود دراسات شافية فى تلك الحقبة.

- ضرورة الاهتمام بالترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية فى جميع الميادين وذلك للحاق بركب الأمم المتقدمة، وليس فى ذلك ما ينقص من قدرنا فهذه بضاعتنا تُرد إلينا.

- دعوة المسئولين عن البحث العلمى فى العالم العربى الإسلامى إلى الاهتمام بالتراث الأندلسى المخطوط ومساعدة الباحثين للقيام بتحقيق هذا التراث ونشره.

- ضرورة الاستفادة من تكنولوجيا العصر فى الحفاظ على المخطوطات العربية والإسلامية، والاهتمام بتنظيم هذا التراث المخطوط وإتاحته للدارسين.

هوامش الخاتمة

(١) عادل مشتاوى. الأندلسيون المواركة، ص ٢٨٥.

(٢) السيد ياسين. العولمة والطريق الثالث. ـ القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص ١٥٦.

المصادر والمراجع

أولا: المصــادر

١- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) .

- تحفة القادم / تحقيق إحسان عباس .ـ بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٦م.

- التكملة لكتاب الصلة / تحقيق عبد السلام الهراس .ـ بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٥م.

- الحلة السيراء / تحقيق حسين مؤنس .ـ ط٢ .ـ القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٥م.

- المعجم فى أصحاب القاضى الإمام أبى على الصدفى .ـ القاهرة : دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

٢- ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء / شرح وتحقيق نزار رضا .ـ بيروت : مكتبة الحياة، ١٩٦٥م .

٣- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

- الكامل فى التاريخ/ تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضى .ـ بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م.

٤- ابن الأحمر ، أبو الوليد إسماعيل (ت ٨٠٧ هـ /١٤٠٤م)

- كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة/ تحقيق محمد التركى التونسى : مراجعة وتعليق محمد بن تاويت التطوانى .ـ تطوان : منشورات جامعة محمد الخامس، ١٩٦٤م.

٥- ابن بسام ، أبو الحسن على بن بسام الشنتيرينى (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة / تحقيق إحسان عباس . - بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٩م.

٦- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)

- كتاب الصلة . - القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م.

٧- ابن بلقين ، عبد الله بن بلقين بن باديس (عاش فى القرن الخامس الهجرى)

- مذكرات الأمير عبد الله أخر ملوك بنى زيرى بغرناطة المسماة بكتاب التبيان / تحقيق ليفى بروفنسال . - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥ .

٨- ابن جُلجُل ، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى(ت ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م)

- طبقات الأطباء والحكماء / تحقيق فؤاد سيد . - ط٢ . - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

٩- ابن جماعة ، أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)

- تذكرة السامع المتكلم فى أدب العالم والمتعلم . - حيدر أباد الدكن : جمعية دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٣هـ

١٠- ابن حجر العسقلانى ، شهاب الدين احمد بن على بن محمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)

- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . - بيروت : دار الجبل ، ١٩٩٣م.

١١- ابن حزم الأندلسى ، أبو محمد على بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)

- جمهرة أنساب العرب / تحقيق عبد السلام محمد هارون. _ ط٤ . _ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٢م.

- رسائل ابن حزم / تحقيق إحسان عباس . - القاهرة : مكتبة الخانجى ، د. ت .

- نقط العروس فى تواريخ الخلفاء / تحقيق شوقى ضيف . _ مجلة كلية الآداب _ جامعة القاهرة ، مج ١٣، جـ ٢ (ديسمبر ، ١٩٥١)

١٢- ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)

- المقتبس فى أخبار بلد الأندلس / تحقيق عبد الرحمن على الحجى . _ بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨٣م.

١٣- ابن خاقان ،أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م)

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس / دراسة وتحقيق محمد على شوابكه. ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣م.

١٤- ابن الخطيب ، لسان الدين بن الخطيب السلمانى (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)

- الإحاطة فى أخبار غرناطة / تحقيق محمد عبد الله عنان .ـ ط٢ .ـ القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٧٣م.

- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام / تحقيق ليفى بروفنسال .ـ ط٢ .ـ بيروت : دار المكشوف ، ١٩٥٦م.

- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب / تحقيق محمد عبد الله عنان .ـ القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م.

- الكتيبة الكامنة فى من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة / تحقيق إحسان عباس .- بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٣م.

- اللمحة البدرية فى الدولة النصرية .ـ ط٢ .ـ بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٨م.

١٥- ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. ـ بيروت مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، ١٩٧١م.

- مقدمة ابن خلدون / تحقيق على عبد الواحد وافى .ـ ط٣ .ـ القاهرة : درا نهضة مصر ، ١٩٨١م.

١٦- ابن خير الأشبيلى ، أبو بكر محمد بن خير بن خليفة الأموى (ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م)

- فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف / تحقيق فرنسيكسه قداره زيدين، خليان رباره طرغوه .ـ ط٢ .ـ بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩م.

١٧- ابن الزبير ، أبو جعفر احمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م)

- كتاب صلة الصلة / تحقيق ليفى بروفنسال .ـ الرباط :المطبعة الاقتصادية ، ١٩٣٧.

١٨- ابن سعيد المغربى ، أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٧٤م)

- اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى / اختصار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ؛ تحقيق إبراهيم الإبيارى .ـ القاهرة : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٩م.

- المغرب فى حلى المغرب / تحقيق شوقى ضيف .ـ ط.٣ ـ القاهرة : درا المعارف ، ١٩٧٨م.

١٩- ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨م)

- المن بالإمامة : تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين /تحقيق عبد الهادى التازى .ـ ط.٣ـ بيروت : دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٧م.

٢٠- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد البر النميرى القرطبى (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

- القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم . ـ القاهرة : مكتبة القدس ، ١٣٥٠هـ .

٢١- ابن عبد الملك المراكشى ، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصارى (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م).

- الذيل والتكملة لكتابَى الموصول والصلة.

١- السفر الأول / تحقيق محمد بن شريفة . ـ بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٠م.

٢- بقية السفر الرابع / تحقيق إحسان عباس . ـ بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٤م.

٣- السفر الخامس / تحقيق إحسان عباس . ـ بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٥م.

٤- السفر السادس / تحقيق إحسان عباس . ـ بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٣م.

٥- السفر الثامن / تحقيق محمد بن شريفة . ـ الرباط : أكاديمية المملكة المغربية ، ١٩٨٤م.

٢٢- ابن عبدون ، محمد بن أحمد التجيبى (من أهل القرن السادس الهجرى)

- ثلاث رسائل أندلسية فى أدب الحسبة والمحتسب / تحقيق ليفى بروفنسال .ـ القاهرة : مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ، ١٩٥٥م.

٢٣- ابن عذارى المراكشى ، أبو عبد الله محمد (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م)

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب / تحقيق ومراجعة كولان ،ليفى بروفنسال . ـ ط ٢ .ـ بيروت: دار الثقافة ، ١٩٨٠م.

٢٤- ابن العماد الحنبلى ، أبو الفلاح عبد الحى (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . ـ بيروت : دار إحياء التراث العربى ، د. ت .

٢٥- ابن غالب ، محمد بن أيوب (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م)

- قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس / تحقيق لطفى عبد البديع .- القاهرة: معهد المخطوطات العربية ، ١٩٥٥م.

٢٦- ابن فرحون ، برهان الدين إبراهيم بن على فرحون اليعمرى (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)

- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب / تحقيق محمد الأحمدى أبو النور .- القاهرة : دار التراث ، ١٩٧٤م.

٢٧- ابن الفرضى ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)

- تاريخ علماء الأندلس .- القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

٢٨- ابن القاضى ، أحمد بن القاضى المكناسى (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٣م)

- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس .- الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٣م.

٢٩- ابن الكردبوس ، أبو مروان عبد الملك (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)

- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط : نصان جديدان / تحقيق أحمد مختار العبادى .- مدريد : معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٧١م.

٣٠- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ /١٣١١م)

- لسان العرب .- بيروت : دار صادر، ١٩٥٥م.

٣١- الإدريسى ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)

- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق.- بورسعيد : مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت .

٣٢- احمد بن محمد السفيانى (من أهل القرن السابع الهجرى)

- تسفير الكتب وحل الذهب .- القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٩م.

٣٣- بكر بن إبراهيم الإشبيلى (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)

- كتاب التيسير فى صناعة التسفير / تحقيق عبد الله كنون .- مدريد : معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٥٩م.

٣٤- حاجى خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطى (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)

- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٠م.

٣٥- الحميدى ، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الأزدى (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس .- القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م.

٣٦- الحميرى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى (ت أواخر القرن التاسع الهجرى)

- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار/ نشر وتصحيح ليفى بروفنسال.- القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م.

٣٧- الخشنى ، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م)

- قضاة قرطبة .- القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م.

٣٨- الخطيب البغدادى ، أحمد بن على (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام.- بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت.

٣٩- الخوارزمى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)

- مفاتيح العلوم .- ليدن : بريل ، ١٩٦٨م.

٤٠- الذهبى ، شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)

- تذكرة الحفاظ .- ط٤ .- بيروت : دار إحياء التراث العربى ، ١٣٧٧هـ .

٤١- الزبيدى ، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى (ت ٣٧٩هـ / ٩٨٩م)

طبقات النحويين واللغويين /تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط٢ . - القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٣م.

٤٢- السلفى ، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم سلفة (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م)

- معجم السفر (مخطوط).- دار الكتب المصرية ، رقم ٣٩٢٢ تاريخ .

٤٣- السمعانى ، أبو سعد عبد الكريم بن منصور التميمى (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م)

- الأنساب .- بيروت : دار الجنان ، ١٩٨٨م.

٤٤- السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحويين / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦٤م.

٤٥- صاعد الأندلسى ، بن أحمد (ت ٤٦٣هـ /١٠٦٩م)

- كتاب طبقات الأمم / نشرة لويس شيخو اليسوعى .- بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢م.

٤٦- الضبى ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عمير (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس .- القاهرة : دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧م.

٤٧- طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ / ١٤٠٦م)

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم / مراجعة وتحقيق كامل كامل بكرى ، عبد الوهاب أبو النور .- القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨م.

٤٨- عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب / تحقيق محمد سعيد العريان ، محمد العربى العلمى.- القاهرة : دار الاستقامة، ١٩٤٩م.

٤٩- عياض ، أبو الفضل موسى بن عياض اليحصبى السبتى (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م)

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك / تحقيق أحمد بكير محمود .- بيروت : دار الحياة ، د. ت.

٥٠- الفارابى ، أبو نصر محمد (ت ٣٩٩هـ / ٩٥٠م)

- إحصاء العلوم / تحقيق عثمان أمين .- ط٢ .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨م.

٥١- القلقشندى ، أحمد بن على (ت٨٢١ هـ / ١٤١٨م)

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م.

٥٢- مسلم ، بن الحجاج النيسابورى . (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م)

- صحيح مسلم بشرح النووى .- بيروت : دار إحياء التراث ، ١٩٨٤م.

٥٣- المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء (ت ٣٨٠هـ / ٩٩١م)

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .- ط٢ .- ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٠٩م.

٥٤- المقرى ، أحمد بن محمد المقرى التلمسانى (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣٤م)

- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض / تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ شلبى .ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩- ١٩٤٢م.

- نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب / تحقيق إحسان عباس . ـ بيروت : دار صادر، ١٩٧٨م.

٥٥- النباهى ، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى (ت فى أواخر القرن الثامن الهجرى)

- تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفيتا / نشر بروفنسال .ـ القاهرة : دار الكاتب المصرى ، ١٩٤٨م.

٥٦- ياقوت الحمودى ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)

- معجم الأدباء .ـ ط٣ - القاهرة : دار الفكر ، ١٩٨٠م.

- معجم البلدان / تحقيق فريد عبد العزيز الجندى .ـ بيروت :دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م.

ثانيا : المراجع العربية والمعربة:

١- أبو بكر محمود الهوش ، مبروكة محيريق. دراسات فى المكتبات .ـ طرابلس : المنشأة الشعبية ، ١٩٨١م.

٢- احمد انور عمر . المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ .ـ ط٢ .ـ القاهرة : دار النهضة العربية،١٩٧٠م.

٣- احمد بدر. تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى .ـ دمشق : ألف باء ، ١٩٧٤م.

٤- احمد شلبى .

- تاريخ التربية الإسلامية .ـ ط ٤ .ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣م.

- موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية .ـ جـ ٤ .ـ ط ٧ .ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤م.

٥- احمد شوقى بنبين. دراسات فى علم المخطوطات والبحث الببليوغرافى.ـ الرباط : كلية الآداب، ١٩٩٣م.

٦- احمد فكرى . قرطبة فى العصر الإسلامى : تاريخ وحضارة .ـ الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣م.

٧- احمد محمد الطوخى. مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة. - الإسكندرية ، ١٩٧٨م . - (اطروحة دكتوراه - كليه الآداب،جامعة الإسكندرية).

٨- احمد مختار العبادى . دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس . - الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٢م.

٩- احمد هيكل . الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة. - ط٨ . - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٢م.

١٠- اسعد حومد. محنة العرب فى الأندلس . - ط ٢ . - بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٨م.

١١- السيد السيد النشار . تاريخ المكتبات فى مصر : العصر المملوكى . - القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م.

١٢- السيد عبد العزيز سالم .

- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس: من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة . - الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٦١م.

- فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس. - الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥م.

- المساجد والقصور بالأندلس. - القاهرة : دار المعارف، ١٩٥٨م.

١٣- السيد ياسين. العولمة والطريق الثالث. - القاهرة :الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩م.

١٤- الطاهر أحمد مكى .

- دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة. - ط٢ - القاهرة : درا المعارف ، ١٩٨٧م.

- دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة . - ط٣ . - القاهرة :دار المعارف ، ١٩٨١م.

- دراسة فى مصادر الأدب . - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧م.

١٥- امين توفيق الطيبى . دراسات فى التاريخ الإسلامى . - طرابلس : الدار الأندلسية للطباعة ، ١٩٩٢م.

١٦- ايمن فؤاد سيد. الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات . - القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م.

١٧- بالنثيا ، انجل حنثاليث . تاريخ الفكر الأندلسى / نقله عن الإسبانية حسين مؤنس . ـ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥م.

١٨- بروفنسال ، ليفى . الحضارة العربية فى إسبانيا / ترجمة الطاهر أحمد مكى . ـ ط ٣. ـ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩٤م.

١٩- بلباس ، ليوبولدو توريس. الأبنية الإسبانية الإسلامية/ تعريب علية إبراهيم العنانى. ـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد. ـ س١ ، ع١، (١٩٥٣م). ـ ص ٩٧ ـ ١٢٠ ,

٢٠- جرجى زيدان. تاريخ التمدن الإسلامى / مراجعة وتعليق حسين مؤنس . ـ ط٢ . ـ القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٨م .

٢١- جرونيباوم ، جوستاف. حضارة الإسلام / ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ؛ مراجعة عبد الحميد العبادى. ـ القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م .

٢٢- جلال مظهر . حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالمى . ـ القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٧٤م.

٢٣- جودة هلال ، محمد محمود صبيح . قرطبة فى التاريخ الإسلامى. ـ القاهرة : دار القلم ، ١٩٦٢م .

٢٤- حامد الشافعى دياب .

- الكتب والمكتبات فى الأندلس . ـ القاهرة : دار قباء ، ١٩٩٨م.

- فهارس وبرامج الشيوخ . ـ مجلة دراسات عربية فى المكتبات وعلم المعلومات . ـ س٢ ، ع ٣ (سبتمبر ، ١٩٩٧م . ـ ص ٧١- ٩٠ .

٢٥- حسن إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى . ـ ط ١٢ . ـ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م.

٢٦- حسن على حسن . الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين . ـ القاهرة: مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م.

٢٧- حسن محمد جوهر ، مصطفى حسن شرف. إسبانيا : فردوس العرب المفقود . ـ القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٦م.

٢٨- حسين محمد سليمان . التراث العربى الإسلامى : دراسة تاريخية مقارنة . ـ القاهرة : مؤسسة دار الشعب ، ١٩٨٧م.

٢٩- حسين مؤنس .
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس. ـ ط٢. ـ القاهرة : مكتبة مدبولى، ١٩٨٦م.
- شيوخ العصر فى الأندلس . ـ القاهرة : دار الرشاد ، ١٩٩٧م.
- فجر الأندلس : دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ / ٧٥٦م) . ـ القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩م.
- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين. ـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، مج ٣ ، ع ١(١٩٥٥م) . ـ ص ٤٤.
٣٠- حسين يوسف دويدار. المسلمون المدجنون فى الأندلس. ـ القاهرة : مطبعة الحسين، ١٩٩٣م.
٣١- حشمت قاسم. مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات. ـ ط ٢ . ـ القاهرة : دار غريب ، ١٩٩٥م.
٣٢- الخزانة الملكية فى المغرب : عشرون ألف مخطوط تنتظر التحقيق. ـ مجلة الأمة ، س ٢، ع٢ ، (أغسطس ، ١٩٨٢م) . ـ ص ٥٢ ـ ٥٩ .
٣٣- خوستيل ، براوليو. مكتبة الأسكوريال ومخطوطاتها العربية عظرة تاريخية ووصفية . ـ ط,٢ – مدريد : المعهد الإسبانى العربى للثقافة ، ١٩٨٧م.
٣٤- خير الدين الزركلى. الأعلام.- ط٧ . ـ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م.
٣٥- دائرة المعارف الإسلامية / أصدرها أئمة المستشرقين فى العالم ؛ ترجمة وإعداد إبراهيم زكى خورشيد .... وآخرين . ـ ط٢ . ـ القاهرة : دار الشعب ، ١٩٦٩م .
٣٦- دوزى ، رينهرت .
- المسلمون فى الأندلس/ ترجمة حسن حبشى. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م .
- ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام / ترجمة كامل كيلانى . ـ القاهرة :مكتبة عيس الحلبى ، ١٩٣٣م.
٣٧- دى بور ، ت . ج . تاريخ الفلسفة فى الإسلام / نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة . ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٨م.

٣٨- ديورانت، ول . قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران .- القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩م.

٣٩- روزنتال ، فرانتز. علم التأريخ عند المسلمين / ترجمة صالح أحمد العلى . ط٢ ـ بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.

٤٠- ريبيرا ، خوليان .

- التربية الإسلامية فى الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها المغربية / ترجمة الطاهر أحمد مكى .- ط٢ ـ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩٤م.

- المكتبات وهواة الكتب فى إسپانيا الإسلامية /ترجمة جمال محمد محرز .ـ مجلة معهد المخطوطات العربية

الجزء الأول : مج٤ (مايو ، ١٩٥٨م) . - ص ٧٧ -٩٧.

الجزء الثانى : مج ٥ (مايو ، ١٩٥٩م) . - ١٩-١٠١.

٤١- سيتفيتش ألكسندر. تاريخ الكتاب / ترجمة محمد الأرناؤوط .ـ الكويت : المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٣م .

٤٢- سعد عبد الله صالح البشرى . الحياة العلمية فى عصر الخلافة فى الأندلس (٣١٦هـ - ٤٢٢هـ) .- الرياض : معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، ١٩٩٧م.

٤٣- سعيد أحمد حسن. أنواع المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى .- عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٤م.

٤٤- سعيد عبد الفتاح عاشور . فضل العرب على الحضارة الأوروبية .- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م.

٤٥- شاك ، فون . الفن العربى فى إسپانيا وصقلية / ترجمة الطاهر أحمد مكى .- ط٢ .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٥م.

٤٦- شعبان عبد العزيز خليفة .

- أوراق الربيع فى المكتبات والمعلومات .- مج١ ، (١٩٦٢ /١٩٧٩م) .- القاهرة ، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.

- الببليوجرافيا أو علم الكتاب: دراسة فى أصول النظرية الببليوجرافية وتطبيقاتها .- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٦م.

- الكتب والمكتبات فى العصور الوسطى: الشرق المسلم، الشرق الأقصى. ـ القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م.

- المحاورات فى مناهج البحث فى علم المكتبات والمعلومات . ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م.

٤٧- شعبان عبد العزيز خليفة ، محمد عوض العايدى . موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات .- الرياض : دار المريخ ، ١٩٩٠م.

٤٨- شكيب أرسلان . الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية . ـ بيروت : دار مكتبة الحياة . ، د.ت.

٤٩- شوقى ضيف . عصر الدول والإمارات : الأندلس . ـ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠م .

٥٠- صالح أبو رقيق . تقرير عن بعثة معهد المخطوطات العربية إلى إسبانيا فى الفترة من ١١-٦ ـ ١٩٧١م إلى ٢٤-٨-١٩٧١م . ـ مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٩ ، جـ ١ ، (١٩٧٣م) . ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٩ .

٥١- عائشة عبد الرحمن . تراثنا بين ماض وحاضر . ـ القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠م .

٥٢- عادل سعيد بشتاوى . الأندلسيون المواركة: دراسة فى تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة . ـ القاهرة : انترناشيونال برس ، ١٩٨٣م.

٥٣- عاطف الجندى . تاريخ المكتبات الإسلامية فى الأندلس . ـ رسالة المكتبة . ـ مج ٢٢ ،ع٢ (سبتمبر، ١٩٨٧). ـ ص ٦٧ - ٧٢.

٥٤- عبد الحميد العبادى .

- صور وبحوث من التاريخ الإسلامى : عصر الدولة العباسية والمغرب والأندلس .- القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية ، ١٩٥٣م.

- المجمل فى تاريخ الأندلس / جمع أحمد إبراهيم الشريف ؛ مراجعة مختار العبادى .- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨م .

٥٥- عبد الرحمن بن حمد العكرش . مكتبة الأمويين بالأندلس :كبرى مكتبات أوروبا فى العصور الوسطى. ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية ، س ١٢ ، ع ٣ (يوليو ، ١٩٩٣م) .- ص ٥ ـ ٦٦ .

٥٦- عبد الرحمن على الحجى .
- التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة .- بيروت : دار القلم ، ١٩٧٦م.
- الحضارة الإسلامية فى الأندلس : أسسها وميادينها وتأثيرها على الحضارة الأوروبية .- بيروت : دار الإرشاد ، ١٩٦٩م.
- الكتب والمكتبات فى الأندلس .- مجلة كلية الدراسات الإسلامية - بغداد ع٤ (١٩٧٢م).
٥٧- عبد الستار الحلوجى .
- لمحات فى تاريخ الكتب والمكتبات .- القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٨٢م.
- المخطوط العربى .- ط ٢ .- القاهرة : مكتبة مصباح ، ١٩٨٩م.
٥٨- عبد العزيز الأهوانى. كتب برامج العلماء فى الأندلس .- مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١ ، ع١ ،(١٩٥٥م) .- ص ٩١ -١٢٠.
٥٩- عبد الله أنيس الطباع. القطوف الدانية من ثمار جنة الأندلس الإسلامى الدانية .- بيروت : دار ابن زيدون ، ١٩٨٦م.
٦٠- عبد المنعم حامد المرسى الصاوى . الحضارة الإسلامية فى عهد الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر .- القاهرة ، ١٩٨١م .- (أطروحة ماجستير - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر).
٦١- عبد الوهاب أبو النور. نظم التصنيف فى الوطن العربى : المشكلات والحلول المقترحة .- القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٦م.
٦٢- عمر فروخ. تاريخ الأدب العربى .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٢م.
٦٣- فيليب دى طرازى . خزائن الكتب العربية فى الخافقين .- بيروت : منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، ١٩٤٨م.
٦٤- لطفى عبد البديع . الإسلام فى إسبانيا .- القاهرة :مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨م .
٦٥- لوبون ، جوستاف. حضارة العرب / ترجمة محمد عادل زعيتر .- القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥ م.
٦٦- لين پول ، إستانلى. العرب فى إسبانيا / ترجمة على الجارم .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٤٧م.

٦٧- متز، آدم. الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى/ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة . ـ ط٢ ـ القاهرة : النهضة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .

٦٨- متولى محمد متولى. المكتبة ودورها التربوى فى مصر الفاطمية . ـ شبين الكوم ، ١٩٨٣م . ـ (رسالة ماجستير ـ كلية التربية ـ جامعة المنوفية).

٦٩- محمد إبراهيم زغروت. مكتبة الأمويين الإسلامية فى قرطبة وتأثيرها الفكرى فى شعوب غرب أوروبا . ـ مجلة البحوث الإسلامية ، ع ١٧(يوليو/ أكتوبر، ١٩٨٦م). ـ ص ٣٣٥- ٣٥٣.

٧٠- محمد جبر أبو سعده. مكتبة الأمويين فى قرطبة. ـ مجلة الأزهر، جـ ١، س ٤ (فبراير، ١٩٦٩)ـ ص ٨١٤ ـ ٨١٩ .

٧١- محمد رستم ديوان. المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى فى العصر الوسيط. ـ مجلة المورد ، مج ٩، ع ٤ ، (شتاء ، ١٩٨٠) . ـ ص٢٨٤-٢٩١.

٧٢- محمد عبد الحميد عيسى. تاريخ التعليم فى الأندلس. ـ القاهرة: دار الفكر العربى ، ١٩٨٢م.

٧٣- محمد عبد القادر أحمد. المخطوطات العربية فى المغرب. ـ مجلة المورد . ـ ع١، مج٨ (١٩٧٩م). ـ ص ١١١-١٢٨ .

٧٤- محمد عبد الله عنان .

ـ الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال : دراسة تاريخية وأثرية . ـ القاهرة: مطبعة مصر ، ١٩٥٦م.

ـ أندلسيات/ تقديم محمد المرميحى. ـ الكويت : مجلة العربى ، ١٩٨٨ .

ـ دولة الإسلام فى الأندلس . ـ ط ٣ . ـ القاهرة : مكتبة الخانجى، ١٩٨٨م.

ـ مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام . ـ ط ٢ . ـ القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤ .

ـ نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين . ـ ط ٢ . ـ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م.

٧٥- محمد عبد الوهاب خلاف.

ـ تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الخامس الهجرى . ـ القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ، ١٩٩٢م.

ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى قرطبة الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى. ـ القاهرة ، ١٩٧٦م . (أطروحة دكتوراه ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة).

٧٦- محمد عبد الوهاب الغسانى. رحلة الوزير فى افتكاك الأسير/ إعداد ألفريد البستانى . ـ تطوان : منشورات الجنرال فرنكو ، ١٩٣٩ .

٧٧- محمد عجاج الخطيب . لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر . ـ ط ١٧ ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧م.

٧٨- محمد غلاب. الفلسفة الإسلامية فى المغرب . ـ القاهرة ، ١٩٤٨م .

٧٩- محمد فريد وجدى . دائرة معارف القرن العشرين. ـ ط٣ . ـ بيروت :دار المعرفة ، ١٩٧١م.

٨٠- محمد كرد على .

- الإسلام والحضارة العربية . ـ القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤م.

- غابر الأندلس وحاضرها . ـ القاهرة :المكتبة الأهلية ، ١٩٢٣م.

٨١- محمد ماهر حمادة .

- رحلة الكتاب العربى إلى ديار الغرب : فكراً ومادة . ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢م.

- الكتاب العربى مخطوطاً ومطبوعاً . ـ الرياض : دار العلوم ، ١٩٨٤م.

- الكتب والمكتبات فى الأندلس . ـ مجلة كلية العلوم الاجتماعية . ـ جامعة الإمام محمد ابن سعود ، الرياض . ـ ع ٦ (١٩٨٢م) . ـ ص ٣٤٧-٣٦٧.

- مقدمة فى تاريخ الكتب والمكتبات. ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٦م.

- المكتبات فى الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها. ـ ط ٧ . ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٦م.

- الوثائق السياسية والإدارية فى الأندلس وشمال أفريقية: دراسة ونصوص . ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦م.

٨٢- محمد مجاهد الهلالى . خزائن الكتب العباسية : دراسة فى الموارد والنظم والخدمات . ـ القاهرة ، ١٩٨٧م. ـ (أطروحة دكتوراه ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة).

٨٣- محمد محمد أمان. الكتب الإسلامية/ ترجمة وتعليق سعد بن عبد الله الضبيعان . ـ الرياض : مكتبة فهد الوطنية ، ١٩٩٠م .

٨٤- محمد المنونى. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين. ـ تطوان : معهد مولاى الحسن، ١٩٤٩م.

٨٥- محمود على مكى. ـ محادثة شفهية ،فى يناير سنه ٢٠٠٠م.

٨٦- مصطفى الشكعة .

- الأدب الأندلسى : موضوعاته وفنونه .ـ ط ٥ .ـ بيروت :دار العلم للملايين ، ١٩٨٣م.

- مناهج التأليف عند العلماء العرب .ـ ط ٢ .ـ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م.

٨٧- مصطفى الشهابى. تفسير كتاب ديسقوريدوس لابن البيطار. ـ مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٣، جـ ١ ، (مايو ، ١٩٥٧م) .ـ ص ١٠٥ ـ ١١٢.

٨٨- مصطفى محمد إبراهيم عبد المجيد. ـ الحياة العلمية فى قرطبة فى عهد الناصر والمستنصر (٣٠٠ - ٣٦٦هـ) .ـ القاهرة ، ١٩٨٠م . (أطروحة دكتوراه ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر).

٨٩- ملز ، ج . نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات/ ترجمة عبد الوهاب أبو النور ؛ مراجعة محمد البنهاوى .ـ القاهرة :الدار القومية للطباعة ، ١٩٦٦م .

٩٠- منظمة اليونسكو . أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية .ـ القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٧م.

٩١- هدى شوكة بهنام . الواقع المكتبى فى الأندلس .ـ المكتبة العربية ، س ١، ع١ ، (١٩٨٢م) . ص-٦١-٩٦.

٩٢- هونكة ، زيغريد. شمس العرب تسطع على الغرب / نقله عن الألمانية فاروق بيضون ،كمال دسوقى .ـ ط بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٢م.

٩٣- هيسيل ، ألفرد . تاريخ المكتبات / نقله إلى العربية شعبان عبد العزيز خليفة. ـ القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٣م.

٩٤- واشرشتاين ، ديفيد . مكتبة الحكم الثانى المستنصر وثقافة إسبانيا الإسلامية / ترجمة عبد الرحمن العكرش. ـ مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية ، مج١ ، ع١، (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م). ـ ص٧-٣٨.

٩٥- يوسف العش . دور الكتب العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط/ ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة ، محمد ضباع .ـ دمشق : دار الفكر ، ١٩٩١م.

ثالثا: المراجع الأجنبية :-

1- Arnold, Thomas (editor). The Legacy of Islam. - London: oxford unvi. Press, 1931.

2- Carrion, Manuel. Spain libraries in. - Encyclopedia of library and information science. - vol. 28. - N.Y: Dekker, 1980. - p.p 328 - 360.

3- Inayatullah, Sh. Bibliophism in Medieval Islam. - Islamic culture. vol. 12 (April, 1938). p.p 154-169.

4- Kabir, Ahmed khan. library movement in the Muslim world. - Islamic culture, vol. 56, No. 4 (October, 1982). - p.p 303-316.

5- Macknesen, R.S. Moslem libraries and sectarian propaganda. - American journal of Semtic languages literature. - vol. 51, No. 2 (Jaun, 1935). P.P 83-113.

6- Pinto, Olga. libraries of Arabes during the time of the Abbaside. - Islamic culture. - Vol. 3 - (April, 1929). - P.P 210 - 243.

7- Sibai, Mohamed Makki. - Mosque libraries : an historical study. - London: Manssell, 1987.

8- Thompson, Lawrence s. Moslem libraries (Medieval). - Encyclopedia of library and information science. - Vol. 36. N.Y.: Dekkr, 1983,. - P.P 363 - 377.

تاريخ المكتبات في الأندلس

دكتور رضا سعيد مقبل



تعد المكتبات إحدى جوانب الحضارة الإسلامية التى هى أحق ما يكون بالدراسة والبحث فهى تعكس الحضارة الإسلامية بكل شموخها وجلالها، ولا مغالاة فى القول بأن الحضارة الإسلامية حضارة كتب ومكتبات. فلا حضارة بغير علم. ولا علم بغير كتب ومكتبات.

يتناول هذا الكتاب المكتبات فى الأندلس طيلة وجود المسلمين فى الأندلس. وتكشف هذه الدراسة عن مقدار اهتمام الأندلسين بالمكتبات، وما بذلوه دولة وشعبًا فى اقتناء الكتب وتكوين المكتبات والعناية بها. وتشكل هذه الدراسة لبنة أساسية فى تاريخ المكتبات الإسلامية والحضارة الاسلامية بوجه عام. وتعد مصدرًا مهما من مصادر المعلومات لا يستغنى عنه المتخصصون فى التاريخ الإسلامى وتاريخ الكتب والمكتبات.

ISBN# 9789774208034

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١.٥ جنيه